جمهورية تركيا
جامعة يوزنجوييل
معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا
قسم العلوم الإسلامية ـ فرع التفسير

الدروس المستفادة من قصص سورة الكهف

دراسة موضوعية
(رسالة ماجستير)

إعداد
بازار غفور إبراهيم

وان – 2017

جمهورية تركيا
جامعة يوزنجوييل
معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا
قسم العلوم الإسلامية ـ فرع التفسير

الدروس المستفادة من قصص سورة الكهف

دراسة موضوعية

(رسالة ماجستير)

إعداد

بازار غفور إبراهيم

المشرف

أ.د.عبد الباقي كونش

وان – 2017 م

المحتويات

المحتويات I

المقــــدمـــــة IV

الاختصارات VI

التمهيد 1

1. التعريف بسورة الكهف 7

1.1. تسمية سورة الكهف 7

2.1. فضل سورة الكهف 8

3.1. الأحاديث الواردة في أسباب نزول سورة الكهف، وعدد آياتها، ومكيتها 9

4.1. موضوعات ومقاصد سورة الكهف 14

2. القصص الواردة في سورة الكهف، والدروس المستفادة منها 22

1.2. تعريف القصّة القرآنية 22

2.2. قصة أصحاب الكهف 24

3.2. عدد أصحاب الكهف وديانتهم 26

أ. عدد أصحاب الكهف: 26

4.2. إنكار أصحاب الكهف على قومهم عبادة غير الله، وفرارهم بدينهم من الفتن ... 29

5.2. الضرب على آذانهم ومدة لبثهم في الكهف 30

6.2. الرعاية الإلهية لهم، وبعثهم بعد نوم طويل 32

2.2. الدروس المستفادة من قصة أصحاب الكهف 36

1.2.2. أهمية دور الشباب في نصرة الدين، وطلب الدعاء بالرحمة والرشد من الله .. 36

2.2.2. أهمية الإيمان بالله – تعالى– 39

3.2.2. تفويض العلم فيما خفي على العبد إلى الله 42

4.2.2. التوحيد والعقيدة الصحيحة، وبطلان عقائد الشرك 44

5.2.2. الفرار من الفتن 46

6.2.2. انتصار الحق على الباطل، وتثبيت القلوب 48

7.2.2. حماية الله لعبده عند لجوئه إليه بالصدق 49

8.2.2. الإيمان بالبعث، وتفويض المستقبل إلى الله 51

3.2. قصة صاحب الجنتين 54

1.3.2. سرد القصة في سورة الكهف 54
2.3.2. زمان القصة ومكانها 57
4.2. الدروس المستفادة من قصة صاحب الجنتين 59
1.4.2. اهتمام القرآن بضرب الأمثال 59
2.4.2. فتنة المال والاغترار بالدنيا 61
3.4.2. عزة المؤمن بإيمانه بالله –تعالى– 65
4.4.2. كون شكر النعمة سبب لدوامها، وكفر النعمة دليل على زوالها 67
5.4.2. تفويض الأمر لله –تعالى– 69
5.2. قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر 73
1.5.2. رحلة موسى للبحث عن الخضر 73
2.5.2. الحوار بين موسى– عليه السلام– والخضر 76
3.5.2. الأحداث التي قام بها الخضر 78
4.5.2. تفسير الخضر للأحداث التي قام بها 83
6.2. الدروس المستفادة من قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر 85
1.6.2. فضل الرحلة في طلب العلم 85
2.6.2. فضل العلم وأنواعه وآدابه 88
3.6.2. عدم التسرع بالحكم على ظواهر الأمور 95
4.6.2. ارتكاب أخف الضررين 97
5.6.2. آداب الحوار من قصة موسى والخضر 99
7.2. قصة ذي القرنين 101
2. 7. 1. ذو القرنين 101
2. 7. 2. سبب لقبه بذي القرنين، وهل كان نبيا؟ 103
2. 7. 3. قوة ذي القرنين وسعيه في الأرض 106
2. 8. الدروس المستفادة من قصة ذي القرنين 116
2. 8.1. الأخذ بالأسباب للوصول إلى الأهداف والغايات 116
2. 8. 2. التمكين والحكم والسلطان في الأرض من نعم الله –تعالى– 120
2. 8. 3. أهمية العلوم في إحياء الشعوب 123
2. 8. 4. الخروج لدفع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض 125

2. 8. 5. الشكر على نعمة التمكين في الأرض 128
3.الخـاتـمـة 130
4.المراجع 133
5.المـلـخص بالعربية 146
6. الملخص بالتركية...
7. الملخص بالإنجليزية ....
8. المحتويات بالتركية...



المقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾،[1] والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

لقد أنعم الله – تعالى– على الناس بإرسال رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– وأنزل على قلبه القرآن الكريم، فهو الجامع لجميع مقاصد الإسلام، وهو دستور لجميع البشر إلى أن يرث الله–تعالى– الأرض ومن عليها، فهو منهج متكامل يشمل جميع جوانب الحياة، فلا يغفل عن شيء منها، كما قال تعالى:﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾،[2] ويبين كل ما يحتاج إليه الإنسان من المعرفة، وهو المصدر الأول للناس، فواجبنا أن نستمد الدروس المستفادة، والعبرمنه، ويعتبر القصص القرآني أحد المقاصد والمبادئ الهامة للقرآن الكريم من دروس مستفادة للناس في جميع نواحي الحياة، كما قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾،[3] والإنسان بطبعه يميل إلى القصص، ويجد فيها غذاءه الروحي والعقلي، ولقد احتلّت القصة مساحة كبيرة، ما يقارب ربع القرآن الكريم، ومن السور التي غلب عليها القصص هي سورة الكهف، التي تميزت بخصوصيات انفردت بها عن غيرها من السور الأخرى، فقد وردت فيها أربع قصص لم تتكرر في غيرها من السور، وتناولت شخصيات وأحداث متنوعة، وانطلاقاً من الشعور بالمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتق طلاب العلم، ثم إشارة من مشرفي –بعد توفيق الله– فقد وقع اختياري على القصص الواردة في سورة الكهف وعنونته بـ"الدروس المستفادة من قصص سورة الكهف دراسة موضوعية".

ثم إني على يقين بأن الإقدام على مثل هذا العمل ليس هينا، لكونه يتعلق بكتاب الله– تعالى– الذي قال في شأنه أبو بكر الصديق –رضي الله تعالى عنه–: " أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، وَأَيُّ

1 الكهف 18/ 1.

2 الأنعام 6 / 38.

3 الأعراف 7/ 176.

سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، إِذَا قُلْتُ فِي الْقُرْآنِ مَا لَا أَعْلَمُ"،[4] كما أنه يحتاج إلى اطلاع واسع، وملكة علمية رصينة، وقريحة قوية لا تتوفر لكاتب تلك السطور، لكونه لم يزل بعد على العتبة الأولى في طريقه إلى طلب العلم، لكن من شرف طلب العلم أن نسير خلف ركب قوم سخر الله-تعالى- لهم الغوص في أعماق معاني كتاب الله -عز وجل- لكي ننال من صحبتهم الدرر والكنوز التي بين دفتي المصحف الشريف.

وبعد إن أكن وفقت في بحثي فهذا فضل من الله-تعالى- وحده، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾،[5] وما كان في البحث من خطأ أو سهو أو نسيان فذلك من نفسي ومن الشيطان والله-تعالى- ورسوله منه براء، ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾،[6] وأتقدم خالص شكري وتقديري إلى كل من ساعدني وعاونني من الأصدقاء والزملاء وجميع الأساتذة والدكاترة في جامعة -يوزنجوييل-، وأخص بالذكر أساتذة قسم التفسير، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور: عبد الباقي كونش، بما أرشدني إليه من نصائحه وإرشاداته عند تقييم رسالتي، وتصحيح أخطائي، وأسأل الله -تعالى- أن يبارك لنا في عمره، وينفع به طلابه آمين، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

---

4 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، تح: مركز هجر للبحوث، الناشر: دار هجر، القاهرة، 1424هـ، 2003 م، 15/ 251.

5 هود 11/ 88.

6 يوسف 12/ 53.

الاختصارات

1- ت: الوفاة
2- تح: التحقيق
3- ص: الصفحة
4- ط: الطبعة
5- ق: القرن
6- ق.م: قبل الميلاد
7- م: الميلادي
8- هـ: الهجر

التمهيد

موضوع البحث:

يعتبر القرآن الكريم مصدراً كاملاً، حيث أودع الله–تعالى– به كل ما ينظِّم حياة الإنسان، فأودع الله–تعالى– فيه أحسن الدروس وأنفعها، وأخلص العبر وأفيدها، وخاصة في القصص القرآني، وسورة الكهف تتضمن مجموعة من القصص، وفيها الدروس والعبر الهامة، لذا رأى الباحث أن يكون موضوع بحثه، الدروس المستفادة من قصص سورة الكهف، حتى يستنبط منها الدروس المفيدة، فاختار الباحث سورة الكهف، ليستخرج منها ما يعينه الله–تعالى– على استخراجه من الدروس والعبر وكيفية الاستفادة منها في واقعنا المعاصر.

أسباب اختيار الموضوع:

أما أسباب اختيار الموضوع فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1- أهمية الخطاب القرآني المنوط به صلاح الأمة في كل مكان وزمان، إذ هو الدواء الأصيل لكل داء.

2- حاجة المسلمين إلى الرجوع إلى القرآن الكريم، وجعله دستورا يهتدون به حتى تتحقق الغايةُ من نزوله.

3- الحاجة الماسة بتتبُع العبر والعظات والدروس المستفادة من قصص القرآن الكريم، عموماً وفي سورة الكهف خصوصاً، لما فيها من دروس هامة تحتاج إليها أمتنا في هذا الزمن الذي طغى عليه الاهتمام بالماديات في أغلب ميادين الحياة، وتغافل أكثر الناس عن اللب والجوهر الذي يستحق منهم كل التركيز والعناية، لكي يصححوا مسار حياتهم على ضوء الدروس القرآنية.

4- أهمية توجيه الجهود والطاقات الفكرية إلى الاشتغال بالموضوعات القرآنية عموما، وضرورة الاعتناء بها وإعطاء حقها من الرعاية والعناية والدراسة، ليكون واقعا عمليا في حياة الفرد والمجتمع، فقد اخترتُ هذا الموضوع لإبراز بعضٍ من الدروس القرآنية المستفادة من سورة الكهف التي تمثل نموذجًا فريدا للطريقة القرآنية لمن أراد أن يتدبر القرآن ويتذكر كأولي الألباب.

أهداف البحث:

1- إبراز الدروس القرآنية التي تضمنتها القصص الواردة في سورة الكهف التي لا يستغنى عنها في التربية والإصلاح.

2- عرض اهتمام القرآن بتبشير المؤمنين وإنذار المشركين في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والسلوك.

3- الاستفادة من القصص في سورة الكهف خاصة أصحاب الكهف في مجال الإيمان، والعقيدة، والثبات، والقدوة الصالحة، وضرورة تطبيقها في وقتنا الحاضر.

4- الهدف الأول والأخير في هذه الرسالة هو ابتغاء مرضات الله-تعالى-، فرب كلمة صادقة خالصة لله الواحد الأحد، تقربني إليه وتنجيني من النار.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من خلا التفتيش والمناظرة والتحري من خلال تفسير الآيات، وعَرْضِ آراء المفسرين وتحليلهم للأحداث والوقائع المحدثة عند سياق القصص الواردة والأمثال السائرة في سورة الكهف، ومن ثَمَّ الكشف عن المقاصد الواردة مما قَصَّه الله -تعالى- على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- وذلك من أجل العبرة والاتعاظ بما بين الله -تعالى- من وقوع هذه الحوادث للأمم السابقة، حيث إن سرد القصص عامة لها أهداف ونتائج، كما أن لنهاية القصص الواردة في سورة الكهف خصوصية مهمة في العبرة، وكذا انتباه الأمم السابقة بهذه الأحداث خاصة، حيث إن تلك القصص مليئة بالفوائد الجلية التي تحتاج منا إلى تدبرها والإفادة منها.

الدراسات السابقة:

خلال البحث توصلت إلى بعض الدراسات التي تناولت سورة الكهف، لكنها تختلف عنه من حيث وجهة الدراسة ألا وهو جانب الدروس.

وهذه الدراسات هي:

1. **من بلاغة القرآن في سورة الكهف**، دراسة تحليليه، (ماجستير)، للباحثة: زكية بنت محمد العتيبي، الرئاسة العامة لتعليم البنات- الرياض، 1421 هـ- 2000 م، والباحثة -فقط-

تطرقت في بحثها إلى الجوانب البلاغية، أما بحثي فينظر في الدروس المستفادة من قصص السورة.

2. **سورة الكهف دراسة صرفية،** للباحث: إلياس الحاج إسحاق، (ماجستير)، في اللغة العربية، جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا – فرع اللغة – السعودية، 1415 هـ – 1995 م، وقد تحدث الباحث عن الجانب الصرفي وهو متباين عن بحثي.

3. **المحسنات اللفظية في سورة الكهف،** دراسات تحليلية بلاغية بديعية، للباحثة: محبة الحسنى – (ماجستير)، كلية العلوم الإنسانية والثقافة– الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج، – 2007 م، وقد تحدثت الكاتبة في بحثها عن المحسنات اللفظية في سورة الكهف، دراسة تحليلية بلاغية بديعية، وبحثي على الدروس المستفادة في قصص السورة.

4. **سورة الكهف دراسة دلالية،** (ماجستير)، للباحث: عبد الناصر مشري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2006 م، بحثه متباين عن بحثي حيث تناول فيه علاقة الصوت بالدلالة على مستوى الكلمة، وتكرار كل من الصوت والمقطع، وعلاقتهما بالمعنى.

5. **سورة الكهف دراسة نحوية وصرفية،** للباحث: معمر منير مسيهر العاني، (ماجستير)، الرسالة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ابن رشد، وهي جزء من متطلبات نيل الشهادة في اللغة العربية وآدابها، 1425– 2004 م، وقد تحدث الباحث في بحثه عن الجهة اللغوية، ولم يتعرض في هذه الدراسة عن القصص.

6. **الاشتقاق دراسة صرفية دلالية سورة الكهف نموذجاً،** (ماجستير)، الباحث: محمد الحبيب السماحي، جامعة أبي بكر بلقايد – الجزائر، 1425هـ– 2004– 2005 م، والباحث في بحثه يتحدث عن الِاشتقاق دراسة صرفية دلالية، ولم يتعرض للدروس والقصص.

7. **الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم،** سورة الكهف نموذجاً دراسة وصفية (ماجستير)، الباحث: محمد بولحية، جامعة الحاج الخضر –باتنة– كلية الآداب والعلوم الأنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، 1430هـ – 2009 م، الباحث يبحث عن الأسلوب البلاغي دراسة وصفية، وهو موضوع بعيد عن الدروس والعبر لا علاقة له ببحثي.

8. **سورة الكهف نص وترجمة وتفسير،** للباحث: عمران حسين، مسجد جامعة – مدينة سان فراندو، ترينيداد وتوباغو– ترجمة: تمام عدي، الطبع الأولى، 2007 م، الطبعة الثانية 2011م، والباحث يتحدث من جهة النص والترجمة والتفسير في سورة الكهف لم يتعرض للدروس والقصص.

9. **القيم التربوية في قصص سورة الكهف** – دراسة تحليلية مقاصدية (ماجستير)، الباحثة: سعاد، معروف، جامعة أبي بكر بلقايد- كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية – قسم العلوم الإنسانية – الجزائر، 1434- 2013 م، والباحثة تحدثت في بحثها عن الجانب التربوي وقيمه في قصص سورة الكهف، وبحثي يتحدث عن الدروس المستفادة منها.

11. **وقفات تربوية مع سورة الكهف،** جمع وإعداد: نجلاء السبّيل، مدرسة دار التوحيد لتحفظ القرآن بجدة، تحدثت الكاتبة عن الجوانب التربوية في جميع السورة، وبحثي عن الدروس المستفادة في قصص السورة.

12. **أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم سورة الكهف نموذجا،** حورية حبيب،(الكتاب)، دار قرطبة، الجزائر، ط :الأولى، 1428هـ- 2008 م، والباحثة تطرقت في بحثها عن أساليب الحقيقة والمجاز وموضوعها بعيد عن بحثي. فبحثي عن الدروس المستفادة في قصص سورة الكهف.

13. **الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف،** فهد بن عبد الرحمن السويدان، (ماجستير)، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة إمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1403 هـ، يتطرق الباحث في بحثه عن الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف ولم يتطرق إلى الدروس المستفادة وبحثي عن الدروس المستفادة.

14. **القواعد التربوية كما تظهرها القصة القرآنية في سورة الكهف،** للباحث: يزن أحمد يوسف عبده وهي رسالة مطبوعة، (ماجستير)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، 2000 م، وتهدف هذه الدراسة إلى استخراج أهم القواعد التي احتوتها آيات قصص سورة الكهف سواء تلك التي اهتمت بعلاج القضايا العقدية أو قضايا الأمور الحياتية.

15. **تحليل سورة الكهف في ضوء منهج التفسير الموضوعي،** للباحث: سليمان سرت قايا، رسالة (ماجستير)، جامعة مرمرة- قسم الإلهيات- فرع التفسير- إستنبول- تركيا، 2009 م، والباحث يتطرق في بحثه إلى تحليل سورة الكهف في ضوء منهج التفسير الموضوعي ومتغاير عن بحثي.

16. **تحقيق سورة الكهف من تفسير الماتريدي وتحليله،** للباحث: آقكول محي الدين، رسالة (ماجستير)، جامعة دقوز أيلول –قسم العلوم الإسلامية الأساسية- فرع التفسير،1991 م، والباحث ذكر في رسالته تحقيق سورة الكهف من تفسير الماتريدي وتحليله وهو متباين عن بحثي.

17. **إبن برجان وتحقيق تفسير سورة الفاتحة والكهف والحجرات من تفسير المسمى بالإرشاد**، للباحث: آربا عبدالمطلب، رسالة (ماجستير)، جامعة إسطنبول، تركيا، 2003 م، وبحثه ليس موضوع بحثي.

18. **قصة أصحاب الكهف البعد الميتافيزيقي**، للباحث: محمد ضياء الدين داغهان، رسالة (ماجستير)، جامعة حران– قسم الفلسفة والعلوم الدينية– فرع تاريخ الأديان، أورفا– تركيا، 1991 م.

هذه هي الرسائل الجامعية، والبحوث المُحَكَّمة والكتب التي أُلِّفت حول سورة الكهف ونلحظ أن بينها وبين موضوعي تباين واختلاف، إذ إن كل واحد نظر للسورة من زاوية مختلفة، نسأل الله–تعالى– أن يكتب لهم الأجر ويبارك في جهودهم. وأنا بدوري تطرقت إلى الدروس المستفادة في قصص السورة.

ويمكن أن تكن هناك أبحاث أو كتب أو مقالات أخرى حول سورة الكهف بعناوين مختلفة غير أنني لم أطلع عليها.

منهج البحث:

إن المنهج الذي اعتمده الباحث في بحثه هو المنهج الاستقرائي،[7] وقد تم مراعاة ما يلي:

1. الالتزام بأهداف التفسير الموضوعي، لبيان موقف القرآن الكريم في هذا الموضوع من خلال سورة الكهف، ودراسة آيات السورة دراسة موضوعية.

2. تتبع الدروس المستفادة في قصص هذه السورة، مع الحرص على جمع أطراف هذا الموضوع.

3. توثيق المادة العلمية في البحث كما يلي:

– عزو الآيات الواردة في البحث إلى مواطنها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية.

---

7 يتفق الباحثون على أن البحث الاستقرائي عادة ما ينتهي بمجموعة من الفروض، التي تستطيع تفسير تلك الملاحظات والتجارب، ثم تحقيق هذه الفروض بعد اختبارها. ينظر: حمودة، محمد عفيفي، *البحث العلمي*، ط: الثانية، مطابع سجل العرب، عين شمس، 1983 م، ص 22.

– تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادر السنة المعتمدة بذكر المصدر، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث إن وجد.

– إحالة المنقول من كلام أهل العلم إلى مواطنه في المراجع والكتب التي تمت الاستفادة منها مع الإشارة إلى رقم الجزء إن وجد والصفحة.

4. التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في البحث تعريفا موجزا.

5. تعريف المصطلحات وإيضاح المفردات الغريبة أو الغامضة إذا وجدت.

6. لاستفادة من المصادر الأصلية، والكتب التي تناولت الموضوع، وتوظيفها فيما يخدمه.

7. الابتعاد عن الحشو والاستطراد، والاكتفاء بالمختصر المفيد الذي يؤدي الغرض، والعناية بتوثيق كل المعلومات التي تحتويها الرسالة على حسب الأصول المتبعة في مناهج البحث.

1. التعريف بسورة الكهف

نتناول هنا تسمية سورة الكهف، وبيان فضلها، مع ذكر أسباب النزول الواردة في سورة الكهف، وعدد آياتها، وكون السورة مكية أم مدنية، متضمنا تلك المناسبات التي تتعلق بالسورة، وما هي موضوعات سورة الكهف ومقاصدها؟ وذلك بالشكل الآتي:

1.1. تسمية سورة الكهف

تسمى هذه السورة باسم سورة الكهف، وقد يطلق عليها اسم سورة أصحاب الكهف، وسبب تسميتها بهذين الاسمين يرجع إلى سببين:

أ. سورة الكهف: وقعت هذه التسمية للسورة في كلام الرسول– صلى الله عليه وسلم– في أحاديث عديدة، منها أن النبي –صلى الله عليه وسلم – قال: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ"،[8] وكما وردت تسميتها –أيضا– على لسان بعض الصحابة –رضوان الله تعالى عليهم– كابن مسعود، والبراء بن عازب، فعن البراء بن عازب قال: "كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ "بِشَطَنَيْنِ"،[9] فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم – فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ (تَتَنَزَّلُ)، بِالْقُرْآنِ"،[10] وهذا الاسم ورد لسورة الكهف كما يظهر في الحديثين السابقين وفي غيرهما من الأحاديث، سماها الرسول بسورة الكهف.

ب. سورة أصحاب الكهف: وتسمى–أيضا– سورة أصحاب الكهف، فقد وردت هذه التسمية في أحاديث رويت عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– منها: حديث فتنة الدجال

---

8 مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، *الجامع الصحيح مسلم*، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1348 هـ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث 257، 1/ 555.

9 شطنين تثنية شطن، الشَّطنُ: الحبل الطويل الشَّديد الفتل، يستقى به، ويقال: للفرس العزيز النَّفس: إنه لينزو بين شطنين. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري *العين*، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، 6/ 236.

10 البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصحيح *البخاري*، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: الأولى، دار طوق النجاة، بيروت، 1422 هـ، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف، رقم الحديث5011، 6/ 188.

وهو حديث طويل، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "...فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ الكَهْفِ..."،[11]

وجه التسمية: سميت سورة الكهف، وسورة أصحاب الكهف، لتضمنها المعجزة الربانية في قصة أصحاب الكهف التي ذكرتها السورة بالتفصيل، والتي تعتبر دليلا قويا وهاما على قدرة الله –تعالى– الساطعة الظاهرة.[12]

وسورة الكهف إحدى السور الخمس التي بدأت بالحمد لله : وهي الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، وهو استهلال يشير إلى إخلاص الإنسان عبوديته لله – تعالى–، وإقراره بأنعامه وأفضاله، وتنزيه الله –عز وجل–، والإعتراف بفضله وجلاله وعظمته.[13]

2.1. فضل سورة الكهف

وقد ورد في عظمة هذه السورة الكريمة أحاديث كثيرة، تدل على فضلها وشرفها، وبيان الاهتمام بها وقراءتها، سنذكر ما تيسر –إن شاء الله–، وهي ما يأتي:

1. عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أُنْزِلَتْ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"،[14] يظهر من عظمة سورة الكهف، ومن فضائلها أن من قرأها تكون له ضياء ونورا يوم القيامة ويوجد هذا النور بسبب قراءتها.

2. وعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِى يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ"،[15] ونلحظ

---

11 الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، *سنن الترمذي*، تح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط: الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1395 هـ– 1975 م، باب ما جاء في فتنة الدجال، رقم الحديث 2240، 4/ 511.

12 الدوسري، منيرة محمد ناصر، *أسماء سور القرآن وفضائلها*، ط: الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، 1426هـ، ص 255 .

13 الزحيلي، وهبة بن مصطفى، *التفسير المنير*، ط: الأولى، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418 هـ–1997 م، 15/ 196.

14 البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، *شعب الإيمان*، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد،ط: الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، 1423 هـ– 2003 م، باب ذكر الآية الجامعة للخير والشر في السورة، رقم الحديث 2221، 4/ 86.

مما سبق أن قراءة سورة الكهف تسبب في الدنيا راحة وسكينة وطمأنينة، وفي الآخرة تكون نورا ونجاة.

3. وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ"، وفي لفظ "عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ"،[16] والحديث يدل على أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– يحثنا على حفظ عشرة آيات في بداية سورة الكهف وقراءتها يوم الجمعة، ويبين أن هذه السورة الكريمة تكون سببا للنجاة من فتنة الدجال.

4. وعن سهل بن معاذ عن أبيه –رضي الله عنهما– قال: إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآخِرَهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ قَدَمِهِ إِلَى رَأْسِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ"،[17] فهذا الحديث يظهر من معناه فضل قراءة سورة الكهف وحفظها ولو كانت بعضاً من آياتها، وهناك أحاديث كثيرة تدل على فضل وأهمية هذه السورة ولكن اكتفينا بما سبق ذكره تجنبا للإطالة وبُعد عن الحشو الممل.

3.1. الأحاديث الواردة في أسباب نزول سورة الكهف، وعدد آياتها، ومكيتها

أ. الأحاديث الواردة في أسباب نزول سورة الكهف:

حينما كان النبي –عليه الصلاة والسلام– يدعو إلى دين القيم وهو دين الإسلام في مدة بقائه في مكة، قرر سادة الكفر إرسال بعض الرسل منهم إلى يهود المدينة، ليسألوهم عن نبوة رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وصفته ومدى صدقه في دعوته لأنهم أهل الكتاب، ظنوا أن اليهود يعلمون من أمر النبي –عليه السلام– أكثر مما هم يعلمون، فذهب بعض منهم مثل:

---

15 البيهقي، *السنن الصغرى*، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: الأولى، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي . باكستان، 1410هـ، 1989 م، باب فضل الجمعة، رقم الحديث 606 /1 233.

16 مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم الحديث 257، 1/ 555.

17 ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، *مسند*، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ط: الأولى، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ، 2001 م، باب حديث معاذ بن أنس الجهني، رقم الحديث 15626، 24/ 390.

النضر بن الحارث[18] وعقبة بن أبي معيط[19] إلى المدينة المنورة، وهناك التقوا بأحبار وعلماء اليهود وسألوهم عن رسول الله –عليه الصلاة والسلام–، ومن أسباب نزول سورة الكهف التي ذكر أن المشركين لما أهمهم أمر النبي–عليه السلام– وازدياد المسلمين معه، وكثر تساؤل الوافدين على مكة من قبائل العرب عن أمر دعوته،–عليه الصلاة والسلام–، قال ابن عباس[20] – رضي الله عنهما–: "بعثت قريش النضر بن الحرث، وعقبة بن أبي معيط، إلى أحبار اليهود بالمدينة، فقالوا لهما: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ووصفا لهم أمره وبعض قوله، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ فإنه كان لهم أمر عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فأقبلا حتى قدما على قريش، فقالا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاءوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فسألوه، فقال: أخبركم غدا بما سألتم عنه، ولم يستثن،– لم يقدم المشيئة ويقول: إن شاء الله– فانصرفوا، ومكث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيا، ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة، وحتى أحزن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله–تعالى– بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل

---

18 هو: النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر. الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، ط: الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1420 هـ– 1999 م، 1/ 258.

19 هو: عقبة بن أبي معيط بن أَبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، واسم أبي معيط أبان، وأم عقبة آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقتل عقبة يوم بدر. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي، *الطبقات الكبرى*، تح: عبد العزيز عبد الله السلومي، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، 1416 هـ، ص 167.

20 هو: عبد الله بن العباس، ويكنى بابن عباس، وهو ابن عم الرسول –صلى الله عليه وسلم–ولد في الشعب قبل خروج بني هاشم منه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، و(المتوفى: 68 هـ)، وهو ابن إحدى وسبعين سنة. الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله، *نسب قريش*، تح: ليفي بروفنسال، ط: الثالثة، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ص 26.

الطواف،[21] وقول الله-عزوجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾"،[22] وكفار مكة حاولوا أن يختبروا النبي – صلى الله عليه وسلم- بكل ما استطاعوا حتى حدث منه -صلى الله عليه وسلم- شيء مخالف من أمر دعوته -صلى الله عليه وسلم- يتبين لنا مما ذكر أنهم سألوه عن أمر الأمم الماضية، ولكن الله- تعالى- أيد نبيه بأكبر معجزة وهي القرآن الكريم ذكر فيه أخبار الأمم الماضية، حتى يكون لنبيه – صلى الله عليه وسلم- تأييداً ونصرةً على من تحداه من الكفار.

قال ابن عباس: اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وأبو البختري، في مجموعة من كفار قريش، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد عَظُمَ عليه ما يرى من قومه تجاه دعوته، وإنكارهم ما جاء من النصيحة، فأحزنه حزنًا شديدًا،[23] فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾،[24] وهذه الرواية أوفق لسبب النزول من كون المراد والمقصد من بعد موتهم على الكفر والضلالة، حيث يأسف الكفار من بعد موتهم بما لم ينصروا نبيهم ولم يؤيدوه.

قال ابن عباس -أيضا- في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾،[25] نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي – صلى الله عليه وسلم- إلى أمر كرهه من طرد الفقراء عنه وتقريب كبار كفار أهل مكة فنزلت الآية[26]، وروي انه لما نزل قوله تعالى:﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾،[27] فقالوا: "أيام أو أشهر

---

[21] ينظر السيوطي، *لباب النقول في أسباب النزول*، تح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 129-131.

[22] الإسراء 17 / 85.

23 ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

24 الكهف 18/ 6.

25 الكهف 118/ 28.

26 الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي، *أسباب النزول*، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: الثانية، الناشر: دار الإصلاح، الدمام، 1412 هـ- 1992 م، ص 298.

27 الكهف 18/ 25.

أو سنين؟ فنزلت:[28]﴿سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾"،[29] يعني حينما أُخْتُلِفَ في مدة إقامة أصحاب الكهف أنزل الله –سبحانه وتعالى– هذه الآية التي تشير إلى مدة إقامتهم في الكهف.

وعن ابن عباس–أيضا– قال: "حلف النبي –صلى الله عليه وسلم– على يمين فمضى له أربعون ليلة"،[30] فأنزل الله قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾.[31] فاستثنى بعد أربعين ليلة، كأنما قيل له: اعلم أنه كان خاصًّا بالشارع وليس لأحد منَّا أن يستثني إلا بصلة اليمين.

وأيضا قال ابن عباس: قال اليهود: أوتينا علما كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا[32]، فنزل قوله تعالى:﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾،[33] وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾،[34] وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف الموقف أريد وجه الله، وأريد أن يرى موطني فلم يرد عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– شيئا،[35] حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ...﴾ الآية السابقة. هذه الآيات في ذاتها تدل كل واحدة منها على موضوع مستقل، إلا أنّها متصلة بموضوع هذه السورة، لأن القصص الواردة في السورة ترفع الستار والحجاب عن مواضيع جديدة، وكأنّما يعلمنا القرآن الكريم من خلال هذه الآيات: أن الاطلاع على قصة أصحاب الكهف، وموسى والخضر، وذي القرنين، يدل على أنه لا انتهاء لعلم الله –سبحانه وتعالى– فعلم الله–تعالى–لا ينفد ولو كتب بمداد البحار.

---

28 ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، *غريب القرآن*، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398 هـ – 1978م، ص 266.

29 الكهف 18/ 25.

30 السيوطي، *لباب النقول في أسباب النزول*، ص 130–131.

31 الكهف 18/ 23– 24.

32 السيوطي، *لباب النقول في أسباب النزول*، ص 130–131.

33 الكهف 109/18.

34 الكهف 18/ 110.

35 ابن البيع، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، *المستدرك على الصحيحين*، بن نُعيم بن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ– 1990 م، 2/ 122.

ب. عدد آيات سورة الكهف:

في الحقيقة هناك اختلاف بين العلماء في عدد آيات سورة الكهف، حيث قيل: إن عدد آياتها في عدد قراء المدينة ومكة مائة وخمس آية، وفي عدد قراء الشام مائة وست آية، وفي عدد قراء البصرة مائة وإحدى عشر، وفي عدد قراء الكوفة مائة وعشر.[36]

وقد بيَّن ذلك الأمر الفيروز آبادي مؤكدا أن سورة الكهف مكيّة باتفاق العلماء، وأن عدد آياتها مائة وعشر عند الكوفيين، وست عند الشَّاميّين، وخمس عند الحجازيّين، وإحدى عشرة عند البصريّين، وأن عدد كلماتها أَلف وخمسمائة وتسع وسبعون كلمة، أما عدد حروفها فهو ستَّة آلاف وثلاثمائة وستّ حرفا، وفواصل آياتها تنتهي بحرف الأَلف.[37]

ج. مكية سورة الكهف ومدنيتها:

قال مقاتل: "سورة الكهف من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيداً جُرُزاً﴾ –الآية الثامنة– مدنيّ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾ – السابعة والثامنة من المائة– الآيتان مدنيّة، وباقيها مكيّ"،[38] والمشهور بين العلماء أن سورة الكهف نزلت كلها بمكة، ومن السور التي نزلت جملة واحدة، وقد نزلت في العهد المكي، حيث لقي الرسول ومن آمن معه في هذه الفترة العديد من المحن، فجاءت سورة أصحاب الكهف، تسلية وتثبيتا لقلب النبي –صلى الله عليه وسلم –، نزلت بعد سورة الغاشية، وقبل سورة الشورى، وهي الثامنة والستون في ترتيب نزول سور القرآن الكريم،[39] وهي مكية في قول جميع المفسرين.[40]

---

36 ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، *التحرير والتنوير*، ط: الأولى، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1420هـ – 2000 م، 15/، وينظر: سعاد، معروف، *القيم التربوية في قصص سورة الكهف – دراسة تحليلية مقاصدية*، رسالة ماجستير، السنة الجامعية 1434– 1435هـ، 2013– 2014 م، ص 19.

37 الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، تح: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1/ 297.

38 ابن قيم الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، *زاد المسير في علم التفسير*، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي – بيروت– 1422 هـ، 3/ 63.

39 ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 15/ 242، وشحاتة، عبد الله محمود، *أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم*، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1976م، ص200.

4.1. موضوعات ومقاصد سورة الكهف

أ. موضوعات سورة الكهف:

إن المحور الرئيس لسورة الكهف الذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله سياقها -كأي سور مكية- هو تصحيح العقيدة، وتصحيح منهج النظر والفكر، لا سيما أنها جمعت لنا معظم الفتن: فتنة الدين التي تمثلت في قصة أصحاب الكهف، وفتنة المال التي تمثلت في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم التي تمثلت في قصة موسى -عليه السلام- مع الخضر، وفتنة الملك والسلطة التي تمثلت في قصة ذي القرنين.

والقصص هو السمة الغالبة على سورة الكهف، ففي أولها تجيء قصة أصحاب الكهف، وبعدها قصة صاحب الجنتين، وفي وسطها تجيء قصة موسى -عليه السلام- مع الخضر، وفي نهايتها قصة ذي القرنين، ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، ويمكن تقسيمه إلى ما يأتي: ثلاث قصص ظاهرة، وبعض منها واردة على شكل أمثال، وهي بالشكل الآتي:

القصص الواردة بشكل ظاهر في سورة الكهف:

1. قصة أصحاب الكهف، وهي رمز سام للتضحية بالوطن، والأهل، والأقارب، والأصدقاء، والأموال في سبيل العقيدة، فقد فرّ هؤلاء الشباب الفتية، المؤمنون بدينهم، من بطش الملك الوثني، واحتموا في جبل، فضرب الله على آذانهم بالنوم ثلاث مائة وتسع سنين قمرية، ثم بعثهم، وأظهر الله -تعالى- فيهم الدليل المادي الحسي على قدرته، ليقيم دليلا محسوسا للناس على قدرته - سبحانه وتعالى- على البعث والإعادة، وعلى أن يوم القيامة آت لا محالة عاجلا أم آجلا،[41] وتبدأ هذه القصة في سورة الكهف من الآية التاسعة إلى الآية السادسة والعشرين.

---

[40] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، *الجامع لأحكام القرآن*، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ- 1964 م، 10/ 346.

41 الخازن، أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، *لباب التأويل في معاني التنزيل*

تح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، 1415 هـ، 3/ 162، والشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، *فتح القدير*، ط: الأولى، دار ابن كثير، بيروت، 1414هـ، 3/ 331، والزحيلي، *التفسير المنير*، 15/ 198.

2. القصة الثانية هي قصة موسى – عليه السلام– مع الخَضر، وهي تُعَبِّر عن التواضع في سبيل طلب العلم، في حين قد بلغ موسى–عليه السلام– من علو المرتبة الدينية ما بلغ، ولكنه تواضع لذلك العَالِم –الخضر– الذي آثره الله –تعالى– بعلم خاص، فسافر إليه موسى –عليه السلام– لطلب ذلك العلم وابحث عنه وتحمل الكثير من المتاعب في سبيله، وما جرى من الأخبار الغيبية التي لم يعرفها –عليه السلام–، للذي أعلمه الله – تعالى– بها عن طريق ذلك العبد الصالح، ومنها قصة خرق السفينة، وحادثة قتل الغلام، وبناء الجدار،[42] وتبدأ هذه القصة في سورة الكهف من الآية الستين إلى الآية الثانية والثمانين.

3. القصة الثالثة هي قصة ذي القرنين، وهي عبرة للحكام والأمراء، إذ إن ذا القرنين تمكن من السيطرة على العالَم، من مشارق الأرض ومغاربها، ومن بنائه للسد العظيم، وكذلك مع ما اتصف به من التقوى والعدل والإيمان، وتعد هذه القصة مثالا بارزا رائعا مستمدا من الواقع، لإظهار أن الحق لا يقترن بشخص، وإنما يرتبط بالإيمان والتمكين،[43] وتبدأ هذه القصة في سورة الكهف من الآية الثالثة والثمانين إلى الآية الثامنة والتسعين.

القصص الواردة على شكل أمثال:

من القصص التي وردت في صورة المثل في سورة الكهف قصة صحاب الجنتين وضرب المثل بالحياة الدنيا، فقد ضرب الله –عز وجل– في القرآن الكريم القصص على شكل أمثال للحياة الدنيا الزائلة وما فيها من المتاع القليل، ومن هذه الأمثال ما يلي:

1. قصة صاحب الجنتين، مثال رائع للمقارنة بين الغني المغتر بماله، والفقير المعتز بإيمانه حيث تقع هذه القصة من الآية الثانية والثلاثين إلى الرابعة والأربعين، قال –سبحانه وتعالى–: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾.[44]

2. المثل الثاني الذي ضرب في سورة الكهف هو مثل الحياة الدنيا، لإنذار الناس بفنائها وزوالها، وأردف ذلك بقلة بقائها، وقد تناولته الآيتان الخامسة والأربعون والسادسة

---

42 حبيب، حورية، *أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم سورة الكهف نموذجا*، ط: الأولى، دار قرطبة، الجزائر، 1428هـ– 2008 م، ص 164.

43 الزحيلي، *التفسير المنير*، 15/ 198.

44 الكهف 18/ 32.

والأربعون من سورة الكهف،[45] فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾.[46]

ب. مقاصد سورة الكهف:

بعد توضيح ما اشتملت عليه سورة الكهف من مواضيع مختلفة، نذكر بإيجاز المقاصد التي تضمنتها هذه السورة الكريمة: فقد اشتملت هذه السورة على الكثير من المقاصد والدروس والعظات أذكر منها ما يلي:

1. افتتحت بالتحميد على إنزال الكتاب للتنويه بشأن القرآن الكريم، تطاولاً من الله – تعالى– على المشركين ومتبعيهم من أهل الكتاب.[47]

2. من المقاصد التي ذكرتها السورة بيان ابتلاء الله –تعالى– وامتحانه لعباده، وبخاصة الكفار منهم وأهل الكتاب، بالحياة الدنيا وزينتها، وأنها لا تكسب النفوس تزكية وتبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالأجر العظيم والثواب الكبير،[48] كما في قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾.[49]

3. ومن تلك المقاصد – أيضا– إظهار قدرة الله –تعالى– على تسخير هذا الكون وما يدور في فلكه من السنن الكونية التي أودعها الله –سبحانه وتعالى– فيه، وقدرته على صنع المعجزات والخوارق الباهرة،[50] كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.[51]

---

45 سعاد، *القيم التربوية في قصص سورة الكهف*، ص 23.

46 الكهف 18/ 45.

47 ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 15/ 245.

48 ينظر: سعاد، *القيم التربوية في قصص سورة الكهف*، ص 24.

49 الكهف 18/ 1– 4.

50 السويدان، فهد بن عبد الرحمن، *الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف*، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة إمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1403 هـ– 1404، ص 17.

51 الكهف 18/ 7.

4. وقد ورد في السورة الكريمة مقصد إثبات البعث واليوم الآخر، وما فيه من الأهوال والعذاب للكافرين، والثواب الكبير للمؤمنين والصالحين من عباده،[52] كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾،[53] وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾،[54] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا*أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.[55]

5. ومن عظيم المقاصد التي أرشدت إليها سورة الكهف إثبات وحدانية الله–تعالى– واستحقاقه للعبودية دون غيره من الآلهة، وكذلك إنذار المشركين الذين نسبوا لله – تعالى– ولداً، وبشارة للمؤمنين الموحدين، في قوله تعالى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾،[56] وقوله – سبحانه وتعالى–: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾،[57] وقوله – سبحانه وتعالى–: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾،[58] وقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.[59]

---

52 ينظر: سعاد، *القيم التربوية في قصص سورة الكهف*، ص 23.
53 الكهف 18/ 21.
54 الكهف 18/ 99 – 101.
55 الكهف 18/ 30 – 32.
56 الكهف 18/ 4.
57 الكهف 18/ 14– 15.
58 الكهف 18/ 37– 38.
59 الكهف 18/ 110.

6. ومن هذه المقاصد التي ركزت عليها سورة الكهف نهي الله –تعالى– المؤمنين عن الخوض في الأمور الغيبية، وعن الجدال فيما ليس لهم به علم، وتعليمهم أن الغيب من علم الله –تعالى– الذي يختص به وحده، كما في قوله تعالي: ﴿... قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ...﴾،[60] وفي قوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.[61]

7. ومن هذه المقاصد– أيضا– تذكرة المؤمنين بأن لا يُقدموا على أي عمل من الأعمال إلا بعد طلب الهداية والتوفيق من الله –تعالى–، وبأن يذكروا الله –تعالى– دائما وخاصة في حال النسيان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾.[62]

8. ومنها – أيضا– بيان أن ما فعله الله – تعالى– بأهل الكهف ليس بأعجب من آيات الله في السموات والأرض وما بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.[63]

9. التأكيد على أن الله –تعالى– يستجيب دعاء المؤمنين الصادقين، ويهيئ لهم أسباب النجاة والرزق، كما نرى في قصة أصحاب الكهف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾،[64] وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.[65]

10. في السورة الكريمة إشارة إلى أن ما يصيب الإنسان من خير وشر، إنما هو بمشيئة الله –تعالى– وتدبيره، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا

---

60 الكهف 18/ 19.
61 الكهف 18/ 22.
62 الكهف 18/ 23– 24.
63 الكهف 18/ 9.
64 الكهف 18/ 16.
65 الكهف 18/ 10.

قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقاً أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾.[66]

11. ومن هذه المقاصد التي اهتمت بها سورة الكهف وصف القرآن الكريم بأنه قيم، لكونه زاجراً عن الشرك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل في سورة الإسراء، من أنه لا وكيل دونه، ولا إله إلا هو، وقاصًّا -بالحق-، أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم، وفق ما وقع الخبر به في سورة الإسراء، من أنه يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء وأدل ما فيها على هذا المقصد، قصة أهل الكهف، لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص، مع أن سبب ترك قومهم الشرك، وكان أمرهم موجباً بعد طول رقادهم للوحدانية، وإبطال الشرك وعبادة غير الله – تعالى-،[67] ويفصل القرآن الكريم بين الشرك والإيمان، وبين الحق والباطل، ويبين أن الله – سبحانه وتعالى- يفضل من يشاء، وضرب مثلا بأصحاب الكهف حيث فضلهم الله – تعالى- على الناس في ذاك الزمان، وهربوا من قومهم بدينهم وإيمانهم وعقيدتهم وأبطلوا الشرك.

12. ومن هذه المقاصد- أيضا- الشوق والإيمان وآثارهما في نفوس المؤمنين، ومن تلك الآثار: اختيار المؤمن العزلة والهجرة وترك الوطن، وعدم الرضوخ للحكام الظالمين وجبروتهم، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾،[68] -وأيضا- في قوله – تعالى-: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.[69]

13. ومن هذه المقاصد بيان أن الصراع دائم منذ الأزل بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.[70]

14. ومن المقاصد التي ركزت عليها سورة الكهف أن الله -تعالى- قدَّم على قصة ذي القرنين قصة أهم منها، وهي قصة موسى -عليه السلام- والخضر، لأن كلتا القصتين تشابهتا

---

66 الكهف 18/ 39 – 41.

67 البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، *مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور*، ط : الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، 1408 هـ – 1987 م، 2/ 244.

68 الكهف 18/ 16.

69 الكهف 18/ 13.

70 الكهف 18/ 50.

في السفر، لغرض شريف، فذو القرنين خرج لبسط سلطانه ونشر العدالة على الأرض، وموسى –عليه السلام– خرج في طلب العلم، ونشر العلم والتعب من أجله أهم من السلطة،[71] وجاءت قصة ذي القرنين مباشرة بعد قصة موسى–عليه السلام– مع الخضر، لأنهما تشابهتا في الخروج والسفر، فخروج ذو القرنين لنشر العدالة، وخروج موسى–عليه السلام– لطلب العلم ليتعلم من الخضر العلم.

15. ومن مقاصد سورة الكهف تسلية الرسول – صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين،– خاصة وأنها نزلت في وقت محنة وابتلاء المسلمين بألوان العذاب من المشركين، وفيه بيان أن الفرج يأتي بعد الشدة، وإرشاد الرسول – صلى الله عليه وسلم– وتثبيته وأن الحق فيما أخبر به.[72]

16. إضافة إلى ما ذكرت من المقاصد السابقة: إن الصلة وثيقة بين أول السورة وخاتمتها في إثبات وحدانية الله–تعالى–، وأن القرآن الكريم وحي من عند الله –تعالى– إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم– فكان هذا الختام محسن بديعي في علم البلاغة يسمى رد العجز على الصدر.[73]

17. وأخيرا وليس آخرا فقد جاء في السورة وصف للقائد الصالح المؤمن، وذكرت مقومات القيادة المؤمنة من القوة من غير بطش، ورجاحة العقل، وسداد الرأي، وشدة البصيرة، وهي صفات تعين على مناهضة الظلم والظالمين، ووضع الأمور في نصابها، ونشر العدل والإحسان، والقيام بأعظم الأعمال مع التواضع، وبعد ذلك ترك النتائج إلى الله–عز وجل–.[74]

هذا بالنسبة لمقاصد السورة تفصيلا، وقد أحسن الفيروز آبادي صنعا حينما جمع مقاصد السورة إجمالا فوضح أن مقصود السورة هو بيان نزول القرآن على سَنَن السّداد، وتسلية النبي –صلى الله عليه وسلم– في تأخّر الكفَّار عن الإيمان وعدم هدايتهم، كما أن فيه بيانَ عجائب ما حدث لأصحاب الكهف، فأَمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالصبر على الفقراءِ، وهدد الكفَّار بالعذاب والبلاءِ، ووعد المؤمنين بحسن الثَّواب، وتمثيل حال المؤمن والكافر بحال الأَخوين الإسرائيليّين صاحبي الجنتين، وضرب مثلا للدنيا بماء السّماءِ ونبات الأَرض، وبيان

71 ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 15/ 245.

72 ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 15/ 246.

73 ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، 15/ 246.

74 السويدان، *الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف*، ص 22.

أَنَّ الباقي من الدّنيا طاعة الله–تعالى– فقط، وبيَّن أَحوال يوم القيامة وأهوالها، وقراءَة الكتب، وعَرْض الخَلْق على الحق، وامتناع إبليس عن السجود لسيدنا آدم –عليه السلام–، ومذلة الكفار عند سوقهم إلى جهنم وبئس المهاد، وجدال أَهل الباطل مع المحسنين الأَبرار، والتهديد بإهلاك الأُمم الماضية وإِذلالهم، وحديث موسى وغلامه والعبد الصالح، وعجائب أَحوالهم، وقصة الحاكم الصالح ذي القرنين، وإِتيانه إِلى المشرقين والمغربين، وبنيانه لسدّ يأجوج ومأجوج، وما يتَّفق لهم آخر الزمان من نقب السد والخروج منه كعلامة من علامات يوم القيامة، وذكر رحمة بالناس في الآخرة فقد وسعت رحمته كل شيء، وضياع عمل الكفر، وثمرات سعي المؤمنين الأَخيار، وبيان أَن كلمات القرآن لا نهاية لها، ولا غاية لكثرتها، والأَمر بالإخلاص في العمل الصّالح طوال الوقت.[75]

75 الفيروز آبادي، *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*،1/ 298.

2. القصص الواردة في سورة الكهف، والدروس المستفادة منها

1.2. تعريف القصّة القرآنية

جاءت القصة في القرآن الكريم لخصائص وأغراض متعددة، وسورة الكهف من السور التي احتوت على بعض القصص التي عالجت كثيرا من القضايا، ومن أهمها قضية العقيدة والإيمان، وقبل البدء في ذكر الدروس المستفادة من سورة الكهف، اذكر أولا تعريف القصة في اللغة والاصطلاح.

أ. **القصة لغة:** كلمة قصة مشتقة من الجذر الثلاثي (ق ص ص)، ويدور هذا الجذر حول معنى التتبع والبيان والقطع، وكلمة القصة تأتي بمعان شتى منها: القص، وهو فعل القاصِ إذا قصَّ القِصَصَ، وقصة، يعني الجملة من الكلام، مثل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾،[76] بينت لك أحسن التبيان وكذلك يقال: قصصت الشيء، إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾،[77] أي اتبعي أثره.[78]

وتطلق القصة- أيضا- على الخبر، وهو القَصص، وقصَّ عليَّ خبره يقُصه قصاً وقصصاً، والقصص الخبر المقصوص، وضِع موضع المصدر حتى غلب عليه وصار علما له، والقِصص بكسر القاف جمع القصة التي تكتب، وتقصص الخبر تتبعه، والقِصة: الأمر والحديث، واقتصصت الحديث رويته على وجه، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، ويقال: خرج فلان قصصاً في أثر فلان وقصاً، وذلك إذا اقتصَّ أثره وعرف خبره،[79] ومنه – أيضا- قَصَّ أثَرَه قَصّاً وقَصيصاً: تَتَبَّعَه، والخبرَ: أعْلمهُ.﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾،[80] رجعا من السبيل الذي

---

76 يوسف 12/ 3.

77 القصص 28/ 11.

78 الزمخشري، أبو القَاسِم، جار الله محمود بن عمر، *أساس البلاغة*، تح: عبد الرحيم محمود، ط: الأولى، مطبعة أورفاند، القاهرة، 1953 م، ص 770 – 771، وابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري. *لسان العرب*، ط: الأولى، دار صادر، بيروت، 1968 م، 7 /73 – 75.

79 ابن منظور، *لسان العرب*، 74/7.

80 الكهف 18/ 64.

سلكاه يقصان الأثر، وقص الشعر والظفر: قَطع منهما بالمقص، المقراض، وهما مقصان، والقص والقصص: الصدر، أو رأسه، أو وسطه، أو عظمه.[81]

ومن خلال المعاني اللغوية السابقة يتبين أن القصة في أصلها اللغوي مأخوذة من القصّ وتأتي على ستّة معان هي: المتابعة، الخبر، الحفظ، القطع، البيان، والصدر من كل شيء.[82]

ب. القصة القرآنية اصطلاحا:

للقصة القرآنية عند العلماء تعريفات كثيرة منها: أن القرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام.[83]

ويمكن أن يعبر عن القصة القرآنية بعبارة أخرى فيقال: هي مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة.[84]

وقد عُبّ أن القصة هي عبارة عن أخبار وأحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.[85]

وبالنّظر إلى التّعريفات السابقة يمكن تعريف القصة القرآنية مختصرا بأنها: كلام مشتمل على الأخبار السابقة واللاحقة والأحداث الواقعة في عهد النبوّة جاءت للعبرة والعظة والهداية والإرشاد إلى الحق.

---

81 الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، *القاموس المحيط*، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط: الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426 هـ – 2005 م، ص 627.

82 سعاد، *القيم التربوية في قصص سورة الكهف–دراسة تحليلية مقاصدية*، ص7.

83 الخطيب، عبد الكريم، *القصص القرآني في منطوقه ومفهومه – دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف*، دار المعرفة، بيروت، 1395هـ– 1975 م، ص40.

84 الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري، *مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير*، ط: الثالثة، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، 1420 هـ، 8/ 250.

85 القطان، مناع بن خليل، *مباحث في علوم القرآن*، ط: الثالثة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1421هـ– 2000 م، ص 317– 316.

وقد وردت في القرآن الكريم قصص كثيرة، وقصص متنوعة، ومن ضمن هذه القصصِ القِصصُ التي وردت في سورة الكهف، وهي من القصص المتنوعة، وقد تناولت هذه القصص المواضيع المفيدة والمهمة، والقصص التي وردت في هذه السورة هي: قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى–عليه السلام– مع الرجل الصالح، وقصة صاحبي الجنتين، وكذا قصة ذي القرنين، ومما يلي نذكر هؤلاء القصص بالشكل التالي:

2.2. قصة أصحاب الكهف

وقبل أن أبدأ بسرد القصة وأحداثها، أريد أن أقول: بأن الله ذكر القصص في القرآن الكريم للتفكر والاعتبار والاتعاظ، كما قال عز وجل: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾،[86] وكقوله –تعالى أيضا– مبينا فائدة وأهمية القصص، وتأثير القصص على نفس الإنسان وعقله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾،[87] من أراد أن يعيش مع قصص القرآن سيفتح الله له من أبواب البصيرة والمعرفة، فعند ذلك يشعر بلذة المعرفة التي حصَّلها، إن قصة أصحاب الكهف من أحسن القصص القرآني المصور في صدقه، وسرد حقائقه، وهي في كل جزئية من جزئياتها تبين وتصور الأمر كأنَّه مرئي ومحسوس، لا مذكور بالخبر فقط.[88]

وفي قصة أصحاب الكهف روايات مختلفة، وأقاويل كثيرة، فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير بصور متنوعة، ولكنني في بحثي هذا سوف أكتفي بما ورد من الصحيح من، لأنه، ونطرح سائر الروايات والأساطير التي اندست في التفاسير بلا سند صحيح، ونذكر فيا ورد في سرد قصة أصحاب الكهف والدروس المستفادة منها.

إن الطريقة التي اتبعتها في عرض هذه القصة من الناحية الفنية هي طريقة التلخيص الإجمالي أولا: ثم العرض التفصيل ثانيا: وهذا هو مفتتح القصة في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾،[89] لا تحسب أن قصة أصحاب الكهف والرقيم، عجيبة بالإضافة إلى آياتنا، بل زينة الأرض وعجائبها أبدع وأعجب من قصة

---

86 الأعراف 7/ 176.

87 يوسف 12/ 111.

88 أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، *المعجزة الكبرى القرآن*، دار الفكر العربي، بيروت، ص 155.

89 الكهف 9/18.

أصحاب الكهف، كما بيَّن الزجاج قائلا [90]: أعلم الله -عز وجل- أن قصةَ أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات الله، لأنّا نشاهد من خلق السموات والأرض وما بينهما، مما يدل على توحيد اللَّه-تعالى- ما هو أشد عجبا من قصة أصحاب الكهف،[91] فقال جل وعز: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.[92]

الكهف: جمعه الكهوف، ويقال: فلان كهف، أي ملجأ، الكهف: كالمغارة في الجبل إلا أنه أوسع مِنْهَا، فإذا صغُر فهو غار.[93]

والرقيم: قيل عنه: إنه لوح رصاص كُتبت فيه أنساب أصحاب الكهف وأسماؤهم ودينهم، وقيل: اسم القرية التي كانوا يعيشون فيها، وقيل: إنه اسم الجبل الذي فيه الكهف.[94]

وبعد هذا التلخيص المشوق للقصة يوضح السياق لنا تفصيلات القصة، ويبدأ هذه التفصيلات بأن ما سيقصه الله-تعالى- منها هو فصل الخطاب في الروايات المتضاربة والمتعددة، وهو الحق اليقين،[95] فقال -تعالى- في تفصيل قصتهم: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾،[96] هذه الآية هي مطلع القصة وشروع فِي بسطها

---

90 هو: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج، ولد في بغداد (241 هـ- 855 م)، و(المتوفى:311 هـ- 923 م)، صاحب كتاب معاني القرآن، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب، *تاريخ بغداد*، تح: بشار عواد معروف، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ- 2002 م، 6/ 613.

91 الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، *معاني القرآن وإعرابه*، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: الأولى، عالم الكتب بيروت، ، 1408 هـ - 1988 م، 3/ 270، وابن منظور، *لسان العرب*، 1414 هـ، 9/ 310.

92 الكهف 9/18.

93 الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ - 1987 م، 4/ 1425، وابن منظور، *لسان العرب*، 9/ 310.

94 الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي، *تهذيب اللغة*، تح: محمد عوض مرعب، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001 م، 122/9.

95 قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، *في ظلال القرآن*، ط: السابعة عشر، دار الشروق، القاهرة، 1412 هـ، 4/ 2261.

96 الكهف 18/ 13.

وشرحها، فقد ألهم الله الشباب رشدهم وآتاهم تقواهم، فآمنوا بربِهِم، واعترفوا له بالوحدانية، وشهدوا أنَّه لا إله إلَا هو.[97]

3.2. عدد أصحاب الكهف وديانتهم

أ. عدد أصحاب الكهف:

وردت روايات وأخبار عديدة في عدد أصحاب الكهف، وكلما تطاول العهد على قصة من القصة فتكثر حولها الأقاويل منها الصحيح ومنها المندس بقصد التشويق الإثارة من الرواة، فيزيدون وينقصون ويضيفون من الأمور الخيالية المتنوعة، فهذا الجدل والنقاش حول عدد الفتية -أصحاب الكهف- لا طائل من وراءه، لذلك يوجه القرآن الكريم الرسول المعظم – صلى الله عليه وسلم- إلى ترك الجدل في هذه القضية، وإلى عدم استفتاء أحد من المتجادلين في شأنهم، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾،[98] "سيقول بعض الخائضين في أمر الفتية من أصحاب الكهف، هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، قذفا بالظنّ من غير يقين وعلم، كما قال قتادة[99]: في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، قذفا بالغيب، في قوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ قذفا بالظنّ، وقوله ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، يقول بعض العلماء: أن عددهم سبعة وثامنهم كلبهم، ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾، يقول الله –عز وجل– لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–: قل يا محمد

---

97 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، تح: سامي بن محمد سلامة، ط: الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ – 1999 م، 5/ 140.

98 الكهف 18/ 19-20.

99 هو: قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، ولد (61هـ-680 م)، و(المتوفى: 118هـ- 737 م)، هو مفسر حافظ ضرير أكمه، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان مع علمه بالحديث، رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي، *الأعلام*، ط: الخامسة عشر، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، 2002 م، 5/ 189.

لقائلي هذه الأقوال في عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب، ﴿قل رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إلا قَلِيلٌ﴾، ما يعلم عددهم، إلا قليل من خلقه".[100]

يقول تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ...﴾،[101] مخبراً عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف، فحكى ثلاثة أقوال، فدل على أنه لا قائل برابع، ولما ضعَّف القولين الأولين بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾، قولاً بلا علم كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب هدفه، وإن أصابه فبلا قصد، ثم حكى الثالث وسكت عنه، أو قرره بقوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾،[102] فدل على صحته، وأنه هو الواقع في نفس الأمر، وقوله: ﴿قل رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ﴾، إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله –تعالى–، إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم، لكن إذا تيقنا من أمر قلنا به وإلا سكتنا، وقوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، من الناس، قال ابن عباس: أنا من القليل الذي استثنى الله –عز وجل–، كانوا سبعة، فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة، وهو موافق لما قدمناه، وهو استدلال دقيق من كتاب الله –عز وجل–، وذلك أن الله –سبحانه وتعالى– أبطل قولين، وسكت عن الثالث، فأرشد إلى القول الراجح، وأرشد إلى ثمرة الخلاف، وما ينبغي في مثل هذا الموطن.[103]

يبدو لنا من هذه الآية أن عدد أصحاب الكهف من الأمور التي استأثر الله–تعالى– بعلمه، فلا يعلمها إلا الله –عز وجل–، ويبدو –أيضاً– أن الله لم يحدد عددهم، لأنه لم يكن هناك ثَمَّة دروس وعِبر في معرفة العدد، وإنه ليستوي أن يكونوا ثلاثة أو خمسة أو سبعة، أو أكثر، وعلمهم عند الله، فلا ضرورة إذن للجدل الطويل حول عددهم، والدروس والعبر في أمرهم حاصلة بالقليل وبالكثير.

ب. ديانة أصحاب الكهف:

رويت عن ديانة هؤلاء الفتية – أصحاب الكهف– روايات وأقاويل كثيرة ومضطربة، أوثقها أن هؤلاء، كان قد قدم إلى مدينتهم من يدعو إلى الإيمان بالله –تعالى–، وبما جاء به

---

100 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تح: أحمد محمد شاكر، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ– 2000 م، 17/ 641.

101 الكهف 18/ 22.

102 الكهف 18/ 22.

103 ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، تح: سامي بن محمد سلامة، ط: الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1420 هـ – 1999 م، 5/ 147.

عيسى –عليه السلام–، ممن كان على قدم الحواريين، فاستجاب، لذلك هؤلاء الفتية الذين قصَّ الله عليهم قصتهم، وخلعوا الوثنية التي عليها قومهم وفرّوا بدينهم خشية أن يفتنهم ملكهم عن دينهم أو يقتلهم، فاختبأوا منه في الكهف.[104]

كانت الفِتية على دين عيسى –عليه السلام– على الفطرة، وكان اسم ملكهم "دقيانوس"[105] كان كافرا، وقد أخرج لهم صنما وأمرهم بعبادته، حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان، فمنهم من كفر، ومنهم من استمر وصبر على دينه فقُتل، وعظُمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك، حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى بن مريم، متمسكون بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم، ملك من الروم يقال له: "دقيانوس"، كان قد عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين عيسى بن مريم، كان ينزل في قرى الروم، فلا يترك في قرية ينزلها أحد ممن يدين بدين عيسى بن مريم إلا قتله، حتى يعبد الأصنام، ويذبح للطواغيت، حتى نزل دقيانوس مدينة الفِتية أصحاب الكهف، فلما نزلها كَبُر ذلك على أهل الإيمان، فاستخْفُوا منه وهربوا في كلّ وجه وفرّوا بدينهم خشية أن يفتنهم ذلك الطاغية عن دينهم أو يقتلهم فاستخفوا منه في الكهف.[106]

لم يصرح القرآن الكريم باسم ديانتهم التي كانوا يدينون بها، ولكن المهم أنهم كانوا موحدين، ونفهم من قصتهم في كل زمان ومكان أن هناك رجال وحدوا الله وصاروا على الحق ولم يفتنوا، ونفهم من خلال حياتهم وقصتهم أن الشباب أسرع إلى الحق، الذين يدافعون عن الحق والدين أكثرهم الشباب في عصر كل الأنبياء.

قصة أصحاب الكهف هي من القصص الذي قصه الله –تعالى– على نبيينا محمد –صلى الله عليه وسلم– حيث يقول الله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾،[107] فذكر تعالى أنهم فتية –أي في ريعان الشباب– لذلك هم

---

104 القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، *محاسن التأويل*، تح: محمد باسل عيون السود، ط: الأولى، دار الكتب العلميه، بيروت، 1418 هـ، 7/ 9.

105 هو: ملك جبار كان يدعوا إلى عبادة الأوثان، لم يأت اسمه في الكتاب وفي السنة، ولكن في بعض الكتب جاء اسمه بـ "دقيانوس". جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ– 1992 م، 2/ 152، وابن كثير، *البداية والنهاية*، 2/ 114.

106 الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 17/ 604– 606.

107 سورة الكهف 18/ 10.

أشد قبولا للحق وأهدى للسبيل، من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله – تعالى– ولرسوله –صلى الله عليه وسلم– شبابا، وأما عامة شيوخ قريش فاستمروا على ضلالهم، ولم يسلم منهم إلا القليل، وهكذا أخبر –تعالى– عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شبابا، فاستخفوا في الكهف، واعتزلوا فيه، يعبدون الله – تعالى– وحده، ويذرون ما عبد آباؤهم من الأصنام والطواغيت.[108]

ومن قديم الزمان الذين يدافعون عن الحق وينصرون الدين أكثرهم وغالبهم شباب، كما يبدو لنا من خلال قصة أصحاب الكهف وهم في وقت عظمت الخطايا والكفر والشرك، ولكنهم أعلنوا إسلامهم ودينهم وعقيدتهم، وأنكروا ما فعل قومهم من الكفر والشرك، وفروا بدينهم، واختاروا إيمانهم على الثروة ونِعم الدنيا، واعتزلوا قومهم وآووا إلى الكهف حتى يتيسر لهم أن يعبدوا الله –تعالى– وحده.

4.2. إنكار أصحاب الكهف على قومهم عبادة غير الله، وفرارهم بدينهم من الفتن

أنكر أصحاب الكهف على قومهم عبادة غير الله، لما ذكروا ما منّ الله به عليهم من الإيمان والهدى والتقوى، التفتوا إلى ما كان عليه قومهم، من اتخاذ الآلهة من دون الله، فمقتوهم، وبينوا أنهم ليسوا على يقين من أمرهم، بل في غاية الجهل والضلال، لقد اجتمعت كلمتهم، وتوحدت دعوتهم، وأقروا بأن الله–تعالى– هو المتفرد بالربوبية، فلا رب غيره، وهذا دليل على تفرده –عز وجل– بالألوهية، فلا معبود سواه، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾،[109] اتخذوا من دُونه آلهة، لولا يأْتون– أي هلا يأتون– على عبادتهم ببرهان ظاهر، فإن الدين لا يؤخذ إلا به، وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود، وأن التقليد فيه غير جائز: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾، بنسبة الشريك إليه،[110] إن الدين الحنيف الذي ثبت بدلائل وبراهين مثل دين الإسلام ثبت بدلائل كثيرة، ومن هذه الدلائل مَبْعث سيدنا محمد –عليه السلام– ومعه

---

108 ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 140/5.

109 الكهف 15/18.

110 البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ– 1997 م، 3/ 275.

معجزة الكبرى وهو القرآن الكريم، فإن ما لا دليل عليه من ديانات فهو غير مقبول ومردود، لأن التقليد في الأديان والعقيدة غير جائز.

فلما أيقن أصحاب الكهف من إصرار وعناد قومهم عبادتهم غير الله–تعالى–، ورأوا أن العزلة أولى لمن خاف على نفسه من الاختلاط بالناس، لذا اختاروا العزلة، وفروا بدينهم من الفتن، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾،[111] وإذ اعتزلتم القوم وما يعبدون من دون الله، فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين، ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكهف ينشرلكمْ ربّكم﴾، يبسط الرزق لكم، ويوسع عليكم من رحمته في الدارين، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾، ما تنتفعون به، وجزمهم بذلك، لشدة يقينهم، وقوة وثوقهم بفضل الله –تعالى–،[112] والذين يعرفون الله ويعبدونه ويخافون منه يظلون على الحق ويتمسكون به ولو خالفهم أعداؤهم وأعداء الحق، ويدافعون عن دين الله وكلمة الحق في كل زمان.

5.2. الضرب على آذانهم ومدة لبثهم في الكهف

بعدما لجأ أصحاب الكهف إلى كهف بجبل ومكثوا فيه فترة من الزمن، ضرب الله على آذانهم النوم، واستجاب الله نداءهم، وسد الله آذانهم عن وصول الأصوات إليهم، وصرف عنهم شر قومهم، وأنامهم في الكهف فترة طويلة من الزمن امتدت إلى ثلاثمائة وتسع من السنين القمرية، ثم أيقظهم الله –تعالى– وبعثهم بعد تلك المدة الطويلة، بمعجزة تدل على إطلاق قدرة الله، فقال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾،[113] انطلق أصحاب الكهف، حتى أواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه، قالوا: نبيت ههنا الليلة، ثم نصبح إن شاء الله، فترون رأيكم، فضرب على آذانهم، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلما أراد رجل أن يدخل عليهم أحس بالرعب، فلم يطق أحد أن يدخل الكهف، ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين آوَوْا إلى الكهف، بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم،[114] فهؤلاء الفتية صاروا إلى الكهف حتى يبيتوا فيه ليلة واحدة

---

111 الكهف 18/15– 16.

112 البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 275، وابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 3/ 75.

113 الكهف 18/ 11– 12.

114 البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تح: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط: الرابعة، دار طيبة، الرياض، 1417 هـ– 1997 م، 5/ 145.

ليعصموا من فتنة الملك الكافر، ولم يتوقعوا أن يناموا سنين طويلة ثم يبعثوا، ولكن ضرب الله – تعالى– النوم على آذانهم فيه سنين ثم بعثهم الله –عز وجل– من نومهم.

وأما بالنسبة للمدة التي مكثوها في الكهف، بين الله –عز وجل– مدة لبثهم وهي ثلاثمائة سنة بالحساب الشمسي، أو ما يقابلها بالحساب القمري وهي الثلاثمائة وتسع سنوات، وذلك لأن السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية أحد عشر يوما، فبين الله –عز وجل– مدة لبثهم بالحسابين، وبين الله –عز وجل– وجوب رد العلم إليه –تعالى– في مدة لبثهم، فهو الأعلم بها، فإذا ادعى أحد من أهل الكتاب أنهم لبثوا أكثر من ذلك فنجيب عليهم بأن الله –تعالى– هو الأعلم بمدة لبثهم فلا عبرة بادعاءاتهم، فقد أخبرنا من له غيب السموات والأرض بخبرهم، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾،[115] أنهم مكثوا تسع سنين وثلاثمائة، بالتوقيت القمري، وبعض العلماء قدرها بالشمسية بثلاثمائة سنة، إنه سبحانه ذكر الثلاثمائة، ثم زاد التسعة للتفرقة بين المواقيت الشمسية والقمرية.[116]

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾،[117] إذا سئِلت عن لبثهم وبقائهم في الكهف وليس عندك علم ومعلومات في ذلك وتوقيف من الله –تعالى– فلا تتقدّم فيه بشيْء، بل قل في مثل هذا: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، لا يعلم ذلك إلا هو، ومن أطلعه عليه من خلقه، هذا قول جمهور المفسرين من السّلف والخلف، كما قال تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾، أَي إنّه لبصير بهم سميع لهم، قال ابن جرير[118]: وذلك فيه من معنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأَسمعه! وتأويل الكلام: ما أبصر الله–تعالى– لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يَخفى عليه من ذلك شيء، أَنه –تعالى– هو الّذي له الخلق والأمر، وأنه لا معقّب لحكمه، وليس له وزير ولا نصير، ولا شريك ولا مشير،– تعالى وتقدَّس عما يظنه الجاهلون

---

115 الكهف 25/18.

116 أبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 9/ 4493.

117 الكهف 18/ 26.

118 هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري، إمام المفسرين ولد بطبرستان، (422هـ)، و(المتوفى: 310هـ)، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، بعد أن زار عدة بلدان، الإمام صاحب التّصانيف، من أهل آمُل طبَرِستان. السمعاني، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي، *التحبير في المعجم الكبير*، تح: منيرة ناجي سالم، ط: الأولى، الناشر: رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، 1395هـ– 1975 م، 2/ 117.

والمغرضون،[119] وأما مدة نومهم الطويل في الكهف بالتوقيت الشمسي أو القمري فعلمه عند الله–تعالى–، ويظهر أن الحكمة كانت في نومهم الطويل في الكهف، وليست في مدة بقائهم في الكهف، لو كان في تحديد مدتهم فائدة لبينه الله –تعالى– ولكن ليس فيه فائدة.

6.2. الرعاية الإلهية لهم، وبعثهم بعد نوم طويل

لقد أحاط الله أصحاب الكهف بعنايته، وجعلهم في رعايته وذمته، وخلدهم بذكره لهم في القرآن الكريم، وهم فتية من صالح قومهم وموحدون، ثبتوا على التوحيد ودين الحق، لما شاع وكثر الكفر والشرك في قومهم، وانتشر الباطل والفواحش والبغي في مجتمعهم، تبين لهم الهدي في مجتمع ضل عن الله –تعالي–، ولا حياة لهم في هذا المجتمع هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها، ورعاية الله–تعالى– للمؤمنين أرحب وأعظم، مثل هؤلاء الفتية وهم في الكهف، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾،[120] الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تَصْبِيرِنَاهُمْ، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هي طلعت، وتقرضهم ذات الشمال إذا هي غَرَبت، مع كونهم في المتسع من المكان، بحيث لا تحرْقهم الشمس فتُشحب ألوانهم وتغيرها من شدة حرارتها، ولا تبلى على طول رقدتهم ثيابهم، فتتعفَّن على أجسادهم، من قدرة الله وأدلته على خلقه، والأدلة التي يستدل بها أولو الألباب على عظيم قدرته وسلطانه، وأنه لا يعجزه شيء أراده –سبحانه وتعالى–،[121] فإن من يدافع عن دين الله–تعالى– ويحافظ عليه فهو محفوظ من قبل الله –تعالى– أنظر إلى هؤلاء الفتية دافعوا عن الدين والإيمان والعقيدة فحفظ الله جسدهم من حرارة الشمس بعد نومهم الطويل.

وأخبرنا الله –تعالى– عن رعايته للفتية في الكهف، فقال تعالى:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾،[122] فكانوا يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال؛ ليدفع عنهم أذى

---

119 الطبري، *جامع البيان*، 17/ 650، والصابوني، محمد علي، *مختصر تفسير ابن كثير*، ط: السابعة، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402 هـ – 1981 م، 2/ 415.

120 الكهف 18/ 17.

121 الطبري، *جامع البيان*، ج 17/ ص 623.

122 الكهف 18/ 17.

الأرض وضررها، لئلا يفسدوا ويتلاشوا، وإن كان الله–تعالى– قادرًا أن يدفع عنهم الأذى وضرر الأرض بتقليبهم من جانب إلى جانب،[123] ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾، لأن عيونهم كانت مفتوحة، ويقال: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ﴾، إن جبريل –عليه السلام– كان يقلبهم في كل سنة مرة، لكيلا تأكل الأرض أجسادهم في مدة رقودهم، وقيل: مكثوا ثلاثمائة عام على شق واحد، وقلبوا في سنين التسع،﴿وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾، ماد ذراعيه بفناء الباب، حتى ليظن الناظر إليه من بعيد أنه متوثب ومستعد للهجوم والانقضاض على من يقترب من باب الكهف ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً﴾، لو هجمت عليهم اليوم، لأدبرت فراراً من هيئتهم.[124]

ثم بعثهم الله –تعالى– بعد ما ناموا فترة طويلة في الكهف، كان دخولهم إلى الكهف في أول النهار وبعثهم واستيقاظهم كان في آخر النهار، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾،[125] "كما أنمناهم تلك النومة كذلك أيقظناهم إظهاراً للقدرة على الإماتة والبعث جميعاً، وبعدما بعثهم الله –تعالى– تساءلوا فيما بينهم عن المدة التي ناموها، ﴿لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ﴾، ليسأل بعضهم بعضاً ما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله، ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم الله به عليهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾، رئيسهم أم كبيرهم أو واحد منهم ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، كم مدة لبثكم ونومكم ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، بمدة لبثكم إنكار عليهم من بعضهم قول جمع آخرين فصاروا سبعة ﴿فابعثوا أَحَدَكُمْ بورقكم﴾، الوَرِق بفتح الواو وكسر الراء هي: الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ﴿هذه إلى المدينة فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا﴾، أهلها فحذف المضاف كما في قوله تعالى: ﴿واسْأَل القَرْيَةَ﴾، أهل القرية ﴿أَزْكَى﴾، أحل وأطيب ﴿طَعَامًا﴾، تمييز ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، وليتكلف اللطف فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يتعرف عليه أحد أو في أمر التخفي حتى لا يتتبعه أحد من أهل المدينة فيتعرفوا على مكان اختبائهم ﴿وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾، ولا يفعلن

---

123 الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، *تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة*، تح: مجدي باسلوم، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426 هـ– 2005 م، 7/ 149.

124 السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، *بحر العلوم*، تح : محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، 2/ 340.

125 الكهف 18/ 19.

ما يؤدي إلى الشعر بنا من غير قصد منه،﴿أَنَّهُمْ﴾، أهل المدينة،﴿إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾، يطلعوا عليكم﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾، يقتلوكم أشد قتلة﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾، بالإكراه والشدة ﴿وَلَن تُفْلِحُواْ إِذًا أَبَدًا﴾، إذاً: يدل على الشرط، ولن تفلحوا إن دخلتم في دينهم أبداً".[126]

وانكشاف أمرهم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾،[127] أَطلعنا عليهم أهل ذلك الزّمان الّذي أَحياهم الله فيه، ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، لا شكّ فيها ﴿إِذْ يتنازعون بينهم أَمرهم﴾، يعني قومهم، كانت تلك الأُمّة الّذين هربوا منهم قد بادت، وخلفت بعدهم أمّة أخرَى، وكانوا على الإسلام، ثُمّ إنّهم اختلفوا في البعث، فقال بعض العلماء: يبعث النّاس في أجسادهم، وهؤلاءِ المُؤمنون كان الملك منهم، وقال بعضهم: تبعث الأَرواح بغير أجساد، فبعث اللَّه أَصحاب الكهف، ودخلوا المَدينة، وهي مدينة بالرومِ، وأرسلوا أحدهم بالدراهم، ليشترى لهم الطعام، فاستنكر البائعون الدراهم لكونها من مدة بعيدة من الزمن، فأُخذوه وذُهبوا به إلى ملك المَدينة، فرأى على الدراهم صورة الملك الذي فروا منه، فقالوا: هذا رجل وجد كنزا، فلما خاف على نفسه أن يعذّب أخبرهم عن أَصحابه ومكانهم، فقال لهم المَلك: قد بيَّن اللَّه لكم ما اختلفتم فيه، فأعلمكم أَن الناس يبعثون في أَجسامهم، فركب المَلك والناس معه، حتى أتوْا إلى الكهف، وتقدمهم الرجل، حتى إذا دخل على أَصحابه فلما رآهم ورأَوه ماتوا، لأَنّه قد كانت أتت عليهم آجالهم، فقال القوم: كيف نصنع بهؤلاءِ؟ ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾، وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾، رؤساؤهم وأشرافهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾، فبنوا عليهم مسجدا.[128]

---

126 النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تح: يوسف علي بديوي، ط: الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ- 1998م، 2/ 291- 292، والمراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، *تفسير المراغي*، ط: الأولى، الناشر: مصطفى البابى الحلبي، القاهرة، 1365هـ - 1946 م، 15 /121.

127 الكهف 18/ 21.

128 ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، *تفسير القرآن العزيز*، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، ط: الأولى، الفاروق الحديثة، القاهرة، 1423هـ- 2002 م، 3/ 54.

فقد بعث الله –تعالى– هؤلاء الفتية بعد نومهم حتى يعرف قومهم أن الله –تعالى– قادر على إحياء الموتى، وحتى يعلموا أنه ليس من دون الله آلهة تستحق العبودية والخشوع والخضوع والسجود.

ويوجه الله –تعالى– اللوم لنبيه وحبيبه سيد البشر، قائد النبيين والمرسلين –صلى الله عليه وسلم– على جوابه لمن سأله عن أصحاب الكهف وعددهم، رجاء أن ينزل عليه الوحي، ويخبر الله –عز وجل– عنهم، والوحي كان ينزل، وجبريل كان يأتي، واتصاله كان قائما بالسماء، فقال مرسله ومنزل الوحي عليه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾،[129] عاتب الله –تعالى– نبيه –صلى الله عليه وسلم – على قوله للكفار حين سألوه عن الروح، والفتية، وذي القرنين، فقال: غدا أخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك، فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما، حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به، فنزلت عليه هذه السورة مفرّجة، وأمر في هذه الآية ألا يقول في أمر من الأمور: إني أفعل غدا كذا وكذا، إلا أن يعلق ذلك بمشيئة الله –عز وجل– حتى لا يكون محققا لحكم الخبر، فإنه إذا قال: لأفعلنَّ ذلك ولم يفعل: كان كاذبا، وإذا قال: لأفعلن ذلك إن شاء الله، خرج عن أن يكون محققا للمخبر عنه.[130]

فعاتب الله –تعالى– نبيه – صلى الله عليه وسلم– على ترك تعليق الإجابة بمشيئة الله –تعالى– هذا هو نبي معصوم من الخطأ فكيف بنا إذا خالفنا أمر الله –تعالى– ولم نلتزم بشرعه – سبحانه تعالى– وعصينا؟ إذا فليعذبنا الله –تعالى– على عدم اهتمامنا بأمره ومخالفتنا لأوامره، واقترافنا لنواهيه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾،[131] جاءت هاتان الآيتان إرشادا وتأديبا من الله لرسوله–صلى الله عليه وسلم–، يعلمه بأنه إذا أراد أن يخبر عن شيء سيفعله في مستأنف الأيام، أن يقرن قوله: بمشيئة علام الغيوب، الذي يعلم ما كان وما سيكون، ولا تقولن أيها الرسول لشيء: إني سأفعل ذلك غدا إلا أن تقول: إن شاء الله، ذاك أنه ربما مات المرء قبل مجيء الغد، واذكر مشيئة ربك إذا فرط منك نسيان، وقل: عسى أن يوفّقنى ربي لشيء أقرب إرشادا للناس، أو عسى أنْ يرشدني ربِّي فيما أستقبل من أمري، والآية خطاب

---

129 الكهف 18/ 23– 24.

130 القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 10/ 385.

131 الكهف 18/ 23– 24.

للنبي –صلى الله عليه وسلم–، وهي تعم جميع أمته،[132] لم يُحدث شيءٌ في الكون والكائنات بدون مشيئة الله –تعالى– فهو مدبر لكل شيءٍ ولن يكن شيء بدون إرادته، لذا يلزمنا إذا أردنا أن نفعل شيئا أن نقول أولاً– إن شاء الله– حتى نكون موفقين في أفعالنا وسلوكنا.

2.2. الدروس المستفادة من قصة أصحاب الكهف

لقد ساق الله–تعالى– لنا هذه القصة للعبرة والعظة، حيث إنها اشتملت على دروس عظيمة، فمن خلالها يستقيم سلوك الإنسان، ويتم غرس القيم والأخلاق الفاضلة في نفوس المخاطبين بهذه القصة وهو التالون والمتدبرون للقرآن الكريم، ومن خلال هذه القصة أسرد أهم هذه الدروس المستفادة منها:

1.2.2. أهمية دور الشباب في نصرة الدين، وطلب الدعاء بالرحمة والرشد من الله

يدور محور هذه السورة الكريمة حول العواصم من الفتن، ولقد قدمت لنا هذه القصةُ العجيبةُ نموذجًا عمليًّا ومثالا واقعيًّا، لمن منَّ الله –تعالى– عليهم بالعصمة والنجاة من الفتن، حيث الفهم الصحيح والإيمان الخالص، والثبات واليقين، والاستعانة برب العالمين، مع الأخذ بالأسباب، والتزام الحذر والحيطة.

أ. أهمية دور الشباب في نصرة الدين:

يستفاد من قصة أصحاب الكهف أن الشباب أسرع في الاستجابة لنداء الحق، وأشد عزما وتضحية في سبيله، وهذا يشير بأهمية مرحلة الشباب والفتوة، باعتبارها مرحلة العطاء والهمة والتقدم والحيوية، إنهم فتية شباب، قال الله –عز وجل–: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾،[133] هؤلاء الفتية تركوا الحياة في المجتمع والعُمرَان، ولجأوا إلى الكهف الذي لم يتوقعوا أن يعيشوا فيه مدة طويلة، هؤلاء الفتية ضحوا بمنازلهم الواسعة، وعشهم الذي كانوا فيه يتنعمون به، فقد كانوا من أهل الثروة والغنى، ومع ذلك صاروا إلى كهف ضيق خال من مُتع الحياة، فليكن ذلك –أيضاً– أسوة للشباب إذا

132 المراغي، *تفسير المراغي*، 15/ 137، والثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ– 1997، 3/ 519.

133 الكهف 10/18.

ضاق بهم أمر في سبيل الله، فلا بد لهم أن يتحملوا ويصبروا ويحتسبوا، والذي يعينك على ذلك أن تدعو الله -سبحانه وتعالى- ألا يجعل الدنيا أكبر قصدك، ولا مبلغ علمك.

ويتبين لنا فيما ذكرنا أن الشباب هم: أساس المجتمع البشري، فإن صلحوا صلح المجتمع، وإن فسدوا كان المجتمع فاسدا، والشباب غرس نما، وأزهر، وبدت تباشير ثماره، وهم سيكونون في مستقبلهم القادة، والحكام، والضباط، وكبار الموظفين، والتجار، ورجال الأعمال، والأساتذة والعلماء... إلخ، وجواهره الثمينة، وهم أكثر فئات المجتمع حبا للتضحية ولو بالنفس..، ولذلك كانت كلّ جيوش العالم من الشباب، وقامت الثورات بهم وعلى سواعدهم، وهم أكثر أتباع المرسلين -عليهم الصلاة والسلام-، كما قال: ابن كثير في تفسير آيات أصحاب الكهف، ذكر - تعالى- أنهم فتية وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين عتوا في دين الباطل، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف بأنهم كانوا فتية شبابا،[134] فقال تعالى:﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾،[135] عرفهم القرآن الكريم بأوصافهم، وأول وصف من هذه الأوصاف ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾، جمع فتى، أنهم شبان في باكورة أعمارهم، نفوسهم غضة لم ترهقها الأوهام، ولا العادات والتقاليد، وموروثات الآباء العتيقة التي عششت في رؤوس من قبلهم، بل إنهم على الفطرة السليمة، والشباب دائما أسرع الناس إلى الحق إن لم يكن في توجيههم ما يعوق عنه أو يسد الحجاب دونه،[136] وهذا يعلمنا أهمية دور الشباب، وأن الشباب هم مخ هذه الدعوة، وهم أسرع للدعوة والنصرة، والجهاد والبذل، والتضحية في سبيل الله - سبحانه وتعالى-، فأصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم- كان أكثرهم شباباً، والشباب من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم - هم الذين قاموا بواجب الدعوة إلى الله-تعالى-، وبواجب الجهاد، والله - عز وجل- إنما ذكر وصف أهل الكهف بالفتية، ليكونوا قدوة حسنة للشباب على الدوام في الثبات على دين الله، والقيام بالدعوة إلى الله، وإن خالفهم من خالفهم.

ب. طلب الدعاء بالرحمة والرشد من الله:

يستفاد من قصة أصحاب الكهف أن طلب الدعاء والرشد من الله -تعالى- رأس أمر المسلمين، وله دور مهم في استمرار حياة المسلمين، يخبر ربنا -تبارك وتعالى- عن أولئك الفتية الذين فرّوا بدينهم من قومهم، لئلا يفتنوهم عنه، فهربوا منهم، فلجأوا إلى كهفٍ في جبل،

---

134 القاضي، محمد أحمد كنعان، *أزمات الشباب أسباب وحلول*، دار البشائر، بيروت، 1990 م، ص 45.

135 الكهف 18/ 13.

136 أبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 9/ 4495.

ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين الله –تعالى– من رحمته ولطفه،[137] قال تعالى على لسان أصحاب الكهف: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾،[138] "فلما فرّوا بدينهم ممن كان يطلبهم من الكافرين، وبذلوا السبب في ذلك اشتغلوا بأهم الأسباب، وهو التضرّع إلى الله، واللجوء إليه بالدعاء، سألوا الله – تبارك وتعالى– أنْ يمنَّ عليهم برحمة عظيمة، فسألوا رحمة خاصة من ربهم –جلَّ وعلا– تقتضي كمال العناية بهم، وتفيض عليهم من كمال الإحسان والإنعام، وقوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾،[139] يسِّر لنا وسهِّل علينا الوصول إلى طريق الهداية والرشاد في الأقوال والأفعال في أمر ديننا ودنيانا".[140]

وقد تضمنت– أيضا– هذه القصة المباركة الكثير من الدروس المستفادة العظيمة:

منها: أنه ينبغي الفرار من الأماكن التي لا يستطيع العبد القيام بشعائر دينه بحرية واطمئنان، وأن من أوى إلى الله –تعالى–، أواه الله –تعالى– ولطف به، وجعله سبباً لهداية غيره، وأن الدعاء ينبغي أن يستجمع معه بذل الأسباب، فهم سألوا الله –تعالى– ثم بذلوا الأسباب التي منها فرارهم بدينهم إلى الكهف، وأن الجزاء من جنس العمل، فهم حفظوا إيمانهم فحفظهم الله – تعالى– بأبدانهم ودينهم، وأن الدعاء سلاح المؤمن في حياته، ودعا الله–تعالى– فلن يخيب رجاءه، ولن ترجع يديه صفرا خائبتين، لذا يجب على المسلم الإكثار من دعاء الله – تعالى– بسؤال الرحمة والرشد، لأن فيهما الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، وتعظيم الرغبة في الدعاء كما أفاد سؤالهم ﴿رَحْمَةً﴾، بالتنوين،[141] ويبدو أن من يلجأ إلى الله–تعالى– ويطلب الدعاء من الله –تعالى– فيرحمه ويلطف به ويحفظه من الفتن، كما نرى من هؤلاء الفتية طلبوا أولاً الدعاء بالرشد والرحمة، لأن الدعاء أحد أسباب النصرة على العدو.

---

137 ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 2/ 139.

138 الكهف 10/18.

139 الكهف 10/18.

140 القحطاني، الشيخ سعيد بن علي بن وهف، *شرح الدعاء من الكتاب والسنة*، شرحه: ماهر بن عبد الحميد بن مقدم، مطبعة سفير، الرياض، ص 196– 198.

141 السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، *تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن*، ط: الأولى، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422هـ، 288/1، والقحطاني، *شرح الدعاء من الكتاب والسنة*، ص 198– 199.

إن من أجلِّ نِعم الله تعالى- وأفضل ألوان الرحمة بأصحاب الكهف نومهم سنوات عديدة، فقال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾،[142] السمع هو الآلة التي لا تتعطّل عن مهمتها، حتى ولو كان الإنسان نائماً، لأن به يتم الاستدعاء، لذلك لما أراد الحق – سبحانه- أنْ يُنيم أهل الكهف هذه المدة الطويلة، ضرب على آذانهم، وعطّل عندهم حاسة السمع حتى لا تُزعجهم أصوات الطبيعة خارج الغار، وحاسّة السمع هي الآلة التي يستقبل بها الإنسان معلوماته، وأول حواسه عملاً، وقبل أن يتكلم الطفل لا بُدَّ أنْ يسمع أولاً لينطق ما سمعه، لأن السمع هو الإدراك الأول المصاحب لتكوين الإدراكات، والأذن، كما قلنا: تسبق العين في أداء مهمتها،[143] لذلك قدّمه الحق –سبحانه- في اللفظ في كثير من آيات الذكر الحكيم فقال: ﴿إِنَّ السمع والبصر والفؤاد كُلُّ أولئك كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾،[144] "والضرب على الآذان هو المنع من الاستماع، فدل بهذا على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً، ﴿سنين عدداً﴾، وإنما ضرب الله –تعالى- على آذانهم وإن لم يكن ذلك من أسباب النوم، لئلا يسمعوا ما يوقظهم من نومهم"،[145] فقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾،[146] أيقظناهم من نومهم الطويل، وما داموا قد ناموا فالأمر إذن ليس موتاً، إلا أنهم لما طالتْ مدة نومهم شبَّهها بالموت، ليعلم الفريقين منهم، الذين اختلفوا في تحديد مدة نومهم من منهم سيُقدِّر مُدّتهم تقديراً صحيحا،[147] يبدو لنا من خلال حياة أصحاب الكهف، أنه يجب على كل المسلم أن يكون دائما يتضرع إلى الله –تعالى- بطلب الدعاء من الله –تعالى- بالثبات والرشد، حين ذلك يكون المسلم في رعاية الله–تعالى- ويكون في ذمته كما نرى أن هؤلاء الفتية تضرعوا إلى الله- تعالى- بالدعاء فحفظهم الله في الكهف.

2.2.2. أهمية الإيمان بالله – تعالى-

الإيمان بالله- تعالى- هو: أن يعتقد الإنسان أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، ويخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص

---

142 الكهف 18/ 11- 12.

143 الشعراوي، محمد متولي، *خواطر حول القرآن*، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997 م، 15/ 9550.

144 الإسراء17/ 36.

145 الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، *تفسير الماوردي النكت والعيون*، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 3/ 288.

146 الكهف 18/ 11- 12.

147 الشعراوي، *خواطر حول القرآن*، 14/ 8851.

وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم وهذه ملة إبراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها،[148] "فلا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده، وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو من أجلِّ المطالب، وأهمِّ المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه ينجو الإنسان من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يتغير ولا يتبدل"،[149] ويستفاد من قصة أصحاب الكهف أهمية وعظمة الإيمان بالله –عز وجل– ونعلم أن الأيمان بالله –عز وجل– أهم أصول وأركان الإيمان، لذا إن هؤلاء الفتية لما آمنوا بالله –تعالى– وانقادوا لأمر الله أثابهم الله –عز وجل– وزاد لهم الهدى، وألهمهم الله رشدهم، وآتاهم تقواهم وعصمهم من ظلم قومهم الكافرين كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،[150] هذه الآية تشير إلى أن من عمل صالحا ومع عمله كان مؤمنا تكون حياته حياة طيبة بسبب العمل الصالح والإيمان، والحياة السعيدة توجد في الإيمان.

وأيضا يستفاد في قصة هؤلاء الفتية أن الإيمان بالله– تعالى– متى استقر في قلوب العباد، يسهل كل شيء في سبيله، فهؤلاء الفتية – أصحاب الكهف– آثروا الفرار بدينهم، على البقاء في مجتمعهم، لكي تسلم لهم عقيدتهم وإيمانهم، وأن أذى الأجساد أيسر من أذى القلوب والإيمان،[151] كما قال سبحانه في شأنهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾،[152] متى استقرت العبودية في قلب العبد وأخلص لله –تعالى– في كل العبادات، وتولى عمن سواه وأحب أهل الإيمان، وأبغض أهل الشرك والكفر، وانقاد لأمر الله، مثل أصحاب الكهف اختاروا الإيمان والدين على كل شيء فعصمهم الله –تعالى– من فتنة الكفر.

---

148 النجدي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، *مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان*، تح: إسماعيل بن محمد الأنصاري، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ص 376.

149 نخبة من العلماء، *كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة*، ط: الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية، السعودية، 1421هـ، ص7.

150 النحل 16/ 97.

151 طنطاوي، محمد سيد، *التفسير الوسيط*، ط: الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 8/ 503.

152 الكهف 18/ 13.

إن من أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول باللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق،[153] ولا يستقر الإيمان بدون العمل ويزيد بطاعة الله –تعالى– وينقص بمعصيته.

قال الشافعي[154] – رحمه الله–: لو كان هذا الإيمان كله واحداً لا نقصان فيه ولا زيادة، لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطُل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله–تعالى– في الجنة، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرِّطون النار،[155] ولو لم يزد الإيمان بالطاعة ولم ينقص بالمعصية لم يكن فرق بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، كما ذكرنا عند أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، فهناك الكثير من الآيات التي تدل على أن الإيمان يزيد وينقص، فمنها قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾،[156] وقوله تعالى:﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾،[157] وقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾،[158] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾،[159] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾،[160] وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ

---

153 التركي، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن، *مجمل اعتقاد أئمة السلف*، ط: الثانية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1417هـ، ص 82.

154 هو: محمد ابن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي بن عبد المطلب بن عبد مناف محمد ابن إدريس بن العباس فيقال له الشافعي، ولد بمدينة غزة بفلسطين، سنة (150هـ– 767م)، و(المتوفى: 204هـ–820 م). البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، *التاريخ الكبير*، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، 1/ 42.

155 الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، *تفسير الإمام الشافعي*، تح: أحمد بن مصطفى الفرَّان، ط: الأولى، دار التدمرية، الرياض، 1427هـ– 2006 م، 2/ 964.

156 الفتح 48/ 4.

157 التوبة 9/ 125

158 المدثر 31/74.

159 الفتح 4/48.

160 الأنفال 8/ 2.

جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾،[161] وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾،[162] ففي هذه الآيات أكبر دليل –لا يحتمل الشك أو التأويل– على أن الإيمان يزيد وينقص، والهدى، والتقى، يزيد وينقص، والضلال والكفر والنفاق يزيد وينقص، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾،[163] ففي الآيات إثبات زيادة الإيمان، إذًا الإيمان يزيد وينقص، والكفر يزيد وينقص، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة،[164] وعليه فقد تبين لنا مما سلف ذكره أن الإيمان بلا شكٍ يزيد وينقص كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

ويبدو من خلال قصة أصحاب الكهف أهمية الإيمان بالله – تعالى–، وعلمنا أن فيه اختلاف بالنسبة للإيمان هل ينقص بالمعصية أم لا؟ وأن هناك فرق تقول: لا يضر المعصية للإيمان، وبعضهم أخرجوا أهل الكبائر من دائرة الإيمان، وقالوا: هم مخلدون في النار، والرأي الصحيح والأجدر بالقبول هو أن الإيمان ليس فقط قول وإنما هو قول وعمل، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومرتكب الكبيرة لا يخرج من دائرة الإيمان، وليس مخلدا في النار كما زعم المعتزلة ومن لف لفيفهم وقال بقولهم، بل هو عاص يحاسب على قدر عصيانه إن شاء عاقبه الله وإن شاء عفا عنه فأمره موكول إلى خالقه كما هو معتقد أهل السنة والجماعة.

3.2.2. تفويض العلم فيما خفي على العبد إلى الله

يستفاد من قصة أصحاب الكهف تفويض الأمر فيما خفي على الإنسان إلى الله، فلم يذكر الله –تعالى– عدد الفتية –أصحاب الكهف– على سبيل الجزم، بل ترك ذلك للتخمين، وهذا دليل على وجوب تفويض الأمر إلى الله – سبحانه وتعالى–، ويفوض العلم إليه، تفويض علم ما لا علم لهم به إلى الله–تعالى–، هذا التفويض واجب، وليس مثل تفويض المعطلة الذين ينفون الصفات، ثم يفوضون معاني النصوص فذاك مذهب باطل، وهذا التفويض هو الذي أمر الله به نبيه،[165] –صلى الله عليه وسلم– في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ

---

161 آل عمران 3/ 173.

162 مريم 19/ 76.

163 مريم 75/19.

164 الراجحي، *شرح تفسير ابن كثير*، 5/ 77.

165 البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم، *شرح العقيدة الطحاوية*، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، ط: الثانية، دار التدمرية، الرياض، 1429 هـ – 2008 م، ص 277.

خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾،[166] وفي قوله عزوجل: ﴿قل رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ﴾، إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله –تعالى–، إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم، لكن إذا اطلعنا على أمر قلنا به، وإلا وقفنا عنه، وقوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، يعني من الناس، وقوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾،[167] ولما سئل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن أولاد المشركين قال: "اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ"،[168] وهكذا الواجب على المسلم ألا يخوض فيما لا علم له به، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾،[169] بل فوض علم ما لا علم لك به، وما أشكل عليك إلى الله، وقل: الله أعلم، وهذا من وقوف الإنسان عند حده، فلا يتجاوزه فيدعي علم ما لا علم له به، وإن قال: لا أدري، فقد أحسن، لذلك قال أبو حامد الغزالي[170]: لو سكت من لا يعلم سقط الخلاف، فإن الذي يدعي أو يخبر أو يجيب بما لا يعلم يكون كاذبا، فمن يخبر بالشيء قد يخبر بما يَعلم كذبه، وهذا المتعمد للكذب، ومن يخبر بما لا علم له به، لا يكون صادقا، بل فعله من جنس الكذب، لأن الصدق هو: الإخبار عن علم يطابق الواقع، هذا في الأمور العامة، والكذب هو الإخبار بخبر لا يطابق الواقع وهو يعلم يقينا عدم مطابقة ما أخبر به بالواقع،[171] وإن تفويض العلم إلى الله–تعالى– فيما ليس لدينا علم به واجب، كما نرى في قصة أصحاب الكهف لم يذكر عددهم بالتحديد، وإنما ترك ذلك الأمر للحدس والتخمين، وعدم تفويض العلم

---

166 الكهف 18/ 22.

167 الكهف 18/ 25– 26.

168 مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب القدر، باب معني كل مولود يولد على الفطرة، رقم الحديث 23، 4/ 2049.

169 الإسراء 17/ 36.

170 هو: أبو حامد محمد بن محمد الغزالى، أصله من غزالة، قرية من أعمال طوس، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه، و(المتوفى: 505 هـ)، وله مؤلفات كثيرة. المازني، محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله التميمي الحموي، جمال الدين، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تح: الدكتور جمال الدين الشيال، الدكتور حسنين محمد ربيع – الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: 1377 هـ– 1957 م، 1/ 212.

171 البراك، *شرح العقيدة الطحاوية*، ص277.

يعد جهلا، فليس للإنسان أن يقول ما لا يعلم، كما ليس له أن يثبت أو يصدق ما ليس له به علم...

4.2.2. التوحيد والعقيدة الصحيحة، وبطلان عقائد الشرك

يستفاد من عقيدة هؤلاء الفتية: أن من الأدلة الدالة على وجوب إفراد الله –تعالى– بالعبادة والكفر بالطواغيت، هو ما أقامه الله من الحجة على استحقاقه للعبادة، ثم بيانه فساد عمل المشركين باتباعهم للظن، وعدم إقامتهم للحجة الساطعة على عبادة آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وإفراد الله–تعالى– وحده بالعبادة، إذ هو وحده المتصف بالصفات التي بها تستحق العبادة.[172]

إن أصحاب الكهف كانوا مسلمين موحدين، وأعلنوا بكل صراحة أن ربهم هو رب السموات والأرض، فكأنهم استدلوا بالسموات والأرض على وحدانية الله –تعالى–، فانطلقوا من توحيد الربوبية للاستدلال على وحدانية الإله المعبود وهو توحيد الألوهية، فرب السماوات والأرض إذن هو الإله، يقول تعالى عنهم: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾،[173] "فقويناهم بالصبر على هجران الأوطان، والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وأيدناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام، قاموا بين يدي الجبار "دقيانوس" من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام، هم الفتية الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركي قومك، فتية آمنوا بربهم، وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل، وألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان، حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش"،[174] وأصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً، وربط الله على قلوبهم، فأعطاهم الله – تعالى– الصبر والتحمل على ترك الأوطان، والتضحية من أجل الإيمان والعقيدة.

ويستفاد من قصتهم –أيضا– أن من ربط الله –تعالى– على قلبه ثبته وسكنه وطمأنه، ويهديه إلى الفرار من الفتن، لذلك حذرنا منها رسول الله – صلى الله عليه وسلم– "سَتَكُونُ فِتَنٌ

---

172 مجموعة من الباحثين، بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، *الموسوعة العقدية الدرر السنية*، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، 1/ 234.

173 الكهف 18/ 13– 14.

174 الطبري، *جامع البيان*، 17/ 615.

الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ".[175]

قال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾،[176] وهذا هو التقرير الذي قرره هؤلاء الفتية مرة أخرى، وهو أن الشرك كذب وافتراء، ولا أظلم ممن زعم ذلك بغير حجة ولا دليل،[177] أعلن هؤلاء الفتية الموحدون الذين بذلوا التضحية في سبيل نصرة كلمة التوحيد، بأن قومهم ليس لهم دليل وبرهان وأية حجة في عبادتهم آلهة من دون الله، وهل أظلم وأطغى ممن يعبد ويعتقد بما ليس له عليه دليل قوم أصحاب الكهف نحتوا الآلهة التي يعبدونها بأيديهم، وعبدوها من دون خالقهم، وفي اسم الإشارة (هؤلاء)، تحقير لهم، ﴿..لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ..﴾،[178] بأي حجة بينة وبرهان ظاهر، فإن الدين لا يؤخذ إلا بحجة بينة وبرهان ظاهر، كما قال تعالى:﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾،[179] أسماء بلا مسميات، لكونها ليست بشيء، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾،[180] لا مساوي له في الظلم والكفر، إشارة إلى أنهم لا يأتون ببرهان، فهم ظالمون في حق الله، لافترائهم عليه بأن في رتبته العليا شركاء يساوونه فيها، ثم خاطب بعضهم بعضا بقولهم بترك متابعتهم، من إفراط ظلمهم، وهو موجب بغضهم،[181] نعم إن الشرك بالله شطط من القول ولغو وكذب وافتراء وبهتان عظيم، وفي هذه القصة تعريض بكفار مكة والمشركين في كل زمان ومكان، فليتعلم كل هؤلاء بأن أي كذب يفترونه بإشراكهم بالله الأنداد والأوثان، لن يعود عليهم بنفع في الدنيا والآخرة.

---

175 مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم الحديث 10، 4/ 2211.

176 الكهف 15/18.

177 ملكاوي، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل، *عقيدة التوحيد في القرآن الكريم*، ط: الأولى، مكتبة دار الزمان، جدة، 1405هـ – 1985م، ص 225.

178 الكهف 15/18.

179 النجم 23./53.

180 الكهف 18/ 15.

181 القاسمي، *محاسن التأويل*، 7/ 10– 11.

5.2.2. الفرار من الفتن

يستفاد من قصة أصحاب الكهف حقيقة مهمة المسلمون المستضعفون في أمسِّ الحاجة إليها وهي أنه يجب على الموحدين الفرار بدينهم إذا منعوا من دينهم وتوحيدهم وعبادتهم، وإذا ظهر الفساد والفواحش في الأرض، وجهر الطغاة والفساق بطغيانهم وفسقهم، وعجز أهل الحق عن مواجهتهم فيجب على هؤلاء المستضعفين أن يفروا عن مواطن الفساد والمعاصي، ويجب أن يبتعد المسلمون عن مكان الفتنة، وكذلك يبتعدوا عن كل اختلاطٍ يُرديهم عن دينهم ويشقيهم، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾،[182] إن ملكهم هددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم وأجّلهم، لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه، وكان هذا لطف الله بهم أنهم توصّلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة، وهذا هو المَشروع عند وقوع الفتن بين الناس أن يفرّ العبد منهم خوفا على دينِه،[183] كما جاء في الحديث: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ"،[184] ففي هذه الحال تشرع العزلة عن النَاس، ولا تشرع فيما عداها، لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع، فلما عزموا على الذهاب والهرب من قومهم، واختار الله –تعالى– لهم ذلك،[185] وأخبر– سبحانه– عنهم بذلك في قوله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾،[186] "فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم، ويهجرون ديارهم، ويفارقون أهلهم، ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة، هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم، هؤلاء يستروحون رحمة الله، ويحسون هذه الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة، ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾،[187] ولفظة ﴿يَنْشُرْ﴾، تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح.[188]

والهجرة: "هي الخروج في سبيل الله من دار الكفر إلى دار الإسلام، ومن دار اشتدت فيها الفتن إلى دار أقل منها فتنة، وأعظم مقاصد الهجرة الشرعية هي الفرار بالدين من الفتن،

---

182 الكهف 18/18– 16.

183 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2262.

184 البخاري، *صحيح البخاري*، باب التعرب بالفتنة، رقم الحديث، 7088، 4/ 127.

185 الصابوني، *مختصر تفسير ابن كثير*، 2/ 411.

186 الكهف 18/15– 16.

187 الكهف 18/15– 16.

188 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2262.

والفرار بالتوحيد وهجرة ما نهى الله عنه"،[189] كما جاء في الحديث: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"،[190] ونستفيد من قصة هؤلاء الفتية متى لم يتمكن المسلمون من توحيد الله وإقامة شعائر دينهم بحرية في بلادهم وموطنهم يجب عليهم أن يفروا بدينهم وعقيدتهم، لأن الإيمان والعقيدة مقدم على الموطن والبلاد.

إن فرار هؤلاء الشباب –أصحاب الكهف– من سوء قومهم، والخروج من مجتمعهم وبلادهم، والابتعاد عنهم، بلجوئهم إلى الكهف، بعيدين عنهم، تخلصا من ظلم ملكهم "دقيانوس" الظالم الذي يهددهم ويحاربهم في إيمانهم، وعجز الفتية عن مقاومة الملك ومقاومة قومهم، وعجزهم –أيضا– عن بقائهم على دينهم وإيمانهم وعقيدتهم الحق، أنه يجب على المسلمين إذا وجد نفسه عاجزا عن إقامة دين الله–تعالى– إذا عجز الموحدون أن يقوموا بدينهم، يجب عليهم الهجرة والفرار من بلدهم إن كانت ممكنة، كما تجب عليهم الهجرة إذا أصبحوا يؤذونهم بما لا يطاق، لكونهم مسلمين، بدليل قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾،[191] كما أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم– المستضعفين في مكة لما اشتد عليهم الإيذاء والبلاء أمرهم بالهجرة إلى الحبشة وترك أوطانهم وأهليهم وأصدقائهم فرارا بدينهم، والفرار من الأذية في البدن، وذلك فضل من الله أرخص فيه، فإذا خشي على نفسه فقد أذن اللَّه في الخروج عنه والفرار بنفسه، ليخلصها من ذلك المحذورِ، وأول من فعله إبراهيم – عليه السلام–، فإنه لمّا خاف من قومه،[192] قال تعالى على لسانه عليه السلام:﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾[193]، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾،[194] وقال مخبرًا عن موسى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾،[195] إن الفرار من الشر واجب

---

189 البدراني، أبو فيصل، *أحكام الهجر والهجرة في الإسلام*، المكتبة الشاملة، 1433هـ، 32/3.

190 البخاري ، *صحيح البخاري*، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، رقم الحديث 6484، 1/ 11.

191 النساء 4/ 97- 98.

192 القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 5/ 350.

193 العنكبوت 29/ 26.

194 الصافات 37/ 99.

195 القصص 28/ 21.

على كل أحد، فعندما يخافوا المسلمون على دينهم وعقيدتهم من الفتن يجب عليهم تجنبها والابتعاد عنها كما فروا أصحاب الكهف بدينهم من ملكهم وقومهم.

6.2.2. انتصار الحق على الباطل، وتثبيت القلوب

ويستفاد – أيضا– من قصة هؤلاء الفتية أن الصراع بين الحق والباطل دائم ومستمر مادام في الدنيا بقاء، وهذا سنة حتمية ومن الأمور المعروفة على مدى الزمان، في قديم الزمان بعض من المؤمنين قاوموا الظالمين والطغاة، ومهما غلب الباطل في نظر بعض من الناس، فإنه لا بد له من زوال، ولا بد من إفنائه، قال عز وجل: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾،[196] في شأن حال أصحاب الكهف وتثبيتهم على دينهم قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا...﴾،[197] "قويناهم حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان، والنعيم والإخوان، واجترؤوا على الصدع بالحق من غير خوف وحذر، والرد على دقيانوس الجبار، والمراد بقيامهم انتصابهم، لإظهار شعائر الدين، وقيل: المراد قيامهم بين يدي دقيانوس الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام،[198] وفى الحديث الشريف "أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ"،[199] فهؤلاء الفتية ربط الله على قلوبهم، وثبتوا على دينهم وعقيدتهم، لأجل دينهم استقر رأيهم على أن يعتزلوا قومهم ويفروا بدينهم، هذا هو التثبيت وتلك الاستقامة من أكبر نِعم الله على العبد، يوم أن يربط على قلبه في الشدائد والفوجع والمفزعات، قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾،[200] ألهمناهم الصبر، فقاموا بين يدي ملكهم "دقيانوس" الجبار الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم، فربط الله على قلوبهم بالصبر واليقين حين قالوا بين يديه، وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية، وعصمهم حتى عصوا ذلك الجبار، وأقروا بربوبية الله – تعالى– وحده، وأنهم إن دعوا

---

196 الأنفال 8/ 8.

197 الكهف 18/ 13– 14.

198 الخلوتي، أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي المولى، *روح البيان*، دار الفكر، بيروت، 2/ 222.

199 القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المصري، *مسند الشهاب*، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407 هـ– 1986 م، باب أفضل الجهاد عند أمير جائر، رقم الحديث 1286، 2/ 247.

200 الكهف 18/ 13– 14.

غيره وعبدوه كان ذلك شططا من القول وجورا، وهو قوله: ﴿لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾، كذبا وظلما وجورا، وأصل الشطط: مجاوزة الحد،[201] قاموا الفتية أمام الملك المشرك أعلنوا الوحدانية لله –تعالى– حينما دعا الملك قومه إلى عبادة الأصنام فثبت الله –تعالى– الفتية وأقروا بوحدانية الله، وقالوا: العبادة لغيره جور وظلم وإلحاد.

قال الإمام القرطبي– رحمه الله– في قوله تعالى:﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾: يحتمل ثلاثة معان: أحدها: أن يكون هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر، وهو مقام يحتاج إلى الربط على القلب حيث خالفوا دينه، ورفضوا في ذات الله هيبته، والمعنى الثاني فيما قيل: إنهم أولاد عظماء تلك المدينة، فخرجوا واجتمعوا وراء تلك المدينة من غير ميعاد؛ فقال أسنهم: إني أجد في نفسي أن ربي رب السماوات والأرض، فقالوا: ونحن كذلك نجد في أنفسنا، فقاموا جميعا فقالوا: لئن دعونا إلها غيره فقد قلنا إذا جورا ومحالا، والمعنى الثالث: أن يعبر بالقيام، عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله –تعالى– ومنابذة الناس، كما تقول: قام فلان إلى أمر كذا، إذا عزم عليه بغاية الجد.[202]

وعلى أية حال فالجملة الكريمة تفيد أن هؤلاء الفتية كانت قلوبهم ثابتة راسخة، مطمئنة إلى الحق الذي اهتدت إليه، معتزة بالإيمان الذي أشربته، مستبشرة بالإخاء الذي جمع بينها على غير ميعاد،[203] ليس لهم طمع، ولا مقصد دنيوي، وإنما أرادوا أن ينبهوا الناس بالتذكير بالبعث واليوم الآخر والمعاد، لذا فقد نصرهم الله –تعالى– بعد تثبيت فكرة البعث في هذا المجتمع، وانتشار الإيمان باليوم الميعاد، وأنهم قد ثبت الله قلوبهم بالإيمان، فبسبب إيمانهم وثبوته في قلوبهم انتصروا على الباطل.

7.2.2. حماية الله لعبده عند لجوئه إليه بالصدق

يستفاد من قصة أصحاب الكهف أن صور حفظ الله لعباده الصالحين المؤمنين إذا لجأوا إليه بالصدق واليقين كثيرة جدا ومتعددة، وتمتد إلى جوانب شتى ومتفرقة، ولكن أعظم هذه الصور على الإطلاق هي صورة حفظ الله –تعالى– للعبد في دينه، وعقيدته، وعبادته،

201 الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي، *التفسير الوسيط*، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ– 1994 م، 3/ 138.

202 القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 365/10.

203 طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 8/ 481.

وصلاحه، واستقامته، نعم إن هذا النوع هو أعظم أنواع الحفظ وأهمها على الإطلاق، كما قال تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾.[204]

ويستفاد –أيضا– من قصة أصحاب الكهف أن الله –تعالى– يحفظ عبده المؤمن الصادق إذا لجأ إليه بالصدق، وفر إليه، لأجل دينه وحماية عقيدته... كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾،[205] إنك أيها المخاطب لو رأيت أهل الكهف، لرأيتهم على هذه الصورة، وهي أن الشمس إذا طلعت من مشرقها، مالت عن كهفهم جهة اليمين، وإذا غربت تراها عند غروبها تميل عنهم كذلك، فهي في الحالتين لا تصل إليهم، حماية من الله – تعالى– لهم، حتى لا تؤذيهم بحرها، بأن تغير ألوانهم، وتبلى ثيابهم، من يهده الله إلى طريق الحق، ويوفقه إلى الصواب فهو المهتد، فهو الفائز بالحظ الأوفر في الدارين، ومن يضلله الله – تعالى– عن الطريق المستقيم، فلن تجد له يا محمد نصيرا ينصره.[206]

وهذا من فضل الله –تعالى– وإحسانه إليهم، حيث حفظ أبدانهم عن الفساد وجعلهم آية، وحفظهم من قومهم؛ لئلا يفتنوهم عن دينهم، فكان من نعمة الله – تعالى– على هؤلاء المؤمنين أن قبل دعاءهم لما أخذوا بالأسباب وفروا بدينهم، ولجئوا إلى الله وتضرعوا إليه وسألوه أن يلطف بهم، وأن يجعل عاقبتهم رشداً، فهم فَعَّلوا الأسباب حين فروا بدينهم من قومهم، وبذلوا ما يستطيعون من الأسباب بعد أن دعوا قومهم إلى الله–تعالى–، وبينوا ما هم عليه من الشرك والباطل؛ لذلك فإن الله –تعالى– حفظهم، وحفظ دينهم وأبدانهم، وجعلهم عبرة وآية لقومهم وللناس جميعا،[207] من لجأ إلى الله –تعالى– بالصدق من أجل حفظ إيمانه وعقيدته يفيض الله– تعالى– عليه من فضله ورحمته وإحسانه كما نرى من قصة الفتية حفظهم الله –تعالى– وعصمهم من قومهم.

---

204 البقرة 2/257.

205 الكهف 18/ 17 – 19.

206 طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 8/ 485–488.

207 الراجحي، *شرح تفسير ابن كثير*، 53/ 9.

وقال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾،[208] "وتظنهم أيها المخاطب لو قدر لك أن تراهم أيقاظا منتبهين، والحال أنهم رقود، وسبب هذا الظن والحسبان، أن عيونهم كانت مفتوحة، وأنهم كانوا يتقلبون من جهة إلى جهة، كما قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ﴾، نحركهم وهم رقود إلى الجهة التي تلي أيمانهم، وإلى الجهة التي تلي شمائلهم، رعاية منا لأجسامهم حتى لا تأكل الأرض شيئا منها، بسبب طول رقادهم عليها، وكلبهم الذي كان معهم في رحلتهم ماداً ذراعيه بباب الكهف، حتى لكأنه يحرسهم ويمنع من الوصول إليهم، لو عاينتهم وشاهدتهم أيها المخاطب، لأعرضت بوجهك عنهم من هول ما رأيت، ولمُلِأَ قلبك خوفا ورعبا من منظرهم"،[209] قال تعالى:﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾،[210] ربض كلبهم على الباب، كما جرت به عادة الكلاب، وهذا من سجيته وطبيعته، حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب، كما قال: –صلى الله عليه وسلم– "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ"،[211] وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال،[212] وهذا من عظيم قدرة الله –تعالى– ومن فضله ومنِّه وكرمه على تلك الفتية الذين فدوا بأنفسهم، لأجل تذكير الناس بالإيمان بالبعث.

8.2.2. الإيمان بالبعث، وتفويض المستقبل إلى الله

أ. أهمية الإيمان بالبعث:

يستفاد من قصة أصحاب الكهف أن الله –تعالى– قادر على البعث، وبعد ما أمات جميع الأرواح قادر على بعث كافة الأرواح، وبعد ما تنتهي هذه الحياة تبدأ حياة أخرى، وهي حياة البرزخ، والبعث: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم، وأن الله –تعالى– يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته كما كانت، ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى

---

208 الكهف 18/ 17 – 19.

209 طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 8/ 485–488.

210 الكهف 18/ 17 – 19.

211 ابن حنبل، *مسند*، باب حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري، رقم الحديث، 16369، 26/ 290.

212 ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 5/ 131.

محشرهم لفصل القضاء وحسابهم على ما قدمت أيديهم في دنياهم،[213] قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾،[214] كما أنمناهم ثلاثمائة سنة وتسعا، وحفظنا أجسادهم وثيابهم من البلى، ومنعناهم من وصول أحد إليهم، وهذا من مظاهر قدرتنا وعظيم سلطاننا بعثناهم من نومهم الطويل؛ ليتساءلوا بينهم فقال قائل منهم مستفهماً: كم لبثتم يا إخواننا؟ فأجاب بعضهم قائلاً: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، لأنهم آووا إلى الكهف في الصباح، وبعثوا من رقادهم في المساء، وأجاب بعض آخر بقول مُرْضٍ للجميع وهو قوله: ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، فسلموا الأمر إليه، وكانوا جياعاً، فقالوا لبعضهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾، يشيرون إلى عُمْلَةٍ من فضة كانت معهم، ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ التي خرجوا منها هاربين بدينهم، وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾، لتأكلوه سداً لجوعكم، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، في شرائه وذهابه وإيابه، حتى لا يشعر بكم أحداً،[215] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾،[216] إن علموا بمكانكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم، يعنون بذلك أعوان "دقيانوس"، يخافون منهم أن يطلعوا على مكانهم، فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا، وإن وافقتموهم على الرجوع عن دينكم فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة، يستنبط من هذا أنه ليس من شرط تحقق الاستضعاف، وقوع المستضعف في عذاب، بل يكفي أن يغلب على ظنه وقوعه تحت العذاب ممن يقدر عليه.[217]

ثم يؤكد الله –تعالى– حقيقة الإيمان بالبعث بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾،[218] فأظهر سبحانه في هذه الآية أن في قصة أهل الكهف وعثور الناس عليهم، إقامة الحجة على صدق وعد الله بالبعث، والنشور،

213 نخبة من العلماء، *أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة*، ص 227.

214 الكهف 18/ 19.

215 الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، *أيسر التفاسير*، ط: الخامسة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1424 هـ– 2003 م، 3/ 246.

216 الكهف 18/ 20.

217 المشوخي، زياد بن عابد، *الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي*، ط: الأولى، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 1434 هـ– 2013 م، ص 76.

218 الكهف 18/ 21.

وقيام الساعة، وأن الذي يحيي النائم، بعد نومه الطويل ووفاته بالنوم، وهو الذي يحيي العباد بعد موتهم وتفرق أوصالهم، فالذي يقدر على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم هو القادر– سبحانه– على إنامة الأحياء ثم بعثهم، من باب أولى، فكل واحدة من الوفاتين: وفاة النوم، ووفاة الموت، دليل على الأخرى.[219]

يفهم من الآية الكريمة أن الله تعالى يقول: أنمنامهم ثم بعثناهم، أطلعنا الناس عليهم وعلى أحوالهم، وهم أولئك الذين كان لديهم شك في قدرة الله على إحياء الموتى، وفي البعث، وفي أمر القيامة، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك، وليدركوا ويعلموا أن وعد الله بالبعث حق وصدق وثابت، وأن حدوث الساعة أي القيامة أمر لا شك فيه، فمن شاهد حال أهل الكهف علم صحة الخبر وصدق وعد الله بالبعث لأن حالهم في نومتهم، وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾، أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان حين كان بعضهم يتنازع مع بعض في أمر القيامة، فمن مثبت لها ومنكر، ومن مؤمن بها وكافر، فجعل اطلاعهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم، وفرح الملك وشعبه بآية الله على البعث، وزال أمر الخلاف في أمر القيامة بعد أن عاينوا ذلك وشاهدوه أعينهم.[220]

ويتضح جليا في هاتين الآيتين الكثير من الدروس المستفادة، منها: مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته، ومصداق قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"،[221] اتخاذ المساجد على القبور من عمل أهل الكتاب قبل هذه الأمّة، وقد بيّن ذلك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وحذّر منه وحرّمه،[222] خوفا من أن يجعله الناس معابداً يعبده الجهلاء، ويقصده أصحاب الأهواء، ويكون سبباً لإشراكهم مع الله –سبحانه وتعالى– شريكا، وثبت بسبب بعثتهم بعد هذه المدة الطويلة الإيمان بالبعث في حالة كانت فكرة الإيمان بالبعث والمعاد كاد أن يختفي من جديد في فكرة أهل ذلك الزمان.

---

219 ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، حكم *الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض*، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة السابعة، العدد الأول، 1394 هـ– 1974 م، ص30.

220 الزحيلي، *التفسير المنير*، 15/ 225.

221 مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجدعلى القبور، رقم الحديث 19، 1/ 376.

222 الجزائري، *أيسر التفاسير*، 3/ 248.

3.2. قصة صاحب الجنتين

تعد قصة صاحب الجنتين واحدة من قصص المؤثرة في القرآن الكريم، وقد ورد ذكرها في سورة الكهف، فالقصة تتحدث عن حياة رجلين من بني إسرائيل، لقد عاش الرجلان في قرية، أحدهما قد ابتلي بالفقر، لكنه كان رجلاً مؤمناً بالله، أما الآخر فقد ابتلي بالغنى كان صاحب مال كثير ومن أشهر الأغنياء ولكن كان كافرا وقد فصَّل القرآن ذكر قصة الرجلين وخلد ذكرها.

1.3.2. سرد القصة في سورة الكهف

القصة تتحدث عن رجلين، كان لأحدهما جنتين، بستانين من أعناب، وفيهما أنواع كثيرة من كل الأشجار والزروع في غاية الرفاهة، ودخل الرجل بستانه مغرورا ومعجبا بها، فقال: ما أظن أن تهلك هذه الجنة، وما أظن الساعة أن تأتي أبدا، وقال: لئن جاءت حياة بعد هذه الحياة، يكون لي هناك أحسن وأفضل من هذا الحظ عند ربي، فقال له صاحبه وهو مؤمن: لقد كفرت بالذي خلقك، وأنا فقير في الدنيا، ولكن أدعو الله–تعالى– أن يهبني في الآخرة جنة خيرا من جنتك، أرسل الله –تعالى– غضبه على بستان الرجل الغني الكافر، فهلك ثمر جنته، وغار مائه هو نتيجة كفره بنعم الله –تعالى– فقال:﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾،[223] وقد ضرب الله المثل، ليبين حال الفريقين المؤمنين والكافرين، من قبل أن الكفار مع تقلبهم في النعيم قد عصوا ربهم، وأن المؤمنين مع مكابدتهم للشدائد والبأساء قد أطاعوه.[224]

فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾،[225] واضرب أيها الرسول لهؤلاء المشركين بالله–تعالى– الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي مثلا، فهذا هو مثل رجلين جعلنا لأحدهما بستانين من كروم العنب، وأحطناهما بنخل، وجعلنا وسط هذين البستانين زرعا.[226]

---

223 الكهف 18/ 42.

224 المراغي، *تفسير المراغي*، 15/ 148.

225 الكهف 32/18.

226 المراغي، *تفسير المراغي*، 15، 148.

قال تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾،[227] أخرجت ثمارها، ولم تنقص منه شيئا في كل عام، ووسط الجنتين نهر، تتفرع منه عدة جداول وتُرَع، لسقي جميع الجوانب والوصول إلى كل مكان في الجنتين.[228]

عندما يملك الإنسان الكثير من الأموال والثروة، فأكثرهم يغترون بسبب ذلك المال، كما نرى قصة صاحب الجنتين، قال تعالى في حكايته: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾،[229] وكان له – لصاحب الجنتين– ثَمَر أي أنواع من المال غير الجنتين–، من ثمّر ماله إذا كثّره، فقال لصاحبِه وهو يحاوِره – يراجعه الكلام–، تعييرا له بالفقر، وفخرا عليه بالمال والجاه، أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا – أنصارا وحشما–، وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾،[230] وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها، كما يدل عليه السياق ومحاورته له، وإفراد الجنة هنا مع أن له جنتين كما مر، إما لعدم تعلق الغرض بتعددها، وإما لاتصال إحداهما بالأخرى، وإما لأن الدخول يكون في واحدة فواحدة،[231] وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾،[232] بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد، وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع، والثمار، والأشجار، والأنهار، المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى، ولا تنقرض، ولا تهلك، ولا تتلف، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة، ولهذا قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾أي: كائنة ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾، ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله، ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، لو قدر أن هناك بعثاً، فسيكون خير الدنيا موصولاً بخير الآخرة، كما قال الله في الإنسان الكافر،[233] في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾،[234] فلما سمع الرجل الشاكر مقالته لم يتجه إلى المتاع والزخرف يسأل ربه إياه، فالدنيا عنده حقيرة صغيرة، وإنما

---

227 الكهف 33/18.

228 الزحيلي، *التفسير الوسيط*، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق، 1422 هـ، 2/ 1424.

229 الكهف 32/18.

230 الكهف 34/18– 35.

231 القاسمي، *محاسن التأويل*، 7/ 33.

232 الكهف 34/18– 35.

233 ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 5/ 142.

234 فصلت 41/50.

اتجه إلى القيم الباقية، إلى تحقيق الحق وإزهاق الباطل، فغضب لربه وانتفض الإيمان في قلبه، فلم يبال المال، ولم يدار النفر ولم يتلعثم في الحق، ولم يجامل فيه، وقال معتزًا بعقيدته وإيمانه، ومعتزًا بالله الذي تعنو له الوجوه، منكرًا على صاحبه بطره وكبره، مذكرًا له بمنشئه من ماء وطين، موجها له إلى الأدب الواجب في حق النعمة وشكر المنعم بها، منكرًا عليه طغيانه وكفره، راجيًا عند ربه ما هو خير وأبقى من جنتيه وثماره، كما أخبر الله –تعالى– عنه أنه،[235] ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾،[236] "قال له صاحبه المسلم وهو يحاوِره أكفرت بالّذي خلقك؟ يعني خلق أباك وأصلك من تراب، ثم خلقك من نطفة –يعني ماء الرجل والمرأة– ثم سواك رجلا، أي عدلك بشرا سويا ذكرا، لكنّا هو الله ربي، يقول: أما أنا فلا أكفر بربي، ولكنا هو اللّه ربي"،[237] امتحن الله– تعالى– الرجلَ المؤمن بضيق العيش، لكنه أنعم الله عليه بنعمة الإيمان والرضا، أما صاحبه الكافر فقد امتحنه الله–تعالى– بكثرة الرزق، ليختبره، ولكن الرجل الكافر كان مغرورا بهذه النعمة العظيم وتكبر وظلم نفسه، وزعم الرجل الكافر أنهما جنتان لن تفنيا، وليس هناك بعث ولا آخرة، ولا جنة غير هاتين الجنتين، رد المؤمن على كفر صاحبه وإعجابه بما عنده، فقال تعالى حكاية عما قاله المؤمن لصاحبه الكافر: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾،[238] "هلا قلت حين دخلتها: ما شاء الله كان، يعني إن شاء أهلك هذه الجنة وأفناها، كان ذلك بمشيئته، وبيَّن الزجاج أنه لا يقوى أحد على ما فِي يديه من ملك ونعمة إلا بالله –تعالى–، ولا يكون له إلا ما شاء الله، إن رأيتني أنا أقلّ منكم أولادا في الدنيا"[239] ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾،[240] ذكره بالله –عز وجل–: "مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للمعاد إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة: إن ترن أيها الرجل أنا أقلّ منك مالا وولدا في الدنيا، فعسى ربي أن يرزقني خيرا من بستانك هذا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾، يعني على جنة الكافر التي قال عنها: ما أظن أن تبيد هذه أبدا، فقد يرسل

235 السلمان، *مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار*، معهد إمام الدعوة ، الرياض، 194/2.

236 الكهف 37/18– 41.

237 الثعلبي، أبو إسحاق حمد بن محمد بن إبراهيم، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تح: أبو محمد بن عاشور، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422، هـ– 2002 م، 6/ 171.

238 الكهف 39/18 .

239 الواحدي، *التفسير الوسيط*، 3/ 149، والسمرقندي، *بحر العلوم*، 2/ 347.

240 الكهف 18/ 39.

الله عليها ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، يقول: عذابا من السماء ترمي به رميا، كما قال: ابن عباس ﴿الحُسبان﴾، العذاب، وقوله: ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾، يقول عز ذكره: فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضا ملساء لا شيء فيها، قد ذهب كل ما فيها من غَرْس ونبت، وعادت خرابا بلاقع زَلَقا، لا يثبت في أرضها قدم لشدة نعومتها وصلابتها".[241]

ومن ثم يذكر الله –تعالى– هلاك ثمر بستان الرجل الكافر وندمه، فقال تعالى:﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾،[242] أهلك جميع ثروته، مستمدة من الإحاطة والاستدارة حول الشيء من جميع جهاته، تمكنًا منه وغلبة عليه، وأحاطت الجوائح بثمار جنته التي كان يقول فيها: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾.[243]

يضرب الرجل الكافر المغتر بماله باطن إحدى كفيه على ظاهر الأخرى متندما ومتعجبا مما حدث، وأسفا حين رأى جنته وبستانه خربت وساقطة على عروشها، وقال: يا ليتني عرفت نعم الله، وعلمت أنها كانت بقدرته وفضله وكرمه ورحمته يا ليتني لم أشرك به شريك ولم أجحد نِعَمَه علي، وعلم هذا الرجل الكافر المغرور أن جنتيه بسبب كفره وشركه، لذلك أسفا وتمنى وقال: يا ليتني ما أشركت.

2.3.2. زمان القصة ومكانها

تخبر القصة عن وجود رجلين في زمان ماضي دون تحديد هذا الزمان قطعيا، بيد أنه حدد ديانة الرجلين من خلال سياق الآية فكان أحدهما مؤمنا، والآخر كافرا، كان بينهما صحبة، ولكن لم يذكر القرآن الكريم اسمي الرجلين وأَبهم اسمهما، كما أخفى ذكر زمانهما ومكانهما وقومهما، فلا يُعلمُ من هما وأين عاشا، يقول تعالى لنبيه –صلى الله عليه وسلم–: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله–تعالى–، والكافر بها، وما صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل لهما، وليس في معرفة أعيان الرجلين، وفي أي زمان كانا أو مكان كبير فائدة أو نتيجة، فالنتيجة تحصل من قصتهما فقط، والتعرض لما سوى ذلك من التكلف،

---

241 الطبري، *جامع البيان*، 18/ 26.

242 الكهف 42/18– 44.

243 الكهف 34/18– 35.

فأحد هذين الرجلين الكافر لنعمة الله الجليلة، جعل الله له جنتين، بستانين حسنين، من أعناب ولكنه طغى وتكبر بما منحه الله إياه.[244]

إن من عادة القرآن في قصصه عدم ذكر الأسماء، فلا يهتم بمكان القصة، وزمانها، وأين جرت أحداثها، بشكل عام، ولا يذكر مِن هذا وذاك إلا ما دعت إليه الضرورة، أو كان في ذكره فائدة؛ لأن المقصود هو الحدث نفسه وما فيه من العبر والدروس، لأن هذه الدروس لن تتغير بتغيير الأسماء والأماكن، مع أن أصحاب القصة قد يكونون معروفين بأسمائهم، وأين كانت أحداث قصتهم، كما هو الواقع في القصة التي نتابع أحداثها.

وبعد جملة من التوجيهات تأتي قصة صاحب الجنتين، فلا نعرف من هو ولا من صاحبه، ولا في أي مكان ولا في أي زمان كان ذلك، وفيها ما يجب أن يكون عليه المؤمن من الثقة في الله، وتفويض الأمر له بعد شكره على ما أنعم.[245]

وهي قصة صاحب الجنتين الذي أعطاه الله –تعالى– جنتين فبدلا من أن يشكر الله –تعالى– على نعمه، كفر وأنكر البعث والحساب، وهناك قصة شبيهة بها في –سورتي القلم و سبأ– قصة الأخوة الذين كانوا يملكون جنة من جنان الأرض فمنعوا وتركوا حق الفقراء والمساكين والأيتام، فذهب الله بثمر الجنة كلها وأحرق أشجارها، تبدأ هذ القصة في سورة القلم من 17–33، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَابَ الجنة إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾،[246] وفي سورة سبأ تبدأ القصة من آية 15– 21، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ واشكروا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العرم وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذلك جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نجازي إِلاَّ الكفور﴾.[247]

---

244 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ– 2000 م، 476/1.

245 مناهج جامعة المدينة العالمية، *التفسير الموضوعي*، الناشر: جامعة المدينة العالمية، في ماليزيا، ص 237– 250.

246 القلم 68/ 17 – 18.

247 سبأ 68/ 15 – 17.

4.2. الدروس المستفادة من قصة صاحب الجنتين

سنتناول من خلال هذه القصة مجموعة من الدروس المستفادة، يستفاد منها أن من أنعم الله عليه من نعم دنيوية، فنسي آخرته وأطغى، وافتخر بماله وتكبر، لم يعترف بفضل الله ونعمه، ولم يشكر الله عليها، يحرم من الدنيا والآخرة.

1.4.2. اهتمام القرآن بضرب الأمثال

لقد ضرب الله –تعالى– للناس في القرآن الكريم من كل مثل، ففيه الكثير من الأمثال، لأن ضرب الأمثال فيه فوائد هامة كالتذكير، والترغيب، والترهيب، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فيضرب الأمثال حتى يرى المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد: وتلك الأمثال يضربها اللَّه –تعالى– لذوي الألباب الذين يعتبرون ويتعظون، ويدركون أنفسهم من صورة غيرهم، ويؤدبونها، ويصلحونها، لرؤية المحاسن وأضدادها في غيرهم، وهذا مثل ضربه اللَّه –تعالى– وبينه للفاجر والبار، أعطى كل واحد خيرا، ربما يقل أحدهما عن الآخر خيرا، أو لَا يقل ولكن أحدهما يستكثر ما أعطاه لا ليشكره، بل ليغتر ويحسب أنه أخذه أخذاً ويذهب فرط غروره إلى أنه أخذ بفضل عقله، وأنه لن يضيع أبدا، ثم يذهب، ليقمع غروره أو تنطفئ شعلة اغتراره، وتبدو له الحقيقة واضحة، وهي أنه لَا يملك من الأمر شيئا، فيذكره بأصل خلقه، وأنه لم يكن شيئا مذكورا، ويوجهه إلى الحمد والشكر على ما أعطى،[248] إن الإنسان بطبيعته يميل أن يسمع للأمثال والقصص لذا اهتم الله –تعالى– في القرآن الكريم بإتيان المثل لأن فيها كثير من الفوائد والعبرة.

إن للأمثال من الكلام موقعا في الأسماع، وتأثيرا في القلوب، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها، لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله–تعالى– الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه، لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة.[249]

فضلا على أن للأمثال فوائد جمة منها: التنفير من الشر، يقدم القرآن الكريم نماذج لنفوس بشرية، وإن في دراستها لعبرة، وفي تدبرها عظة، وكم في القرآن الكريم من نماذج لأولياء

248 أبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 9/ 4528.

249 الماوردي، *أدب الدنيا والدين*، دار مكتبة الحياة، 1986 م، ص 286.

اللَّه الصالحين: من النبيين، والحكماء، والصديقين، والربانيين، إنها النماذج الصالحة في معتقداتها، ومسالكها، وأخلاقها، في قلوبهم نور، وفي عملهم نور، وفي أقوالهم نور، كما قدم الكتاب العزيز نماذج لنفوس انطوت على الشر والسوء ونفوس انسلخت مما يدعو إليه العلم النافع، والآيات البينات الواضحات بعد أن علموها، فلم يشرفهم العلم، لأنهم لوثوا أنفسهم بالعُجب والغرور، وطلب الدنيا وإيثارها على الآخرة، وقدّم نماذج تتلون كما تتلون الحرباء، ظاهرها يسرُّ، وباطنها شر وضر، وأمثلة هذا النوع كثيرة في القرآن، منها القصص، فكل قصص القرآن أمثال منصوبة للاعتبار والاقتداء بالصالحين، وتحري طريقهم والابتعاد عن طريق الضالين الهالكين، سواء ما نص منها على أنها مثل أم لم ينص، ومثال ما نص على ضربها،[250] مثلاً ما ورد في قوله تعالى:﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾،[251] وقوله:﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾،[252] الغالب في الأمثال أنها تضرب، لتقريب التجارب والنتائج، وعواقب الأمور، والبراهين وغيرها من الحكم إلى الأذهان، وإقناع المخاطب بها عن طريق مقايسة حال بحال، فالأمثال إذاً هي إطارات لفظية تقدم من خلالها الحكم، فهي تتضمن الحكمة، بل قد فسرت الحكمة في بعض معانيها، في الدلالة على أهمية الأمثال المستفاد من قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة منها: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس.. وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾،[253] فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد، ويمكن حصر الأغراض التي تُضرب لها أمثال القرآن بما يلي:

1. ضرب المثل، لإيضاح المراد وتقريبه للمخاطب.

2. إقامة الحجة والبرهان.

---

250 الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، *الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله*، ط: الأولى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1424هـ- 2003 م، 1/ 168- 169.

251 الكهف 32/18.

252 يس 36/ 13.

253 إبراهيم 45/14.

3. الإقناع بالترغيب في الحق وتحسينه، والترهيب من الباطل وبيان قبحه، والمدح والذم.

4. الدلالة على كثير من الحكم والفوائد العلمية، وبيان السبب الذي من أجله ضرب الله –تعالى– الأمثال للناس في القرآن الكريم، هو ليتفكروا ويتعقلوا وينتفعوا بها، فالأمثال تُهَوِنُ للناس التفكر، والتذكر، والتعقل، وتبين الخفي والغامض، هذا هو الاعتبار من أجله ضرب الله – تعالى– الأمثال كتابه العزيز بأنواع مختلفة.

ومما تقدم يتبين لنا أن من أغراض ضرب الأمثال في القرآن الكريم غرضاً يتجلى في إبراز النماذج الخيّرة الصالحة، وبيان أعمالهم وأحوالهم، وما آل إليه مصيرهم في الدنيا والآخرة، لتكون قدوة صالحة يُرغَّب ويُحثُّ على الاقتداء بهم، وإبراز النماذج الشريرة الضالة وتجلية صفاتهم وأعمالهم وأحوالهم، وكيف كانت عاقبتهم؟ ليحذر منهم ومن طريقهم.[254]

نعم القصد في إتيان الأمثال في القرآن الكريم العبرة والاتعاظ والاستفادة من أحداث الأمم الماضية، ودليل على ربوبية الله –تعالى– وقدرته وقوته، وبعض الأحيان دليل على نبوة نبينا وسيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم–.

2.4.2. فتنة المال والاغترار بالدنيا

ويستفاد من قصة صاحب الجنتين أن من أعظم الفتن وأشدها على النفوس البشرية فتنة المال والثروة والغنى كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾،[255] وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ"،[256] وصدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم–فيما قال، فكم من أناس يصبرون على الشدائد والفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم في الأوحال ولا تذل ولكن قليلون هم الذين يصبرون على الثراء والمنصب والوجدان وما يغريهم من لذة ومتاع، وما يثيرهم من شهوة وأطماع، وهذه عادة الإنسان في عمومه إلا من عصمه الله بالإيمان، لا يشكر الله –تعالى– لجهله وظلمه، وإذا رأى

---

254 الجربوع، *الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله*، 1/ 170– 155.

255 التغابن 64/ 15.

256 ابن حنبل، مسند، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة قرطبة، القاهرة، باب حديث بن كعب بن عياض، رقم الحديث 17471، 29/ 15.

نفسه غنيًا طغى وبغى وتجبر، ونسى أن إلى ربه الرجعى،[257] قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾.[258]

فالإنسان بطبيعته لديه طموح في جمع المال والثروة، فإذا ملك وأخذ الكثير من الأموال ليطغي ويتكبر، لا يفكر أن هذه نعم الله –تعالى– ولا يفكر أن العظمة والفضل ليس في جمع المال والمنصب والغنى، ولا يفكر في أنه سيموت ويفنى المال والمنصب، ويرجع إلى الله –تعالى–، كما يقول عز وجل في شأن الرجل الغني صاحب الجنتين: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾،[259] "شأن الغني دائما – إلا من رحم الله– المفاخرة بأمواله والاغترار بالدنيا، والترفع على الآخرين بالثروة، مع أنها ظِلٌّ زائل، وعارية مستردة، وعرض متحول، فيمكن أن ينقلب صفر اليدين بين عشية وضحاها"،[260] هكذا هو حال الإنسان عندما وجد جماً من الأموال يفتخر بماله على الناس ويغتر به، لا يذكر أنه يأتي يوم يزول المال والجاه والمنصب.

ذَكَر الله –تعالى– افتخار صاحب الجنتين المغرور على صاحبه الفقير الشكور، قال تعالى:﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾،[261] وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾،[262] "قد يكون الاغترار بالمال سببا لإنكار البعث والقيامة والحشر والنشر؛ لأن الغني الظالم يرى في المادة كل شيء، وقد يستبد به الغرور، لغفلة منه وضعف عقله، فيزعم أن عطاء الدنيا له، لاستحقاقه إياه وما أوتيه إنما أوتيه على علم من عنده كما زعم قارون وغيره من المتكبرين بأموالهم، وعلى دربهم سار صاحب الجنتين فرأيناه يقول: إن كان بعث، فكما أعطاني الله هذه النعم في الدنيا، فسيعطيني أفضل منه في الآخرة، لكرامتي عليه، هذا مثل واضح للمؤمنين والكافرين، مثل رجل مؤمن موحد بالله، فقير صالح آثر الآخرة على الدنيا، فآتاه الله الجنة وثوابه العظيم، ومثل رجل كافر مغتر بدنياه مستنكف عن مجالسة المؤمنين، كما ذكر ابن عباس ومقاتل، كان للكافر بستانان فيهما الأشجار والزروع والثمار

---

257 أبو محمد، *مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار*، 2/ 196.

258 العلق 96/ 7.

259 الكهف 32/18.

260 الزحيلي، *التفسير المنير*، 15/ 256– 257.

261 الكهف 32/18.

262 الكهف 34/18– 35.

والأنهار، وأموال أخرى، فكفر بأنعم الله، وتفاخر على صاحبه بالمال والأولاد، وشك في البعث، فدمّر الله ثروته، وأتلف البستانين بحُسبان من السماء، وهو السحابة ذات المطر الغزير جداً، أو الصاعقة، أو العذاب، فندم وتحسر على ما أنفق، ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾،[263] أي يا ليتني عرفت نعم الله علي، وعرفت أنها كانت بقدرة الله ولم أكفر به، وهذا ندم منه حيث لا ينفعه الندم،[264] إذا تجاوز المعصية أكثر من حدها يكون سببا لصاحبها أن ينكر الدين وينكر البعث والنشور مثل هذا الرجل الذي اغتر بماله، حتى أبطرته النعمة، وأنكر البعث.

إن من الفتن الكبيرة العظيمة فتنة المال، التي قل من ينجو ويسلم منها، قل من يأخذ المال من وجهه فكان المال لدى كثير من الناس ما حل في يده وأخذ بأي طريق كان، ولو في الحرام، قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: " لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ بِحَلاَلٍ أَمْ بِحَرَامٍ"،[265] ولقد صدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فإن كثيراً من الناس لا يبالون بالمال من أي وجه اكتسبوه، كأنما خلقوا للمال والدنيا، ولا حساب عليهم في ذلك ولا عقوبة، يكسبون المال بالغش، وبالكذب، وبالرشوة، وبالربا صريحا أو خداعا، وحيلة ويكتسبون المال بالدعاوي الباطلة، فيدعون ما ليس لهم، أو يجحدون ما كان عليهم، ولا خير في مال عاقبته العذاب والنكال، فاحذروا أيها المسلمون هذه الفتن واجتنبوها، فإنها إذا ظهرت عمت المجتمع كله، وأصابت الصالح والفاسد،[266] قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾،[267] كثير الذين غرقوا في حب الدنيا، وكثير هم من ابتلوا بكثرة من الأموال والمنصب والثروة فلم ينجحوا في هذا الاختبار، لأن في فتنة المال أضر فتنة على الناس.

وهناك نماذج لكثير من الناس، يعتزون بالأموال والأولاد، ويجعلونها غايتهم في الحياة، ويتحوّل هذا الشعور الداخلي إلى سلوك اجتماعي في كثير من الأحيان، وقد رأينا نموذج هذا الإنسان في صاحب الجنتين، الذي آتاه الله أولاداً وأموالاً، فطغى وكفر بنعمة الله، وعدّ المال

---

263 الكهف 42/18- 44.

264 الزحيلي، *التفسير المنير*، 15/ 256- 257.

265 البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب البيوع، باب يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا، رقم الحديث 2083، 3/ 59.

266 العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، *الضياء اللامع من الخطب الجوامع*، ط: الأولى، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة،، 1408هـ - 1988 م، 8/ 627.

267 الأنفال 8/ 25.

والولد كل شيء في الحياة فراح يقول مفتخرا: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾،[268] اغترار هذا الرجل وافتخاره بكثرة ماله وعشيرته وقبيلته، بالغنى والحسب، يقوله افتخارا لا تحدثا بنعمة الله عليه، بدليل العقوبة التي حصلت له،[269] الرجل المغرور افتخر على صاحبه المؤمن الفقير بماله وقال: له أنا أكثر منك من جهة المال والغنى، واستعمل كلمة (أنا)، ونسي خالقه ونعمه التي فاضت الله–تعالى– وغمرته من عنان رأسه إلى أخمص قدميه، وادعى أنه أخذها بقوته وشرفه، وظن أنه أفضل من الناس وأفضل من صاحبه الفقير الشكور المؤمن، لذا اختصه الله بالكثير من المال.

وبعد ذلك يقص الله –تعالى– لنا مشهد الدمار والخراب الذي أصاب الجنتين وندم صاحبهما، ففجأة ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار، إلى مشهد الدمار والبوار، ومن هيئة البطر والاستكبار، إلى هيئة الندم والاستغفار، فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾،[270] وهو مشهد شاخص كامل الثمر كله مدمر، كأنما أخذ من كل جانب، فلم يسلم منه شيء، والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة، وصاحبها يقلب كفيه أسفا وحزنا على ماله الضائع وجهده الذاهب، وهو نادم على إشراكه بالله–تعالى–، يعترف الآن بربوبيته ووحدانيته، ومع أنه لم يصرح بكلمة الشرك، إلا أن اعتزازه بقيمة أخرى أرضية غير قيمة الإيمان كان شركا، ينكره الآن ويندم عليه، ويستعيذ منه بعد فوات الأوان، هنا يتفرد الله بالولاية والقدرة، فلا قوة إلا قوته، ولا نصر إلا نصره، وثوابه هو خير الثواب، وما يبقى عنده للمرء من خير فهو خير ما يتبقى ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾،[271] ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفا وندما، وجلال الله يظلل الموقف، حيث تتوارى قدرة الإنسان، وأمام هذا المشهد يضرب مثلا للحياة الدنيا كلها، فإذا هي كتلك الجنة المضروبة مثلا قصيرة، لا بقاء لها ولا قرار،[272] ويصور الله –تعالى– المشهد بعد ما خربت جنتيه ودمرت وهلك ما فيهما من

---

268 الكهف 32/18.

269 الراغب، عبد السلام أحمد، *وظيفة الصورة الفنية في القرآن*، ط: الأولى، دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، 1422 هـ– 2001 م، ص 317.

270 الكهف 42/18– 44.

271 الكهف 42/18– 44.

272 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2271.

النعم، ندم صاحبها على ما فعل من عدم شكره على نعم الله –تعالى– ولم ينسب النعم إلى الله –تعالى– ويتمنى أنه لم يشرك بالله –تعالى– ولم يكفر النعمة ولم ينكر البعث والنشور، فيضرب كفًا بكفٍ، لأن عادة الإنسان عندما يفاجئه شيء ولم يتوقعه فيقف متحيراً لا يدري ما يقول وما يفعل فيكتفي بأن يضرب كفاً بكفٍ ويضرب من فخذه وركبته، ويستيقظ من نوم الغفلة من دهشة هذه المفاجئة، نعم يفهم من قصة صاحب الجنتين خطورة فتنة المال والغنى، وقل من نجا وسلم منهما فتنة ، فأكثر الذين غروا وطغوا كان بسببهما، لأن المال أكبر فتنة في هذه الدنيا كما ظهر لنا من خلال هذه القصة السابقة.

3.4.2. عزة المؤمن بإيمانه بالله –تعالى–

على المؤمن أن لا يخشع وأن لا يذل أمام أي شخص كافر، وإنما يجب أن ينصحه ويرشده بقدر ما يستطيع ليوصله إلى سبيل الهداية، وعلى هذا فإن قصة صاحب الجنتين تبين هذا الموقف العجيب كما قال الله– تعالى–: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾،[273] وههنا يظهر دور النصيحة وأثرها وهكذا تنتفض عزة الإيمان في النفس المؤمنة، عندما لا تبالي بالمال والنفر، ولا تداري الغنى والبطر، ولا تتلعثم في الحق، ولا تجامل فيه الأصحاب، وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضل الله، وأن نقمة الله جبارة، وأنها وشيكة أن تصيب الغافلين المتبطرين،[274] فكيف يكفر بالذي خلقه وبقدرته سواه من نطفة ثم من علقة ثم يشرك به، إنه لجحود ما بعده جحود، ونكران للجميل لا يستحق إلا الجحيم.

وظهر من خلال القصة – أيضا– أن الجدال والنقاش قائم في الدنيا دائما على قدم وساق بين الكافر والمؤمن، وبين العاصي الفاجر، والمستقيم الصالح، الأول يغتر بماله ونفسه ودنياه، والثاني يستمسك بإيمانه وعقيدته وينظر لمستقبل عمره، ويدرك فناء الدنيا مهما عظمت، ويتأمل الخير فيما عند ربه، وهكذا كان حال المؤمن في مواجهة الكافر صاحب الجنتين وذي الثراء الواسع، حكى القرآن الكريم هذا اللون من الجدل الهادىء، الصادر عن غاية الإيمان، والحكمة، والعقل، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ

---

273 الكهف 18/37– 41.

274 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2258– 2271.

نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾،[275] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾،[276] وقوله: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ وهو قول المؤمن الذي لا مال له، ولا عشيرة، مثل صاحب الجنتين وعشيرته، إن ترن أيها الرجل أنا أقلّ منك مالا وولدا في الدنيا، ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾،[277] فعسى ربي أن يرزقني خيرا من بستانك هذا، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾، يعني على جنة الكافر التي قال عنها: ما أظن أن تبيد هذه أبدا، ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، عذابا من السماء ترمي به رميا، وتقذف، والحسبان: جمع حُسْبانة، وهي المرامي،[278] فإن المؤمن الحقيقي يؤمن بما يرزقه الله –تعالى– وبما رزق له، ويعلم بأن له معاد ويسأله عن كل ما أعطاه حق اليقين.

ومن المعلوم أن استعلاء نفس المؤمن وتحرره من العبودية لغير الله –تعالى–، يجعله لا يخاف إلا إياه، ولا يطمع إلا في رضاه، وهذا ما يربي فيه الخصال الحميدة من العزة والكرامة والصدق والشجاعة والسخاء؛ لأنه صار عبدا لله حقا، يستمد عزه من عزته، وقوته من قوته،[279] كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾،[280] وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾،[281] "من كان يريد الوصول إلى الشرف والتعزز والسمو، فليتعز بطاعة الله، فليطلبها من الله–تعالى– لا من غيره، فإن الله–تعالى– هو مصدر العزة وحسب، وهو يهب منها لمن يشاء، وهذا ردّ على الكفار الذين كانوا يطلبون العزة بعبادة الأصنام، وعدم الطاعة للرسل، وترك الاتّباع له، فقال: إن كنتم تطلبون بهذا الكفر العزة في الحقيقة، فهي كلها لله، ومن يتذلل له فهو العزيز، ومن يتعزز عليه فهو الذليل،[282] وذلك كما قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾،[283] من يريد العزة والشرف في الدنيا، والنجاة في الآخرة، فعليه اتباع أوامر الله –تعالى– ورسوله واجتناب

---

275 الكهف 37/18– 41.

276 الكهف 39/18.

277 الكهف 18/ 39.

278 الطبري، *جامع البيان*، 18/ 25.

279 الشحود، *أركان الإيمان*، ص 44.

280 المنافقون 63/ 8.

281 فاطر 10/35

282 الزحيلي، *التفسير المنير*، 22/ 236.

283 المنافقون 63/ 8.

معاصيه، لأن الله – تعالى- هو المعز والمذل في الدارين، كما قال تعالى: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾،[284] إن كل عزة يرجع إلى الله – تعالى- فلا عزة ولا كرامة بعد عزة الله-تعالى- وكرامته التي يعطيه الله -تعالى- المؤمن، وذلك بسبب تطبيق أوامر الله وأحكامه، والتوكل على الله – سبحانه وتعالى- والمنافقون والكافرون غافلون عن هذه الحقيقة.

4.4.2. كون شكر النعمة سبب لدوامها، وكفر النعمة دليل على زوالها

إن تذكير الناس بالنعم التي أنعمها الله -تعالى- على عباده ودفعهم إلى الشكر عليها فضيلة واعتراف للعبودية، فإن قصة الرجلين والجنتين تضرب مثلاً للقيم الزائلة والباقية، وتصور النموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والمعتزة بالله، وتبدأ القصة بهذا المشهد التمثيلي، كما قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾،[285] "فهما جنتان مثمرتان من الكروم، محفوفتان بسياج من النخيل، تتوسطهما الزروع، ويتفجر بينهما نهر.. إنه المنظر البهيج والحيوية الدافقة والمتاع والمال،﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾، ويختار التعبير كلمة ﴿تَظْلِمْ﴾ في معنى تنقص وتمنع، لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم يشكر، وازدهى وتكبر، وها هو ذا صاحب الجنتين تمتلأ نفسه بهما، ويزدهيه النظر إليهما، فيحس بالزهو، وينتفش كالديك، ويختال كالطاووس، ويتعالى على صاحبه الفقير: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾،[286] ثم يخطو بصاحبه إلى إحدى الجنتين، وملء نفسه البطر، وملء جنبه الغرور، ونسي أن يشكره على ما أعطاه، وظن أن هذه الجنان المثمرة لن تبيد أبدا، فأنكر قيام الساعة أصلا، وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾،[287] إنه الغرور يخيل لذوي الجاه والسلطان والمتاع والثراء، أن القيم التي يعاملهم بها أهل هذه الدنيا الفانية، تظل محفوظة لهم حتى في الملأ الأعلى! فما داموا يستطيلون على أهل هذه الأرض فلا بد أن يكون لهم عند السماء مكان ملحوظ! فأما صاحبه الفقير الذي لا مال له ولا نفر، ولا جنة عنده ولا ثمر.. فإنه معتز بما هو أبقى وأعلى، معتز بعقيدته وإيمانه، معتز بالله الذي تعنو له الرقاب، فهو يجابه صاحبه المتبطر

---

284 الواقعة 56/ 3.

285 الكهف 18/32-33.

286 الكهف 18/32.

287 الكهف 18/34- 35.

المغرور، منكرا عليه بطره وكبره، يذكره بمنشئه المهين من ماء وطين، ويوجهه إلى الأدب الواجب في حق المنعم، وينذره عاقبة البطر والكبر، ويرجو عند ربه ما هو خير من الجنة والثمار.[288] فكلا الرجلين نموذج إنساني لطائفة من الناس، فإن القصة نموذج للرجل الثري الغني، تذهله وتغريه الثروة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، فيرى النعمة دليلا على المنعم، وموجبة لحمده –تعالى–، لا لجحوده وكفره.

فالله – تعالى– تكفل لمن شكر على نعمه بالمزيد، وحذّر من كفر نعمه بالعذاب الشديد فقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾،[289] والمعنى إن شكرتم أجرتم لَا محالة، وزادكم اللَّه نعمة، وإن كفرتم منعتم وعوقبتم، وإن الله –تعالى– شديد شدة بالغة الغاية، وإن هذا يدل على أن الطاعة تعود فائدتها على من قام بها، لأن شكر المنعم، وشكر النعمة يزيدها، وإن كفر النعمة معه عذاب أليم، والله غني عن العباد، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾،[290] صرح الله –سبحانه– بأن ذلك القول من موسى لقومه، ولم يصرح بأن قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ..﴾، فاحتمل أن يكون الكلام منسوبا لموسى–عليه السلام–، أو هو من كلام الله رأساً، سواء أكان الكلام منسوباً لموسى، أم إلى الله– تعالى–؟ فالإيذان بالزيادة في الشكر والعذاب في الكفر من الله – تعالى–، أما الكلام في هذه الآية فمنسوب لموسى–عليه السلام– عندما قال لقومه من بني إسرائيل، أو هم وغيرهم، وفى هذا النص ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، فيه بيان أن الشكر والكفر مغبتهما تعود على الناس والثقلين جميعا، ولا تعود على اللَّه تعالى في شيء، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾، المعنى إن يكفر الناس والثقلان فإن اللَّه لا يضيره شيء، ولا ينقص من ملكه، إن اللَّه لغني حميد، أي لا يحتاج إلى عباده وهو حميد، أي محمود من الملائكة، وكلمة ﴿حَمِيدٌ﴾ مستحق للحمد في ذاته، محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه كل المخلوقات، فما ضررتم بالكفر إلا أنفسكم، حيث حرمتموها مزيد الإنعام، وعرضتموها للعذاب الشديد،[291] فإن الكفر بالنعمة هو أن لا يتخذها الإنسان في العبادة، وكفر من ذوي المال بإنفاقهم في غير المحل الذي يرضي به ربه، والاستعلاء به وبطر العيش، وأن يطغى إذا استغنى.

---

288 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2270.

289 إبراهيم 14/ 7.

290 إبراهيم 14/ 8.

291 البيضاوي، *تفسير البيضاوي*، 3/ 368، وأبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 8/3994– 3995.

فهناك جَمٌّ غَفِيرٌ من الناس اغتروا بسبب ما رزقهم وحباهم من نعم فقابلوا العطاء بالتكذيب والنكران فأخبر عنهم الكبير المتعال بقوله :﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾،[292] تكذبون على نعم الله–تعالى–التي أفاض الله– إذا أنعم الله–تعالى– عليكم نعمة أن تقدموا شكراً لله–تعالى– عليها، يلزم على الإنسان إذا أعطاه الله–تعالى– يعلم أنه من نعم الله عز وجل عليه ويعلم أنه اختبار من الله –تعالى– له كما قال تعالى: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾،[293] من شكر فشكره لنفسه، ومن كفر فالله –تعالى– غني عن العالمين، كما قال تعالى:﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾،[294] يفهم أن الشكر على نعم الله –سبحانه– سبب لداوم هذه النعم، والكفر على النعم يكون سببا لزوال النعم، لذلك يجب على المؤمن أن يديم الشكر على النعم سواء كان كثيرا أو قليلا، كما رأينا من قصة صاحب الجنتين هذه الحقيقة، فيجب الاتعاظ والعبرة بما وقع في القصة.

5.4.2. تفويض الأمر لله –تعالى–

فالإرادة: صفة لله عزوجل–، فهو –سبحانه– يفعل ما يشاء من الأمور، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وقدرته–سبحانه وتعالى– نافذة في كل شيء، لا تتخلف ولا ترد، ولا معقب لها، فما شاءه الله–تعالى– لا بد أن ينفذ ويقع وفقا وطبقا لما شاءه، لا يمكن أن يكون في الكون ذرة، أو حركة، أو سكون، أو قيام، أو قعود، أو مرض، أو صحة، أو ضعف، أو قوة، أو إيمان، أو كفر إلا إذا شاء الله –سبحانه وتعالى– وهذا هو معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾،[295] وقدرته –سبحانه وتعالى– شاملة لكل شيء، فهو قادير على كل شيئ.[296]

---

292 الواقعة 82/56.

293 النمل 40/27.

294 إبراهيم 7/14.

295 التكوير 29/81– 28.

296 البدر، عبد الرزاق بن عبد المحسن، *تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي*، ط: الأولى، الناشر: غراس للنشر والتوزيع، عمان، 1424هـ– 2003 م، ص 151، وابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ– 1978 م، ص 189.

إن نعمة الله –تعالى– على الإنسان بالإيمان والإسلام ولو مع قلة المال والولد والثروة هي النعمة الحقيقية الباقية، وما عداها معرض للزوال والعقوبة، فينبغي على الإنسان إذا أعجبه شيء أن يقول:﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾،[297] حتى يفوض الأمر إلى الله لا إلى حوله وقوته، من اعترف بفضل الله عليه، فإنه يبارك الله له فيما أعطاه، وأما من أشِر وبطر، فلا يبارك الله له فيما آتاه، ولا ينتفع به، والمشيئة: وهى أن الله–تبارك وتعالى– شاء لكل موجود أو معدوم في السماوات أو في الأرض، فما وجد موجود إلا بقدرته الله –تعالى– وما عدم معدوم إلا بمشيئة الله –تعالى– وهذا ظاهر في القرآن الكريم، وقد أثبت الله –تعالى– مشيئته في فعله و في فعل العباد: فقال الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾،[298] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾،[299] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾،[300] فبين الله –تعالى– أن فعل الناس كائن بإرادته، وأما فعله –تعالى– فمن ذاته العلية، فكثيرا قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾،[301] وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾،[302] فلا يتم الإيمان بالقدر عامة لكل موجود أو معدوم، فما من معدوم إلا وقد شاء الله – تعالى– عدمه، وما من موجود إلا وقد شاء الله – تعالى– وجوده، ولا يمكن أن يقع شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بعلمه وقدرة الله –تعالى–[303] فكثير من الآيات تدل وتثبت على أن القدرة لله – تعالى– حتى يفهم الإنسان ويفوض الأمر إلى الله –تعالى–، ويفهم أن كل موجود ومعدوم في السموات وفي الأرض بقدرته –سبحانه– ويعترف بما ملكه وما أخذه وما وجده بفضل الله – تعالى– كما تثبت الآيات التي ذكرنا المشيئة لله في فعله وفي فعل العباد.

وفي قصة الرجل صاحب الجنتين، يقول تعالى عن صاحبه المؤمن أنه قال له وهو يحاوره: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾،[304] هلا قلت عندما دخلتها﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، ما شاء الله كان، فترد أمر جنتك من الحسن والنضارة لخالقه –سبحانه–، ولا تفتخر به، لأنه ليس من عملك وصنعك ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا

---

297 الكهف 18/ 39.

298 التكوير 28/81– 29

299 الأنعام 112/6.

300 البقرة 253/2.

301 الأنعام 6/ 13.

302 هود 11/ 118.

303 العثيمين، *رسالة في القضاء والقدر*، دار الوطن، الرياض، ط: 1423هـ، ص 24– 25.

304 الكهف 39/18.

بِاللَّهِ﴾، أي وهلا قلت:﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾، معترفاً بأنها وما فيها بقوة الله –تعالى– إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناها، وأنك عاجز عنها وعن غيرها لولا معونة الله[305] فالإنسان ضعيف في إرادته وقدرته، فلولا معونة الله –تعالى– لعجز الإنسان في حياته، لذلك وجب تفويض الأمر لله –سبحانه– في كل أفعاله وتصرفاته.

إن الله خلق للعباد القدرة، فبالقدرة يستطيعون القيام بالتكاليف المطلوبة منهم، يصح توجيه الخطاب إليهم بالأوامر والنواهي، وعلى الفعل يقع الجزاء إن كان خيرا فخير، وإن كان شرا فشر، إلا أن يعفو الله –جل وعلا– فأثبت السلف –رحمهم الله–: أن الله له مع ما تقدم من تقديره السابق الحجة البالغة على خلقه بأن خلقهم على الهيئة الصالحة للتكليف والخلقة المناسبة لمخاطبتهم بالأوامر والنواهي، وقد دلت على ذلك الأدلة،[306] ومنها قول الله –عز وجل– في إثبات القدرة للعبد: قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾،[307] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾،[308] ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾،[309] وفي إثبات المشيئة والإرادة للعبد، قال عز وجل: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾،[310]﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾،[311]﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾،[312] ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَة* فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾،[313]﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾،[314] كما تبين هذه الحقيقة في الآيات السابقة، فوجب على العباد أن يثبتوا المشيئة مطلقاً لله –تعالى–، ومن أنكرها فقد طعن في هذه

---

305 الصلابي، علي محمد محمد، *الإيمان بالقدر*، ط: الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ص 22.

306 العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمني الشافعي، *الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار*،تح: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1419هـ– 1999 م، 1/ 53.

307 البلد 8/90– 10.

308 الأعلى 2/87.

309 الروم 54/30.

310 التكوير29/81– 28 .

311 الفرقان 25/ 57.

312 المدثر 74/ 37.

313 المدثر 74/ 54– 55.

314 الكهف 18/ 77.

الربوبية المطلقة على الخلق، لأن إنكارها معناه أنه يوجد في هذا الوجود شيء لا يريده الله ولا يشاؤه، وقد يشاء أمرا فلا يقع، فأي طعن في ربوبية الله –عز وجل– أعظم من هذا الطعن، وأي تنقص للرب –جل وعلا– أعظم من هذا التنقص،[315] –جل وعلا–، قال سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾،[316] إثبات المشيئة لله –تعالى– متعلقة بالعقيدة وحقيقة الإيمان واثبات ربوبية رب العبادة فلو لم يكن إقرار العبد بهذا الركن الأساسي المتعلق فيما بين العبد وربه –تعالى–نقص في أيمانه وعقيدته.

فلا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بقدرة الله–تعالى– ولا تسقط ورقة من شجرة إلا بأمر الله –تعالى–وقوته، لذا يجب علينا أن نؤمن بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بإرادة الله –تعالى–، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين،[317] "قال الله –تعالى– فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾،[318] وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾،[319] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾،[320] وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾،[321] وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾،[322] قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾،[323] وقال عز وجل: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،[324] وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ

---

315 العمراني، *الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار*، تح: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط: الأولى، أضواء السلف، الرياض، 1419هـ–1999 م، 1/ 58.

316 آل عمران 3/ 26.

317 العثيمين، *شرح الأصول الثلاثة*، ط: الرابعة عشر، دار الثريا للنشر، الرياض، 1424هـ– 2004 م، ص111.

318 القصص 86/28.

319 إبراهيم 27/14.

320 آل عمران 3/ 6.

321 النساء 4/ 90.

322 الأنعام 6 / 112.

323 يس 36/ 82.

324 الأنعام 39/6.

أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾،[325] فهذه الآيات تدل على إردة الله–تعالى– النافذة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، كما تدل على قدرته التامة، الشاملة بكل شيء"،[326] في الآيات السابقة تحقق الإثبات لربوبية الله –تعالى– لذا يجب على العباد أن يؤمنوا بأن كل ما في الكائنات لا تقع إلا بما شاء الله –تعالى– سواء في ما يتعلق بفعل الله –تعالى– وما يتعلق بفعل المخلوقات. والله أعلم

5.2. قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر

قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر، من القصص التي ورد ذكرها في سورة الكهف، والقصص التي توضح منهج الأنبياء، ومسلكهم في طلب العلم، ورحلتهم إليه، فطلبهم للعلم، رحلة طويلة، وعناء ومشقة، وعزيمة وإصرار، وهذه الرحلة توضح هذا العناء وذلك الإصرار، ويتمثل هذا العناء فيما يلي:

1.5.2. رحلة موسى للبحث عن الخضر

إن هذه القصة تعد من أروع القصص القرآن الكريم، وبما احتوتها من غرائب الأخبار، وعجائب الأمور، وبرز فيها علم الله–تعالى– المسبق لكل الحوادث، الذي يحيط بكل شيء، وتجلت فيها قدرة الله –تعالى– من أولها لآخرها، لتكون تسلية وتعليماً لموسى –عليه السلام–، ومعجزة للخضر –عليه السلام– وجاءت قصتهما في سورة الكهف نذكرها من خلال تفسير آيات القصة:

فإنما ذكر هذا الموضوع في القرآن الكريم، فهو يخرج ذكره مخرج الشهادة على اللَّه –تعالى– ولم يذكر اسم المكان ولا اسم الفتى، فهو غير حصول النفع لنا في ذلك، كما أن هذه الأشياء علمه لا ينفع وجهلها لا يضر، ولم يذكر فيه إلا أنه عبد من عباد الله–تعالى–.

تسميته بالخضر: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ، لأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَاهْتَزَّتْ تَحْتَهُ خَضْرَاءَ"،[327] فروة: "هي قشرة وجه الأرض، بيضاء: يابسة

---

325 الأنعام 111/6.

326 جبريل، حياة بن محمد، *الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة*، ط: الأولى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة،، 1423هـ– 2002 م، 1/ 523–524.

327 البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى، رقم الحديث 3402، 4/ 156.

ليس فيها نبت، خضراء: لما نبت فيها من عشب أخضر"،[328] إذن لم يخبرنا القرآن الكريم باسمه ولا بنبوته، وقيمة اسمه إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة، فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها، وإن القوى الغيبية لتتحكم في القصة منذ نشأتها فلا نذكر الخلاف في اسمه ونبوته، فيه اختلاف كثير بين العلماء في ما هو اسمه وهل هو نبي أو عبد صالح لأن بحثنا عن الدروس المستفادة، فلا حاجة لنا أن نذكر هذا الخلاف ولكن مذكر ملخص القصة.

يتبين لنا من خلال مطالع هذه القصة في سورة الكهف أن أسباب هذا اللقاء ما أخبرنا به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "نَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ "عِنْدَ مَجْمَعِ"، الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا "وَنَامَا"، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ..."،[329] ويخبر الله –تعالى– نبأهم بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾،[330] عزم موسى –عليه السلام– على الذهاب للبحث عن الخضر، وأنه لن يكف عن الطلب والبحث عنه، فجهز عدته، فأخذ حوتاً، فجعله في مكتل، واصطحب معه فتاه.[331]

---

328 القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، شهاب الدين، *شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، ط: السابعة، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، 1323 هـ، 5/ 383.

329 البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب تفسير القرآن، باب وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ...، رقم الحديث 4725، 6/ 88.

330 الكهف 18/ 60 – 65.

331 الماوردي، *تفسير الماوردي النكت والعيون*، 3/ 321.

فسار موسى لرحلة طلب العلم –عليه السلام– مع فتاه سيراً طويلاً، حتى شق عليهما السير وتعابا حينئذ قال موسى –عليه السلام– لفتاه: لا أزال سائراً إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي يوجد فيه من هو أعلم مني، حتى ولو سرت سيراً طويلا وعمرا مديدا، وصل موسى –عليه السلام– مع رفيق سفره وهو فتاه مجمع البحرين، فنام موسى –عليه السلام– وفتاه من شدة التعب عند صخرة، روي أنها "فِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا الْحَيَاةُ لَا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ"،[332] أصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب، وكان في مكتل مع الفتى، فتحرك وانسل من المكتل إلى البحر، فاستيقظ الفتى، وسقط الحوت في البحر، وجعل يسير فيه، والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده، وأنسى الشيطان الفتى أن يخبر موسى –عليه السلام– بعد استيقاظه من نومه بما رآه من حال الحوت ودخوله البحر،[333] فموسى –عليه السلام– بسبب همته لرحلة طلب العلم وسيره الطويل، وبحثه عن الشخص الذي هو أعلم منه لقي مقصده وهدفه، الذي أراده الله –تعالى– لكي يمتحن مع هذا الفتى الناصح له.

وهناك حوادث وأمور وقعت في طريقهما إلى مجمع البحرين لكن القرآن طوى ذكرها وأعرض عنها وانصب الحديث على مقصود القصة والهدف الرئيس من ذكرها، وهو اللقاء المرتقب بين النبي المتعلم والرجل الصالح المعلم، ولقد بلغاه فعلاً، ولكنهما لم يكونا يدريان أن هنا هو مجمع البحرين،[334] ويدل على هذا القول حديث بن عباس –رضي الله عنهما–، وفيه".. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ فَقَالَ لَهُ : احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُ تَفْقِدُ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ..."،[335] ولما أخذا حظهما من الراحة، تابعا المسير حتى جاوزا مجمع البحرين وهو المكان الذي نسيا الحوت فيه، فلما شعر موسى –عليه السلام– بالجوع والتعب قال لفتاه: آتنا غدائنا، لقد لقينا تعباً شديداً، نحتاج معه إلى شيء من الراحة، وشيء من الطعام، ذهب الفتى، ليعد الطعام، وبحث عن الحوت فلم يجده، وهنا تذكر أنه نسي الحوت عندما أوي إلى الصخرة، واستراحا قليلاً عندها، فقال لموسى

---

332 البخاري، صحيح *البخاري*، كتاب تفسير القرآن، باب أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، رقم الحديث: 11245، 6/ 92.

333 ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 5/ 159.

334 الخطيب، عبد الكريم يونس، *التفسير القرآني للقرآن*، دار الفكر العربي، القاهرة، 8/ 647.

335 مسلم، صحيح *مسلم*، كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر ،رقم الحديث 170، 4/ 1847.

–عليه السلام– : نسيت أن أخبرك بخبر الحوت، وكيف أنه دخل البحر، فاتخذ سبيله في البحر سبيلاً عجيباً، حيث إن الماء وقف جريانه، قال ابن عباس: "وصار أثره كأنه حجر.[336]

بعد أن أخبر الفتى موسى –عليه السلام– أنه نسي أن يخبره ما حدث من أمر الحوت، فهنا تذكر موسى –عليه السلام– الأمارة التي أخبر الله –تعالى– له، والتي يتعرف ويتطلع بها على المكان الذي يلتقي عنده بالعبد الصالح، وهي الصخرة التي نسيا الحوت عندها.

عاد موسى –عليه السلام– والفتى إلى الوراء، يتبعان آثارهما التي تنتهي إلى حيث أويا إلى الصخرة التي نسي الحوت عندها، حتى وصلا إليها،[337] هنا تقع أُمور في هذا الحدث العظيم غير متوقع بالنسبة لموسى–عليه السلام– على موعد معه، والذي من أجله رحل إليه ولذا سار إليه، وتحتمل في سبيله من الجهد والنصَب والمشقة.

فوجدا الخضر على طنفسة خضراء على كبد البحر، مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه، وطرفه تحت رأسه، فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال: هل بأرض من سلام من أنت؟ قَال: أنا موسى قال: موسى نبيّ بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: فما شأنك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشدا.[338]

2.5.2. الحوار بين موسى– عليه السلام– والخضر

وقع الحوار بين موسى –عليه السلام– والخضر، والسبب حينما سئل عن موسى –عليه السلام– من هو أعلم منك، فقال: لا أحد، فأمر الله –تعالى– أن يذهب إلى الخضر، فذهب إليه، وقام الخضر بأفعال تخالف ما بدا له أول الأمر، سأل موسى –عليه السلام– الخضر عن أفعاله التي قام بها، فقال الخضر: بأنها أسباب لم تظهر لموسى –عليه السلام–، وإنما علّم الله–تعالى– الخضر وأمره بتعليمه، وعند ذلك دار حوار بينهما، طلب موسى –عليه السلام– أن يرافق الخضر لكي يتعلم منه هذا العلم، أُنظر فهذا تواضع كبير منه –عليه الصلاة والسلام–، كما يخبرنا القرآن الكريم في سورة الكهف، وكان ذلك الحوار مخبرًا عن عظمة الأحداث،

---

336 زيدان، عبد الكريم، *المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة*، الناشر: ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419– 1998م، 1/ 385، وابن كثير، *تفسير كثير*، 5 /174.

337 الخطيب، *التفسير القرآني للقرآن*، 8/ 651.

338 ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، *تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم*، تح: أسعد محمد الطيب، ط: الثالثة، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، 1419 هـ، 7/ 2372.

وتأثيرها في نفس موسى –عليه السلام–، وتوقع الخضر أن موسى –عليه السلام– لن يصبر على ما يرى، فلا يستطيعُ أن يصبر ويصمت لذا اشترط الخضر عليه ذلك الشرط، قال تعالى على لسانهما:﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾،[339] "علم موسى –عليه السلام– أنه وجد ضالته التي ينشدها، والتي سار من أجل الوصول إليها، فبدأ اللقاء بين موسى والخضر، وتلطف موسى –عليه السلام– في القول، وتجمل بأحسن ما وهبه الله من أدب الحديث، وتواضع كريم، ومبالغة في التوقير"،[340] وقال له :﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾، أي هل تأذن لي في مصاحبتك واتباعك، بشرط أن تعلمني من العلم الذي علمك الله إياه شيئا أسترشد به في حياتي، وأصيب به الخير في ديني؟ قال الخضر لموسى: إنك يا موسى إذا اتبعتني ورافقتني، فلن تستطيع معي صبرا،[341] والنبي موسى –عليه السلام– قد أدرك حقيقة مهمة وهي أن هذا العلم خص الله –تعالى هذا العبد الصالح ، وأن العلم الذي لديه ليس إلا هبة من الله –تعالى– يهب لمن يشاء من عباده ويختص به كما خصّ به الخضر، فإن لم يهده ويرشده إلى الحقيقة والمعرفة فلن يقدر أن يدرك ولو شيئا قليلا.

قال ابن كثير[342]: في قول الخضر لموسى –عليه السلام– إنك لا تقدر يا موسى أن تصاحبني، لما ترى من الأفعال التي تخالف شريعتك، لأني على علم من علم الله –تعالى– ما علمك إياه، وأنت على علم من علم الله –تعالى– ما علمني إياه، فكل منا مكلف بأمور من الله–تعالى– دون صاحبه، وأنت لا تقدر على صحبتي، لسابق علمه بعجلة سيدنا موسى في معظم أموره وشؤونه.[343]

لا يستطيع موسى –عليه السلام– أن يسكت على ما قام به الخضر لأنها أمور في الظاهر متباينة عن رسالة نبي موسى –عليه السلام– ولذا علم الخضر أنه لا يتحمل ولا يصبر على هذه الأمور، وقال له: "وكيف تصبر يا موسى على أمور ستراها مني، هذه الأمور

---

339 الكهف 18/ 66 – 70.

340 زيدان، *المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة*، 1/ 387.

341 طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 8/ 552.

342 هو إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، و(المتوفى: 774 هـ – 1373 م. الحموي، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، 4/ 367.

343 ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، 5/ 181.

ظاهرها أنها منكرات لا يصح السكوت عليها، وباطنها لا تعلمه، لأن الله لم يطلعك عليه؟ وكأن الخضر يريد بهذه الجملة الكريمة أن يقول لموسى: إني واثق من أنك لن تستطيع معي صبرا، لأن ما سأفعله سيصطدم بالأحكام الظاهرة، وبالمنطق العقلي، وبغيرتك المعهودة فيك، وأنا مكلف أن أفعل ما أفعل، لأن المصلحة غير الظاهرة توجب ذلك، وهي تخفى عليك، ولكن موسى –عليه السلام– الحريص على تعلم العلم النافع، يصر على مصاحبة الرجل الصالح، فيقول له في لطف وأدب، مع تقديم مشيئة الله –تعالى–: قال موسى للخضر: ستجدنِي إن شاء الله صابِرا معك، غير معترض عليك، ولا أعصي لك أمرا من الأمور التي تكلفني بها، لكن الخضر قد أكد ما سبق أن قاله لموسى، وبين له شروطه إذا أراد مصاحبته، فقال: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾،[344] قال: الخضر لموسى– عليه السلام– على سبيل التأكيد والتوثيق: يا موسى إن رافقتني وصاحبتني، ورأيت منى أفعالا لا تعجبك، لأن ظاهرها يتنافى مع الحق، فلا تعترض عليها، ولا تناقشني فيها، بل اتركني وشأني، حتى أبين لك في الوقت المناسب السبب في قيامي بتلك الأفعال، وحتى أكون أنا الذي أفسره لك، قالوا: وهذا من الخضر تأديب وإرشاد لما يقتضى دوام الصحبة، فلو صبر موسى ودأب لرأى العجب،[345] إذاً فمهما كان الإنسان لديه علم كثير، يلزم عليه أن يحسب في نفسه بأنه محتاج للمعرفة أكثر، فموسى –عليه السلام– مع كونه من الرسل الذين لقبوا بأولي العزم ولكن احتاج إلى رجل صالح وهو الخضر فعلمه علما ما لم يعلمه موسى – عليه السلام– وتواضع أمام الرجل الصالح العالم ليتعلم منه علماً.

3.5.2. الأحداث التي قام بها الخضر

إن الأفعال والأحداث الثلاث التي قام بها الخضر –عليه السلام– مخالفة ومتباينة وخارقة للعادة، تخالف ما ظهر له أول الأمر، الأفعال والأحداث التي يقوم بها الخضر –عليه السلام– لا بد أن تكون صعبة كبيرة للغاية، بل غير متوقعة على الإطلاق بذات النبوة بشخص موسى –عليه السلام– كما أنها غير لائقة بشخصية الخضر، فلا يتوقع فعل كهذه الأفعال من رجل صالح، وهذه الأفعال مرتبة كما وردت في القرآن كما يلي:

---

344 الكهف 18/ 66 – 70.

345 القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 11/ 18، وطنطاوي، *التفسير الوسيط*، 8/ 552– 553.

أ. حادثة خرق السفينة

خرق السفينة، بعيد عن العقل والمنطق والعادة، بعيدعن منهج الله –عز وجل–، خرق السفينة،مع أنه صاحب سفينة رجل صالح، اركب سيدنا الخضر، ركب موسى –عليه السلام– والخضر السفينة، قام الخضر بخرق السفينة، بلا سبب، وبلا مبرر، فكافأه مقابل المعروف بالإساءة، هذا ضد الأمر التكليفي، موسى–عليه السلام– هو نبي معه الأمر التكليفي، فلم يتحمل ويصبر عندما يرى تعديا لحدود الله –عز وجل–، فاعترض عليه، قائلا: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾،[346] "فانطلقا يمشيان على الساحل، فقال الخضر: أما يكفيك إن التوراة بيديك، وأن الوحي يأتيك يا موسى إن لي علما لا ينبغي إن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغي لي إن أعلمه، فأخذ طائر بمنقاره مِن البحر، فقال: والله مَا علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ الطير منقاره مِن البحر، حتى إِذَا ركبا في السفينة، وجدا معابر صغارا تحمل أَهْل الساحل إِلَى أَهْل هَذَا الساحل الآخر، فعرفوه، فقالوا: عبد الله الصالح لا نحمله بأجر، فخرقها ووتد فيها وتدا... "،[347] متى كان الإنسان عالماً، يلزم أن يحسب في نفسه أنه ليس عالماً، لأنه مهما كان صاحب علم كثير، وكان علاّمةً ولكن هذه العلم أمام علم الله–تعالى– كالعدم، لذا أراد هذا الفتى أن يُعلّم صاحبه موسى–عليه السلام– أن علمه بنسبة لعلم الله– تعالى– قليل جداً.

كان موسى عندما رأى هذا الفعل من الخضر لم يستطع أن يصبر عليه، فهال موسى –عليه السلام– ذلك، واستنكر هذا الصنيع من الخضر فهو –عليه السلام– الذي أرسل لهداية الناس، ورد الظلم عنهم، فثارت غيرة موسى –عليه السلام– على الحق، فكيف أن يقابل إحسانهم بالإساءة، فقد أكرمونا أصحاب السفينة، وحملونا فيها من غير أجر، وها هو يخرق سفينتهم ويفسدها، فغلبت طبيعة موسى –عليه السلام– المندفعة عليه، فاندفع يحدث الخضر وقد نسي شرطه الذي اشترطه عليه، فقال له: أتؤذي قوماً أكرموا وفادتنا، وأحسنوا لقاءنا، بخرقك سفينتهم، وتحاول إغراقهم بلا مبرر ولا عذر؟ هل يجوز هذا في أية شريعة، وفي أي عُرف؟ فقد جئت بالمنكر من الأمور، الخارج عن المألوف،[348] والإنسان بطبيعته عدو لكل ما جهل، لذلك

---

346 الكهف 71/18 – 73.

347 المراغي، *تفسير المراغي*، 15/ 178، وابن أبي حاتم، *تفسير القرآن العظيم لإبن ابي حاتم*، 7/ 2372.

348 شحاته، محمد أحمد المولى، البجاوي، محمد أبو الفضل،ع لي محمد السيد، *قصص القرآن*، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، 1399هـ، ص164– 165، والقرني، عائض بن عبد الله، *المسك والعنبر في خطب*

فإن مشاهدة موسى –عليه السلام–ورؤيته لهذه الحوادث غير معروفة وخارقة للعادة، ومخالفة للشريعة ظاهراً، أصر موسى –عليه السلام– بعدم القبول وأنكرها على الخضر وقال له: لقد جئت شيئاً عظيماً منكراً، فحشا السفينة ببعض ثوبه، فقال: الخضر يا موسى ألم أقل لن تستطيع أن تصبر معي فيما تشاهده، فاعتذر له موسى –عليه السلام– وترك المناقشة فيما فعل الخضر.

ب. حادثة قتل الغلام

الحادثة الثانية التي حدثت بعد نزولهما من السفينة حادثة قتل الغلام الصغير ولكن النبي موسى –عليه السلام– كعادته، لم يستطع أن يصبر على ما رأى بعينه من قتل فتى صغير لم يجر عليه القلم، لأن هذه الحادثة أمر لا يتحمله أيُّ شخص يرى هذه المواقف صعبٌ عليه القبول بالسهولة، فليس عالم بهذا التقرير للعبد الصالح بأن هناك تدبيرًا خفيًّا من الله–تعالى–، وهذه الأمور تبرز الحقيقة بعد هذا الظاهر الذي لا يفهمه البشر في صورة تعويض إلهي بغلام آخر يخفض لأبويه جناح الذل من الرحمة، ليتغير حال النشأة والأسرة عما قريب بتدبير الله–تعالى– المطلوب، قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾،[349] "فانطلقا بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق والعطب، يمشيان على الساحل، فأبصر الخضر غلاما يلعب مع لداته وأترابه، لم يبلغ الحلم يلعب مع الصبيان، فقتله الخضر على الفور بلا صدور ذنب منه وجريمة، فاشتد الأمر على موسى، وامتلأ من الغيظ، ولم يقدر على كظمها وهضمها، قالَ موبخا مقرعا:﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾؟ معصومة بريئة عن جميع الآثام بغير إهلاك نَفْسٍ صدر منها قصدا، ليكون قتله قصاصا عنه شرعا، مع أنه لا ولاية لك حينئذ على قتله، وإن صدر عنه القتل عمدا، والله لقد جئت بإتيانك هذا شيئا نكراً منكراً مكروها في غاية النكارة والكراهة، إذ قتل النفس من أعظم الكبائر،لا سيما النفس المعصومة المنزهة عن عموم المعاصي، ولا سيما لم تكن لك ولاية قتله شرعا بلا جريمة أصلا، لقد جئت شيئا تنكره العقول، وتنفر منه النفوس، وأتى هنا بقوله: ﴿نُكْرًا﴾، وهناك بقوله: ﴿إِمْرًا﴾، لأن قتل الغلام أقبح من خرق السفينة، ولأن

المنبر، ط: الثالثة، الناشر:العبيكان، الرياض، 1425هـ، ص433، والخطيب، عبد الكريم، *القصص القرآني من الواقع المنظور وغير المنظور*، ص 129.

349 الكهف 18/ 74-76.

هذا لم يكن إهلاكا لنفس، إذ ربما لا يحصل الغرق، وفى هذا إتلاف النفس قطعا، فكان أنكر وأقبح في وجهة نظر سيدنا موسى– عليه السلام–، وبعد ما سمع الخضر منه إنكاره، قالَ له على وجه التشدد والغلظة: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، ولن تطيق أبدا معي صبرا، إذ لا مناسبة بيني وبينك، ولا موافقة لعلمي مع علمك، فخلني على حالي ولا تشوشني، وانصرف عني وامض حيث شئت، فقد بلغت الطاقة، ثم لما رأى منه موسى ما رأى من الغيظ والغلظة والحرارة المفرطة، أخذ بالرفق والمداراة وإظهار المسكنة والاستحياء، حيث قالَ معتذرا مستحييا: لا تحرمني من صحبتك بما صدر عنى من نقض العهد وسوء الأدب، ولا تودعني يا سيدي وتبعدني عن صحبتك زجرا وقهرا، وبالجملة إن سألتك عن شيءٍ بعدها فلا تصاحبني، ولا تجعلني رفيقك وصاحبك، لأنك قد بلغت من لدني ومن قبلي عذرا، فلا أعتذر لك بعد هذا، بل أفارق إن وقع منى ما يشوشك"،[350] كما قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– "رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا، وَعَلَى مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ، لَأَبْصَرَ الْعَجَبَ الْعُجَابَ"،[351] فقال الخضر ألم أقل لك لن تستطيع أن تصبر معي، وقال الخضر هذا فراق بيني وبينك، وبعد ذلك طلب موسى –عليه السلام–أن لا يحرم من صحبته، وقال لا أسأل عن شيء واعتذر له، فقال الخضر لا أعتذر لك، إن تسألني عن شيء بعده، وأفارقك.

ت. حادثة إعادة بناء الجدار

الحادثة الثالثة التي وقعت لهما في أثناء طريقهما حادثة بناء جدار لقوم لئام، دخل موسى –عليه السلام– مع الخضر هذه القرية فطلبا من أهلها أن يضيفوهما كانا جائعان وليس معهما الطعام، رفضوا أهل القرية الضيافة، وبعد هذا رأى موسى –عليه السلام– جدارا ساقطا، ولما أقام الخضر الجدار، ورأى موسى من الحرمان ومسيس الحاجة، قال لصاحبه: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾،[352] لطلبت على عملك جعلا، حتى نستدفع به الضرورة، واتخذ افتعل من تخذ، كاتبع من تبع، وليس من الأخذ على الأصح، قال الخضر مشيرا إلى الفراق المتصور في

350 النخجواني، نعمة الله بن محمود، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، ط: الأولى، دار ركابي للنشر، القاهرة، 1419 هـ– 1999م، 1/ 487، والمراغي، *تفسير المراغي*، 15/ 179.

351 النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، *السنن الكبرى*، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ– 2001 م، باب قوله تعالى: إن سألت عن شيء بعدها، رقم الحديث 11248، 10/ 165.

352 الكهف 18/ 77.

قوله: فلا تصاحبنِي، أو مشيرا إلى السؤال والاعتراض هذا فراقُ بينِي، الإضافة بمعنى في أي فراق أو سبب فراق في بيني وبينك،[353] لم يبقى للنبي موسى –عليه السلام– بعد رؤية تلك الحوادث الغريبة العجيبة، الصبر أن يسكت منه ولكن من مشيئة الله –تعالى– أن يتفرقا عن المصاحبة وانتهاء الرفقة لهما، فقد قام الخضر مع موسى –عليه السلام– وبنيا الجدار الذي أوشك على الانهيار، وهذا موقف غريب وعجيب، بالنسبة للحدثين الأولين فهما عمل منكر، أما هنا فقد رفض أهل القرية البخلاء أن يطعموهما الطعام، وبنيا لهم جداراً بلا مقابل، ما هذا التناقض والمضايقة؟ كأن الله –عز وجل– يريد أن يقول لنا: تصرفات الله –عز وجل– لها حكمة بالغة، لو اطلع الناس على الغيب لاختاروا الواقع، يذكر الله –تعالى– هذا الحدث، قال تعالى:﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾،[354] "بعد ما تقاولا في أمر الغلام ما تقاولا :﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، استطعما أهلها من شدة جوعهما، واحتياجهما إلى الطعام، فأبوا وامتنعوا أن يضيِّفوهما ويطعموهما، فوجدا فِيها جِداراً يرِيد، –يميل ويشرف– أن ينقضّ –يسقط وينهدم– فأقامه الخضر وعدله وسواه، بالعموم أو أسقطه وأحكم بنيانه وبناه بناء جديدا، ثم لما رأى موسى منه أمرا مستغربا مستبعدا، وهو أنهما على جناح السفر، ولم يكن بهما شغل وغرض متعلق بتعمير الجدار وإقامته، قالَ على سبيل الاعترض ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، وأخذت جعلا، واكتسبت للتقوت والتزود بعد ما أبوا عن الضيافة، ثم لما سمع الخضر من موسى ما سمع قالَ: هذا – سؤالك واعترضك– فراق بينِي وبينك، ويوجب مفارقتي عنك، لكن لا أفارقك في الحال، بل سأنبئك وأخبرك ﴿بتأْويل ما﴾ الأمور التي قد أنكرت عليها، واعترضت مفتتحا مستعجلا بحيث ﴿لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، حتى أحدثك وأبين لك سرائرها".[355]

عندما دخل موسى–عليه السلام مع الخضر القرية، شعرا بالحاجة إلى الطعام لأنهما جائعان؛ لذا طلبا الطعام ولكن أهل القرية قوم بخلاء رفضوا هذا الطلب، ومع هذا قام الخضر بإقامة الجدار بدون المقابل، هذا أمر غريب لدى موسى –عليه السلام– إنهما جائعان، وهما في قرية أهلها بخلاء، لا يطعمون جائعا، ولا يكرمون ضيفا، ثم يجدا أن جدارا مائلا يهم أن

353 النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، *تفسير النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تح: الشيخ زكريا عميرات، ط: الأولى، دار الكتب العلميه، بيروت، 1416 هـ، 4/ 451.

354 الكهف 18/77– 78.

355 النخجواني، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، 1/ 487–488.

ينقض، والتعبير يخلع على الجدار حياة وإرادة كالأحياء، فيقول: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾، فإذا الرجل الغريب يشغل نفسه بإقامة الجدار دون مقابل! وهنا يشعر موسى بالتناقض في الموقف، ما الذي يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه ويقيم جدارا يهم بالانقضاض في قرية لم يقدم لهما أهلها الطعام، وهما جائعان، وقد أبوا أن يضيفوهما؟ أفلا أقل من أن يصب عليه أجرا يأكلان منه؟ ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، وكانت هي الفاصلة، فلم يعد لموسى من عذر، ولم يعد للصحبة بينه وبين الرجل مجال،[356] إن النبي موسى –عليه السلام– لم يفكر قط بأن يرى هذه المشاهدات والحوادث ويسكت وإنما أراد الرشد والعلم من الرجل الغير المعروف عنده، فعندما شاهد بعينيه من الأحداث والأعمال أمر خارق للعادة المألوفة، وغير لائق برجل مثل هذا الرجل، لذا فقد تعجب منه موسى –عليه السلام– وصار متحيراً وهو يبحث عن الأجوبة المقنعة لما حدث مدة هذه المصاحبة، وقد استمر للوصول إلى تفسير الأحداث التي وقعت ولم يجد الحكمة، والسبب ورآء هذه الوقائع.

4.5.2. تفسير الخضر للأحداث التي قام بها

لم يستطع سيدنا موسى –عليه السلام– صبرا أمام تلك المفاجآت المتوالية فنحن لا نعلم لها سراً وحكمةً بوجه حقيقي، وموقفنا منها كموقف موسى–عليه السلام–، وإنما أراد أن يلقى هذا الرجل الموعود فيصير في طريقه، حين قام الخضر بهذه الأحداث، كانت بالنسبة لسيدنا موسى–عليه السلام– شيء جديد وغريب، في كل من الأحداث الثلاثة، ولكن بعد انتهاء الأحداث فسرها الخضر لصاحبه موسى –عليه السلام– ، قال تعالى حكاية عنه:﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾،[357] وقبل أن يفارق الخضر موسى –عليه السلام–، وقف معه وقفة يخبره فيها بما أشكل عليه من تصرفات حدثت أثناء مسيرهما معاً، الأمر الذي تحير معه موسى –عليه السلام–، وجعله يحتج دائماً وينكر مراراً، حتى بعد أن أخذ على نفسه العهد بأن لا يحتج ولا يسأل ولا ينكر، والخضر لم يرد أن يبقى في قلب موسى شبه اعتراض، فأزال

---

356 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2280.

357 الكهف 18/ 79 – 82.

عن قلبه ذلك بما أوضح له من الحال، وكشف له أنّ السّرّ في قصده من خرق السفينة سلامتها وبقاؤها لأهلها، حيث لن يطمع فيها الملك الغاصب، فبقاء السفينة لأهلها وهى معيبة، خير لهم من سلامتها وهى مغضوبة،[358] والتفسير ما لدى النبي موسى –عليه السلام– تفسيراً ظاهرياً واعتراضاً على قيامه بإخراق هذا العبد قوانين الحياة للإنسان في تلك الحوادث التي فعلها، لذا لما رآها موسى –عليه السلام–، لم يتحمل واعترض.

شرط الخضر على موسى –عليه السلام– لم يتداخل ولم يعترض على ما يقوم به الخضر، ولكنه لم يستطع أن يصبر، وتداخل، لذا قال الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، فلا تصحبني بعد هذا، ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، سأخبرك بالخبر الباطن، فيما لم تستطع عليه صبرًا، لكونه منكرًا في الظاهر، فالتأويل رجوع الشيء إلى مآله، والمراد هنا: المآل والعاقبة، وهو خلاص السفينة من اليد العادية، وخلاص أبوي الغلام من شره، مع الفوز بالبدل الأحسن، واستخراج اليتيمين للكنز، وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعته، فقال: أمّا السّفينة التي خرقتها، فكانت لمَساكين ضعفاء، لا يقدرون على مدافعة الظلمة، فسماهم مساكين، لذلهم وضعفهم، ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، أجعلها ذات عيب، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ يوجد في طريقهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً وجبراً، فأردت أن أعيبها، لأن إرادة التعيب مسبّبٌ عن خوف الغصب، ولا يأخذ المعيب، وأمّا الغلام الذي قتلته، فكان أبواه مؤمنين وقد طُبع هو كافرًا، وإنما لم يصرح بكفره، لعدم الحاجة إليه لظهوره من قوله: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾، فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا بنعمتهما، لعقوقه وسوء صنيعه، فيلحقهما شرا، أو لشدة محبتهما له فيحملهما على طاعته، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره، فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، فلعله يميلهما إلى رأيه فيرتدا، وإنما خشي الخضر –عليه السلام– منه ذلك؛ لأن الله سبحانه أعلمه بحاله وأطلعه على عاقبة أمره، ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾، بأن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه طهارة من الذنوب والأخلاق الردية، وأمّا الجدار الذي أقمت فكان لغلامين يتِيمين فِي المَدينةِ، أي القرية المذكورة فيما سبق، ولعل التعبير عنها بالمدينة، لإظهار نوع اعتداد بها، باعتداد ما فيها من اليتيمين وأبيهما الصالح، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾، من فضة وذهب، وكان أبوهما صالحا، فيه تنبيه على أن سعيهُ في ذلك كان لصلاح أبيهما، وفيه دليل على أنَّ الله –تعالى– يحفظ أولياءه في ذريتهم، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ

---

358 القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، *لطائف الإشارات*، تح: إبراهيم البسيوني، ط: الثالثة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2/ 412، والقرني، *المسك والعنبر في خطب المنبر*، ص 438.

أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾، حلمهما وكمال رأيِهِمَا، ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار، ولولا أنى أقمته لانقض، وخرج الكنز من تحته، قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته، وضاع بالكلية، رحمة من ربّك أي فعلت ما فعلت من الأمور التي شاهدتها، رحمة من ربك بمن فُعل له أو به،[359] فمن المعلوم أنه بعدما حصل موسى –عليه السلام– على أجوبة الأسئلة التي تحير فيها وتعجل بالسؤال عنها، فقد ثبت قلبه وزال تردده عن الأفعال التي قام بها الرجل الصالح، وذلك من قتل الغلام، وخرق السفينة، وإعادة بناء الجدار من جديد، فقد حصل موسى –عليه السلام– العلم بسرِّ هذه الأحداث، حيث لم يستطع الصبر قبل حصوله على الحكمة، والسبب فيما شاهده بأن يكون معه إلى النهاية، فحصل المفارقة بينهما، وذلك بسبب عدم تخلى موسى –عليه السلام– علي قيام الرجل الصالح بهذه الأفعال الخارقة للعادة.

6.2. الدروس المستفادة من قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر

في هذه القصة مجموعة كثيرة من الدروس والعبر والمواعظ المستفادة، ننبه على بعضها بعون الله–تعالى–، هذه القصة تصور رحلة موسى مع فتاه يوشع –عليهما السلام– للقاء الخضر، لتعليمه التواضع في العلم، وأنه وإن كان رسولاً، ولكن يكون بعض العباد أعلم منه، احتوت القصة على فضيلة العلم وشرفه، ودأب طالب العلم، ومشروعية الرحلة في طلبه، رحلة الطالب لازدياد العلم، وبذل جهودهم الثمين للحصول على هذا الفضل والشرف الذي لا يحصل إلا بالعلم، ونسلط الضوء على ما يستفاد من القصة بما يلي:

1.6.2. فضل الرحلة في طلب العلم

إن من أهم الدروس المستفادة من هذه القصة، أن سيدنا موسى –عليه السلام– مع أنه بلغ حداً كبيرا من العلم بالإضافة إلى علم النبوة، ولما علم أن هناك علماً عند شخصٍ آخر وهو الرجل الصالح، الخضر ذهب إليه موسى –عليه السلام–، ليتعلم منه علما، ويأخذ منه ما يهمه ويستفيد منه، فقد قص علينا القرآن الكريم في سورة الكهف قصة رحلة نبي الله موسى –عليه السلام– وتحمله المشقة والتعب من أجل الالتقاء بالخضر –عليه السلام– والتعلم منه، ومما هو جدير بالذكر هنا أن سبب هذه الرحلة كان السؤال، فسأل بنو إسرائيل موسى –عليه السلام– الناس أعلم؟ كان سبب خروجه وطلبه ملاقاة الخضر، وقد احتل السؤال مكاناً بارزاً في القصة:

---

359 ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي، القاهرة، ط: 1419 هـ، 3/ 295.

مرة عند سؤال موسى –عليه السلام– الخضر أن يسمح باتباعه يتعلم منه، ومرات عند سؤاله عما كان يقوم به من أفعال لم تكن حكمتها ظاهرة لديه، وإذا كان السؤال يكلف صاحبه عناءً ومشقةً، إلا أن فيه فوائد جليلة ومنافع عظيمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾،[360] يخبرنا تعالى عن نبيه موسى –عليه السلام–، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه تحدث مع فتاه – خادمه الذي يلازمه في حضره وسفره .[361]

رحلة موسى –عليه السلام– كان من أجل طلب العلم وأخذه، وقد تعب من خلال رحلته ولكن عهد أن لا يقف من رحلته حتى يصل إلى مجمع البحرين، وهذا يدل على رغبته –عليه السلام– لطلب العلم، مع أنه نبي لديه كتاب سماوي وينزل عليه الوحي، و–أيضاً– يدل على فضيلة العلم وفضيلة طلبه وشرفه.

قال الإمام القرطبي[362]: في رحلة موسى –عليه السلام– إلى الخضر من الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم، واغتنام لقاء الفضلاء وإن بعدت أقطارهم، وذلك كان دأب السلف الصالح، وبسبب ذلك وصل المرتحلون إلى الحظ الراجح، وحصلوا على السعي الناجح، فركزت لهم في العلوم أقدام، وصح لهم من الذكر والأجر والفضل أفضل الأقسام،[363] تظهر في رحلة موسى–عليه السلام– من أجل تعلمه العلم، مهما كان الرجل العالم لديه المعرفة بالعلوم، يحتاج إلى أن يطلب الازدياد في العلم.

وهذا – أيضا– ما أكد عليه الزجاج بقوله: فيما فعل موسى –وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك– ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته،[364] من فضل الإنسان أن يكون طالبا للعلم في مدى حياته، ولا يقطع علاقته بطلب العلم، وإن بلغ في منتهاه، فنتعلم من قصة موسى والخضر فضيلة العلم والرحلة في

---

360 الكهف 18/ 60– 61.

361 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، 1/ 481.

362 هو: القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، شمس الدين، من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب، في شمالي أسيوط، بمصر، وتوفي فيها، وله مؤلفات كثيرة ، من مؤلفاته، الجامع لأحكام القرآن، و(المتوفى: 671 هـ – 1273 م. الزركلي، *الأعلام* ، 5/ 322،

363 القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 11/11.

364 الشوكاني، *فتح القدير*، 3/ 299.

طلبه، وأنه من أهم الأمور، فإن موسى –عليه السلام– رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، وترك القعود عند بني إسرائيل، لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر، لزيادة العلم على ذلك،[365] والرجل الذكي العالم يطلب العلم، ولو كان الطريق بعيداً، ولو لقي في رحلته وطريقه المشقة والتعب، لا يزال يطلب الزيادة منه.

انظر إلى نبي الله موسى –عليه الصلاة والسلام– وهو حريص على طلب العلم، وازدياده ولو لقي في طريقه المشقة والتعب، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾،[366] "يخبرنا تعالى عن نبيه موسى –عليه السلام–، وشدة رغبته في الخير وطلب العلم، أنه قال لخادمه: لا أزال مسافراً وإن طالت علي الشقة، ولحقتني النصب والتعب، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنه سيجد فيه عبداً من عباد الله الصالحين، عنده من العلم ما ليس عندك، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾، أي مسافة طويلة، وهذا عزم منه جازم، فلذلك أمضاه، ولم يمنعه شيء من الاستمرار في رحلته"،[367] قوله ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، أي تعبا وكذلك لم يثني عزمه –عليه السلام– أنهم أخطأوا الطريق"،[368] ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾،[369] يبدو أن موسى–عليه السلام– وإن علم أنه يؤذى في سبيل طلب العلم، ولحقه النصب، ولكن طلب المعرفة والعلم أهم من كل شيء عنده، لذا كان استمرار في رحلته لأجل طلبه العلم والمعرفة.

كان موسى –عليه السلام– نبي الله–تعالى– يحرص هذا الحرص على طلب العلم، وسافر ورحل في طلبه، حتى ركب البحر من أجل طلبه وتعلمه، وقد أعطاه الله النبوة، واصطفاه بالرسالة والتكليم، وهو من أولي العزم، ومع ذلك يسافر في طلب العلم، ويحرص كل هذا الحرص عليه، ويقول لفتاه: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أو أمضي حقباً، وإذا كان

---

365 ضليمي، أحمد بن عبد الفتاح، *السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم*، ط: الثالثة والثلاثون، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 111، 1421هـ – 2001 م، ص 271.

366 الكهف 18/ 60.

367 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، 1/ 181.

368 مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، *موسوعة الأخلاق الإسلامية، الدرر السنية*، 1/ 400.

369 الكهف 18/ 64 – 66.

الله –تعالى– قد قال لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾،[370] فأولى بطالب العلم أن لا يفتأ يتعلم ويستفيد ويحرص على طلب العلم، وقد كان الأئمة يكتبون الحديث ويتعلمون،[371] ويصرفون جهودهم ويسهرون لياليهم للحصول على العلوم العقلية والنقلية، وذلك لا يكون إلا ببذل جهد جهيد وصرف طاقة قوية، كما نرى في لمسات حياة الأنبياء، والعلماء، والجهابذة، الذين سجل التاريخ لحظاتهم الذهبية.

2.6.2. فضل العلم وأنواعه وآدابه

يستفاد من قصة موسى مع الخضر، فضل العلم، والحث عليه، وثواب العالم والمتعلم، وانوع العلم وآدابه، ونعلم من خلال قصتهما إن العلم هو الأساس، وكل شيء يُبنى عليه، إنَّ العلم هو السلاح القوي الذي يعيد لنا ديننا وأرضنا وثقافتنا وشرفنا وعزَّتنا، إنَّ العلم أرضٌ خصبة لإنباتِ رجال يعرفون ما لهم وما عليهم:–

أ. فضل العلم

إن العلم هو من القيم والمبادئ والمقاصد التي حث عليها الإسلام الإنسان في مدى الحياة، ومن شرفه أول آية في القرآن الكريم تبدأ بـ– اقرأ–، لقد شرف الله–تعالى– الإنسان وعظمه وفضله واختاره على سائر المخلوقات بالعقل،حتى يستطيع الإنسان به أن يتناول العلم، والقرآن نبهنا في كثير من الآيات على عظمة وفضيلة العلم، منها الآيات التى ذكرت فيها قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر، ففي قصتهما ظهرت لنا قيمة وعظمة العلم وفضله وأهميته في حياة الإنسان، كما تظهر في هذه القصة رغبة وحرص موسى –عليه السلام– على طلب العلم مع أنه نبي لديه علم التوراة، ولكن يريد أن يزيد من العلم، قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾،[372] "الرحمة النعمة، والرحمة بالناس إذ يفعل ما يكون فيه صالحهم قابلاً، وإن لم يعلموه عاجلاً، والعلم الذي من لدن اللَّه –تعالى– العلم بعواقب الأمور، بالإدراك الباطني، وقد وازن بعض المفسرين بين علم موسى–عليه السلام– وعلم العبد الصالح الخضر، فقال: علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه لَا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، وكان علم موسى–عليه السلام– علم الأحكام والفُتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم، والحق أنه يضاف إلى ذلك أن علم الخضر علم الأسباب في

---

370 طه 114/20.

371 الراجحي، *شرح تفسير ابن كثير*، 2/ 60.

372 الكهف 65/18.

بواعثها، وعلم موسى–عليه السلام– علم الأسباب في واقعها، كما سنرى ذلك في المجاوبة التي كانت بينهما، طلب موسى –عليه السلام– من أن يأذن له باتباعه"،[373] فقال: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾،[374] أعطاه الله–تعالى– لعبده الصالح علما يخبر به عن الغيبيات و البواطن، خصَّه الله–تعالى– به ولم يعط لنبيه موسى–عليه السلام– وهو أولي العزم من الرسل، إستأذن موسى–عليه السلام– من أن يتبعه ليأخذ منه هذا العلم.

كان موسى–عليه السلام– لديه أدب جم أمام هذا العبد الصالح، مع كونه نبيا مرسلا ولكن يتبعه ويمشي معه ليأخذ منه العلم، بهذا الأدب اللائق بنبي، يستفهم ولا يجزم، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم، ولكن علم الرجل ليس هو العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج، إنما هو جانب من العلم اللدني بالغيب، أطلعه الله–تعالى– عليه بالقدر الذي أراده، للحكمة التي أرادها، ومن ثَمَّ فلا طاقة لموسى–عليه السلام– بالصبر على الرجل وتصرفاته ولو كان نبيا رسولا، لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولا بُدَّ من إدراك ما وراءها من الحكمة الغيبية وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار، لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتي العلم اللدني على موسى–عليه السلام– ألا يصبر على صحبته وتصرفاته: ﴿قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾،[375] ويعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين الله، ويقدم مشيئته:﴿قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾،[376] "فيزيد الرجل الصالح توكيداً وبياناً، ويذكر له شرط صحبته قبل بدء الرحلة، وهو أن يصبر فلا يسأل ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له عن سرها،[377] كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾،[378] فحاول موسى–عليه السلام– أن يتبع الخضر ليتعلم منه العلم، ولكن عندما قام الخضر بهذه الأحداث خارقة للعقل، ومخالفة لظاهر الوحي، والشريعة، والأمر التكليفي، لم يتحمل عليها فعاب الخضر على هذه الأحداث، يومئذ طلب الخضر منه أن

---

373 أبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 9/ 4559.

374 الكهف 18/ 66.

375 الكهف 68/18.

376 الكهف 18/ 69.

377 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2289.

378 الكهف 18/ 70.

يفارقه من السفر، يبدو من قصتهما يلزم على الإنسان أن يفكر قبل أن يتكلم، ويقرر في نفسه، لو كان موسى–عليه السلام– وقف حتى يفسر الخضر هذه الأحداث، لم يطلب منه أن يفارقه.

ب. أنواع العلم

يستفاد من قصة موسى–عليه السلام–مع الخضر، إن العلم الذي يُعلِّمه الله–تعالى– الإنسان، علمان: علم يستطيع الإنسان أن يدركه ويجده بجهده واجتهاده مثل قراءة القرآن الكريم وعلومه، وعلم الفقه، وعلم اللغة، وعلوم آخر، ونوع من العلم لدني، يعطي الله–تعالى– لمن يشاء من عباده مثل علم الغيب وعلم الباطن.

إذن فالعلم مظهران: ظاهري، وخفي: فالظاهر: هو الذي يفرضه الإسلام ويأمر أتباعه ويحثهم على تلقيه كي تكون أمة متعلمة، والخفي: وهو يسمى بالعلم اللدني، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾،[379] علماً خاصاً بنا لا يُعلم إلا بتوفيقنا وهو علم الغيب، قال العلماء: هذا العلم الرباني ثمرة الإخلاص والتقوى، ويسمى العلم اللدنّي، يورثه الله–تعالى– لمن أخلص العبودية له، ولا ينال بالكسب والمشقة،[380] يبدو أن علم الذي عند الخضر وهو مطلع على بعض من أمور الغيبات علم لدني لم يناله بالنصب والتعب والمشقة.

وفي قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر "كانت هناك قيمتان صحيحتان، إلا أن إحداهما تتعلق بالعلم الظاهر الذي تساس به الأمم والشعوب، والأخرى تتعلق بالعلم اللدني الخفي الذي لا يطلع عليه أحد إلا بمقدار ما يعلمه الله –سبحانه وتعالى– من لدنه"،[381] وموسى–عليه السلام– كان لديه علم الظاهر، ولكن يمشي مع الخضر ليتعلم منه علم اللدني الذي وهب الله–تعالى– للخضر.

لماذا لم يتحمل موسى–عليه السلام– على الأمور التي فعلها صاحبه الخضر، لأنه لما رأى علم الرجل الصالح الذب لم يكن من العلم البشري الواضح الأسباب القريب النتائج الذي يعلمه موسى – عليه السلام–، وإنما هو جانب من العلم اللدني بالغيب، أطلعه الله عليه بالقدر

---

379 الكهف 66/18.

380 الصابوني، محمد علي، *صفوة التفاسير*، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى، 1417 هـ – 1997 م، 2/ 182.

381 مصطفى، مسلم، *مباحث في التفسير الموضوعي*، ط: الأولى، دار القلم، بيروت، 142هـ– 2005 م، ص301– 304.

الذي أراده، للحكمة التي أرادها، ومن ثم فلا طاقة لموسى-عليه السلام- بالصبر على الرجل وتصرفاته، ولو كان نبيا رسولا، لأن هذه التصرفات حسب ظاهرها قد تصطدم بالمنطق العقلي، وبالأحكام الظاهرة، ولا بد من إدراك ما وراءها من الحكمة المغيبة، وإلا بقيت عجيبة تثير الاستنكار، لذلك يخشى العبد الصالح الذي أوتي العلم اللدني على موسى-عليه السلام- ألا يصبر على صحبته وتصرفاته،[382] ﴿قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾،[383] إن إنكار موسى-عليه السلام-على ما قام به الخضر السبب هي أمور متناقضة مع رسالة النبوة في الظاهر، وعلى النبي أن يكون لديه موقف أمام كل مخالفة، ومنكر.

وقد أشار إلى أهمية طلب العلم سعيد حوى مبينا[384]: "أن في القصة دليلا على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ مرتبة كبيرة فيه، كما يجب عليه أن يتواضع لمن هو أعلم منه، وفيه دليل على أن الإنسان كلما ارتقت نفسه لم يبق عنده كِبر، فهذا موسى رسول من أولي العزم، لم يجد غضاضة أن يطلب من الخضر -عليه السلام- أن يعلم"،[385] والإنسان في مدى حياته يحتاج إلى العلم وطلبه وازدياده، فموسى-عليه السلام- لم يحسب أنه نبي أولي عزم فحرص على طلب العلم، ولم يتوقف لأجل أن يحصل على مراده.

ج. آداب العلم

إن قصة موسي -عليه السلام-مع الخضر بينت لنا التواضع في طلب العلم، وتواضع طالب العلم مهما بلغ من العلم والمعرفة، لا ينال الإنسان العلم إلا بالخشوع، والتواضع،

---

382 قطب، *في ظلال القرآن* 4/ 2279.

383 الكهف 18/ 67.

384 هو: سعيد بن محمد بن ديب حوى، ولد في حماة: سنة (1354هـ - 1935 م)، و(المتوفى: 1409 هـ-1989 م)، من أبرز الدعاة الإسلاميين المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين، وعاصر في شبابه أفكار الاشتراكيين والقوميين والإخوان، وانضمَّ إلى الإخوان عام (1372 هـ)، وهو في الصف الأول الثانوي. دخل الجامعة في عام (1376 هـ)، منتسباً إلى كلية الشريعة، ودرس على يد عدد كبير من المشايخ. محمد خير، رمضان بن إسماعيل يوسف، *تكملة معجم المؤلفين*، ط: الأولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1418 هـ- 1997م، ص 210.

385 حوّى، سعيد بن محمد بن ديب، *الأساس في التفسير*، ط: السادسة، دار السلام، القاهرة، 1424 هـ، 6/ 3215.

والصبر، وإلقاء السمع والإنصات، وتواضع طالب العلم لمعلمه وأستاذه وشيخه رفعة، وذل وخضوع المتعلم لمعلمه عز:

أولا: ذكرت لنا قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر، تواضع موسى معه، أي تواضع المتعلم مع المعلم، والحال أن المتعلم أفضل من المعلم من جهة أنه نبي مرسل، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾،[386] في هذا السؤال ملاطفة ومبالغة في الأدب والتواضع، لأنه استجهل نفسه، واستأذنه أن يكون تابعاً له على أن يعلمه مما علمه الله من العلم،[387] مع العلم بأن تواضع المتعلم لمعلمه من أجل التعلم لا يكون ذلة، وإنما فخر، وعزة، ورفعة، فموسى–عليه السلام– مع أنه رسول ولكنه تواضع لعبد صالح، لأنه يتلقى منه العلم.

وفيما فعله موسى –عليه السلام– وهو من جلّة الأنبياء، وقد أوتي التوراة، من طلبه العلم والرحلة، وفي ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه، وأنْ يتواضع لمن هو أعلم منه،[388] كان موسى– عليه السلام– هو من الرسل الأجلاء لم يترك سبيل رحلة العلم وطلبه، فنحن أحق أن نطلب العلم من مدى حياتنا، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا فِي رَأْسِهِ حَكَمَةُ"،[389] "الْحِكْمَةِ بِيَدِ مَلَكٍ، فَإِنْ تَوَاضَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ارْفَعْ حِكْمَتَهُ، وَإِنِ ارْتَفَعَ قِيلَ لِلْمَلَكِ: ضَعْ حِكْمَتَهُ"،[390] من تواضع لله –تعالى– يجده الحكمة ويدركها، ومن تكبر واغتر يؤخذ منه الحكمة لأن الحكمة بيد الله– تعالى– ولا تعطى للمتكبرين والمغترين لمن ينازعون رداء الله وهو كبرياؤه.

لا ينقص من شخصية الإنسان إذا تواضع لمن هو أدنى منه، كان موسى –عليه السلام– أفضل من الخضر، ولكن تواضع له من أجل أن الخضر مُعلِّم له، لأنه تواضع الفاضل للتعلم ممن دونه، فإن موسى–عليه السلام– بلا شك أفضل من الخضر، تعلم العالم

---

386 الكهف 65/18– 66.

387 صديق خان، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بيروت، 1412 هـ– 1992 م، 8/ 81.

388 الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 3/ 301.

389 الحكمة، محرّكة: ما أحاط بِحنكي الفرس من لجامه وفيها العذاران، ومن الإنسان: مقدم وجهه، ورأسه، وشأنه، وأمره. الفيروز آبادى، *القاموس المحيط*، ص1095.

390 البيهقي، *شعب الإيمان*، باب فصل في التواضع وترك الزهو والصلف، رقم الحديث، 7793، 10/ 457.

الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه، ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة، فإن موسى –عليه السلام– من أولي العزم من المرسلين، الذين منحهم الله–تعالى– وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن في هذا العلم الخاص كان عند الخضر، ما ليس عنده، فلهذا حرص على التعلم منه، فعلى هذا لا ينبغي للفقيه المحدث، إذا كان قاصرا في علم النحو، أو الصرف، أو نحوه من العلوم، أن لا يتعلمه ممن مهر فيه، وإن لم يكن محدثا ولا فقيها،[391] فالخضر ليس من درجة موسى –عليه السلام– لأنه هو نبي مرسل لأمةٍ وأُلو العزم من الرسل فهو أعلم من الخضر بكثير بلا شكٍ، ولكن عند الخضر علم خاص لذا كان موسى –عليه السلام– طالبا عنده حتى يتعلم منه هذا العلم.

فتواضع الطالب يدل على أنه يستفيد من العلم ويفهمه، لأنه كلما زاد تواضع طالب العلم زاد مقدار الحكمة عنده وتعلم العلم، ومتى تكبر قلَّت حكمته ومنع العلم،[392] وقال تعالى حكاية عن قول الخضر، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾،[393] والتواضع يزيد لنا علماً والتكبر والفخر ينقصنا من جهة العلم، والشخصية.

ثانيا: تبين لنا من قصتهما، أن الله رفع العلماء بعضهم فوق بعض درجات ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾،[394] فلا ينبغي لأي عالم أن يعتقد أن عنده منتهى العلم، أو جميع أنواع العلم، وكما أنه –سبحانه– يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، فإنه يفيض من علمه على شخص ما لا يفيضه على آخر، ولا ينبغي لأي عالم أن يقنع بما عنده من العلم دون أن يطلب المزيد دائما ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾،[395] بل عليه أن ينتهز جميع الفرص والمناسبات، لتلقي أطيب النفحات،[396]﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾،[397] يجب علينا أن نطلب العلم دائماً، ولا نتوقع نحن نعلم كل شيءٍ، لأن علم الله–تعالى– لا ينتهي، ونحن

---

391 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ص 484.

392 عويضة، محمد نصر الدين محمد، *فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب*، 5/ 148.

393 الكهف 82/18.

394 يوسف 12/ 76.

395 طه 114/20.

396 المكي، الناصري محمد، *التيسير في أحاديث التفسير*، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405 هـ، 1985، 3/ 459.

397 الكهف 18/ 66.

لانستطيع أن نعلم كل شيءٍ، فموسى-عليه السلام- صاحب كتاب سماوي وينزل إليه الوحي من الله-تعالى- ولكن يحتاج أن يتبع عبداً صالحاً ليتعلم منه علماً خاصاً به.

ثالثا: بينت لنا-أيضا- أن العالم - بالرغم من كونه عالما- لا بد له من أن يلتزم منتهى الأدب مع من هو أعلم منه، وألَّا يعترض على الطريقة التي يختارها معلمه لتعليمه: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾،[398] "وعد موسى -عليه السلام- الخضر بأنه سيجده صابرا على ما يراه مما أخفي عليه سببه، وقرن ذلك بمشيئة الله-تعالى-، لأن أفعال العباد مرتبطة بمشيئته - تعالى-، كما وعده أن يلتزم طاعته فلا يخالفه في أمره من الأمور، وهذا ما ينبغي للمتعلم مع معلمه"،[399] وجب على الطالب العلم، أن يكون ملتزماً بطريق الذي وضع له معلمه، فلا يخالفه مهما أنه عالماً، أو أفضل منه.

قال الزمخشري[400]: "رجا موسى -عليه السلام-، لحرصه على العلم وازدياده، أن يستطيع معه صبرا، بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر، فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله، علما منه بشدة الأمر وصعوبته، وإن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق، هذا مع علمه أن النبيّ المعصوم، الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه، بريء من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين"،[401] والصبر على ازدياد العلم وطلبه يوصلنا الغاية، وتعليق طلبنا وفي كل أفعالنا بمشيئة الله-تعالى- فإنكار موسى-عليه السلام- على ما رأى من معلمه لأنه يستطيع أن يصبر على ما يحدث من المنكرات والفواحش التي تخالف رسالة النبوة.

---

398 الكهف 18/ 66 - 69.

399 مجموعة من العلماء، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، *التفسير الوسيط*، ط: الأولى، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1393 هـ - 1973 م، 5/ 901، والمكي، *التيسير في أحاديث التفسير*، 3/ 459.

400 هو: العلامة، كبير المعتزلة، أبو القَاسِمِ محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري الخوارزمي النحوي، صاحب الكشاف والمفصل، و(المتوفى: 538 هـ). الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، *سير أعلام النبلاء*، دار الحديث، القاهرة، 1427 هـ - 2006 م، 15/ 17.

401 الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط: الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ، 2/ 734.

رابعا: ظهر لنا من خلال قصة سيدنا موسى – عليه السلام– مع الخضر أن المتعلم ينبغي عليه أن يصبر وألا يتخطى بنظره حدود المظاهر والظواهر، ويتطلع قبل كل شيء إلى حكم الأشياء وأسرارها، ويتعرف على مقاصدها وأهدافها، ويلم بظروف النوازل وملابساتها، وبذلك يتحاشى إصدار الأحكام، التي لا تناسب المقام، وإلا أدى به الحال إلى الوقوع في الغلط، وارتكاب الشطط،[402] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾،[403] ينبغي للمتعلم أن يتناسب الواقع ما يقول حتى لا يحدث الغلط، والفتنة، والتناقض.

خامسا: يستفاد من قصة موسى مع الخضر أن المستزيد من العلم، ينبغي له أن يتأنى ولا يتعجل من هو أعلم منه، فلا يلح عليه بكثرة السؤال، لأن ذلك يؤدي به إلى المضايقة والإملال، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾،[404] والطالب يجب أن يكون لديه تأني، وصبر، وسكينة، ولا يتعجل على ما يطلبه، ويسأل من كل شيءٍ حتى لا تقع المضايقة، والتناقض بينه وبين من يتلقى منه العلم.

سادساً: وبدا لنا جليا – أيضا– من هذه القصة أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علما وخبرة، بذلك الأمر، الذي أمر بالصبر عليه، وإلا فالذي لا يدريه، أو لا يدري غايته ولا نتيجته، ولا فائدته وثمرته ليس عنده سبب الصبر، لقوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾،[405] فجعل الموجب لعدم صبره، وعدم إحاطته خبرا بالأمر،[406] من خلال لقاء موسى –عليه السلام– مع الخضر نتعلم منهما مهما الإنسان عالما يحتاج أن يزداد العلم، ونتعلم منهما فضل طلب العلم، وآداب تعلمه، والصبر على طلبه...

3.6.2. عدم التسرع بالحكم على ظواهر الأمور

ومن الدروس المستفادة من قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر: أن الأمور تجري أحكامها على ظاهرها، وتعلق بها الأحكام الدنيوية، في الأموال، والدماء وغيرها، فإن موسى –عليه السلام–، أنكر على الخضر خرقه السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار لقوم لئام، وأن هذه

---

402 الناصري، *التيسير في أحاديث التفسير*، 3/ 460.

403 الكهف 18/ 72–73.

404 الكهف 18/ 72–73.

405 الكهف 18/ 68.

406 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ص 484.

الأمور ظاهرها أنها من المنكر، وموسى -عليه السلام- لا يسعه السكوت عنها، في غير هذه الحال، التي صحب عليها الخضر، فتعجل -عليه السلام-، وبادر إلى الحكم في حالتها العامة، ولم يلتفت إلى هذا العارض، الذي يوجب عليه الصبر، وعدم المبادرة إلى الإنكار،[407] والشريعة تحكم بالظاهر والأمور تجري أحكامها على ظاهرها، والذي قام به الخضر مخالف لرسالة النبوة في الظاهر لذا لم يصبر أن يسكت.

يقول الإمام الشاطبي[408]-رحمه الله- مبيناً أهمية هذا الأصل وخطورة إهماله: "إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصاً، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عموماً، فإن سيد البشر -مع إعلامه بالوحي- يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه"،[409] ويقول الحافظ ابن حجر[410] "وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوه"،[411] وهو عام يخص منه من بدله في الباطن، ولم يثبت عليه ذلك في الظاهر، فإنه تجرى عليه أحكام الظاهر،[412] وهذه من المسائل العظيمة في الحكم على الناس، فلا تكون أحكامهم مبنية على ظنون وأوهام أو دعاوي لا يملكون عليها بينات وأدلة وبراهين، وهذه من رحمة الله وتيسيره على عباده، ومن باب تكليفهم بما يطيقون ويستطيعون، وكل ما سبق المقصود به الحكم الدنيوي على الشخص بالإسلام أو الكفر، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه.

---

407 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ص 485.

408 هو: القاسم بن فِيرُّه ابن خلف بن أحمد أبو القاسم، وأبو محمد الشاطبي الرعيني، الضرير، وليّ الله الإمام العلاَّمة، أحد الأعلام الكبار المشتهرين في الأقطار، ولد في آخر سنة (538 هـ)، بشاطبة، من الأندلس، و(المتوفى: 590 هـ). الزركلي، *الأعلام*، 180/5.

409 الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، *الموافقات*، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط: الأولى 1417هـ/ 1997 م، 2/ 467.

410 هو: شيخ الإسلام أحمد بن عليّ بن محمّد الكناني المصري الشافعي، الشهير بابن حجر العسقلاني، (المتوفى: 852 هـ)، فريد عصره، وإمام وقته. الإربلي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي، *تاريخ أربيل*، تح: سامي بن سيد خماس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام النشر 1980 م، 2/ 726.

411 البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب فضل الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم الحديث 3017، 4/ 62،

412 مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، *الموسوعة العقدية الدرر السنية*، 6 / 268- 304.

4.6.2. ارتكاب أخف الضررين

ويستفاد -أيضا- من الأحداث التي قام بها الخضر أنه يجوز دفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير، كما خرق الخضر السفينة، ليحفظ كل سفينة من الهلاك والغصب من يدي الملك الظالم، وقتل الغلام حتى يحفظا والداه من فتنة هذا الغلام، ومع أن القرية لم تقبل استضافتهما، ومع ذلك فقد قام الخضر بإقامة الجدار، ليحفظ مال اليتيمين من التلف، ولدينا القاعدة الكبيرة الجليلة وهي أنه يجوز أن يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير،[413] ومراعاة أكبر المصلحتين، بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شرا منه، وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته، وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها، داخل في هذا،[414] والبقاء لوالديه مع دينهما خير من بقاء الولد، والشر فنائهما ودينهما أكبر من بقاء ولديهما، لذا قتله الخضر.

وقد استنبط العلامة ابن القيم[415]: أنه إذا تترس احتمى الكفار بأسرى من المسلمين بعد المقاتلة، فإنه لا يجوز رميهم إلا أن يخشى على جيش المسلمين، وتكون مصلحة حفظ الجيش أعظم من مصلحة حفظ الأسرى، فحينئذٍ يكون رمي الأسرى، ويكون من باب دفع المفسدتين باحتمال أدناهما، فلو انعكس الأمر، وكانت مصلحة الأسرى أعظم من رميهم لم يجز رميهم، فهذا الباب مبني على دفع أعظم المفسدتين بأدناهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن فرض الشك، وتساوى الأمران لم يجز رمي الأسرى،[416] وقتل الأسرى لايكون سبباً لهزم المسلمين وفنائهم، ولكن هزم الجيش وقتلهم أعظم، قد يكون سبباً لإبادة وفناء جمع كثير من المسلمين، ومفسدة قتل الأسرى أخف وأدنى من مفسدة قتل الجيش.

لو أردنا أن نوضح هذا أكثر، نأتي بمثال أوضح على الموضوع، وهو مثال الأم مع جنينها، إذا تيقن لدى الطبيب وجوب موت أحدهما لحياة الآخر فلو رأينا من يصول على

---

413 الشاطبي، *الموافقات*، 266/5.

414 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن*، ص484.

415 هو: العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ولد سنة (691هـ)، و(المتوفى: 751هـ). الشبل، علي بن عبد العزيز بن علي، *الإثبات في مخطوطات الأئمة*: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ت: 1423هـ-2002 م، ص 7.

416 ابن قيم الجوزية، *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، دار الكتب العلمية، بيروت، 2/ 1

بضعين متساويين، وعجزنا عن الدفع عنهما، فإنا نتخير،[417] فإذا كان لنا شرعاً أن نرتكب أدنى المفسدتين، دفعاً لأعظمهما، ونحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، فإن إنقاذ الأم أعظم مصلحة من إنقاذ الجنين للأسباب التالية:

أولاً: "الأم هي أصل الجنين، وهو متكون منها، فإنقاذها أولى، وثانياً: أن الأم غالباً ما يكون لها أطفال، ومن الممكن أن يتعرضوا لمتاعب كثيرة بعد وفاة أمهم، والأسرة كثيراً ما تتمزق إذا فقدت أحد أعضائها البارزين، فكم من طفل تشرد، وساءت تربيته بسبب فقدانه لأمه، وأهمية الأم في الأسرة عظيمة، إذ إنها أصل المجتمع، بخلاف الجَنِين فلا تعلق به لأحد، وثالثاً: حياة الأم قطعية، وحياة الجنين محتملة، والظني أو الاحتمالي لا يعارض القطعي المعلوم، فإنقاذ الأم أولى، ورابعاً: الأم أقل خطراً، وتعرضاً للهلاك من الجنين في مثل هذه الظروف، مما يجعل إنقاذها أكثر نجاحاً من إنقاذ جنينها، لذا تعطى الأولوية في الإنقاذ، ففي إحصائية لمستشفى الولادة والأطفال بالرياض في عام (1400 هـ)، بلغ عدد الوفيات للنساء سبع وفيات، بينما بلغت وفيات الأطفال(865) ثمانية مائة خمسة وستين حالة، كل ذلك يؤكد أهمية إنقاذ الأم دون الجنين عند تساوي الأمر في إنقاذهما"،[418] واحتمالات الأصل وهو الأم أكثر وأقوى من الفرع وهو الجنين من أن يقتل الجنين من أجل إنقاذ أمه من الموت.

كما يستفاد من قصة موسى –عليه السلام– مع الرجل الصالح: أنه يجوز التصرف في مال غيره إذا كان لمصلحة المال ودرء المفسدة، هنا القاعدة الكبيرة وهي أن عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن، حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير،[419] كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم، فعلى هذا لو وقع حرق أو غرق أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار، فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع له ذلك، حفظا

---

417 السلمي، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، *قواعد الأحكام*، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، ط: الأولى، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1414 هـ- 1991م، 1/ 88.

418 الدُّبيان، أبو عمر دُبيَان بن محمد، *موسوعة أحكام الطهارة*، ط: الثانية، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، 1426 هـ- 2005 م، 8/ 244.

419 السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، *أصول السرخسي*، دار المعرفة ، بيروت، 307/2، والسمعاني، *قواطع الأدلة في الأصول*، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418 هـ- 1999 م، 119/1.

لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن، وهذه القضايا التي أجراها الخضر هي قَدَرٌ محض أجراه الله وجعله على يد هذا العبد الصالح، ليستدل العباد بذلك على ألطافه في أقضيته، وأنه يُقَدِّر على العبد أمورا يكرهها لما علم من ظاهرها، بينما في باطنها صلاح لدينه، كما في قضية الغلام، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجا من لطفه وكرمه، ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة،[420] إن مسألة خرق السفينة من قِبل الرجل الصالح إنما كانت لمصلحة صاحب السفينة حتى لا يتلف من يده، والقاعدة الأصولية تقول: بارتكاب أخف الضررين، وإن خرق السفينة أفضل من إفلاتها في يد صاحبه.

5.6.2. آداب الحوار من قصة موسى والخضر

يستفاد من قصتهما بشكل عام للناس، وخاصة أهل العلم من الحوار الذي دار بينهما، أي بين التلميذ وهو موسى–عليه السلام–، والمعلم وهو الخضر، ينبغي لمن يريد العلم أن يتحلى ويتجمل ويتزين بها، فهذه الآداب التي سار عليها موسى–عليه السلام– النبي المتعلم، مع معلمه العبد الصالح وهو الخضر، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾،[421] "قال الخضر:﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾،مصاحباً لي لطلب العلم ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ ﴾ أفعله مما لا تعرف له وجهاً شرعياً ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، أي حتى أكون أنا الذي يبين لك حقيقته وما جهلت منه"،[422] ويبدو أن الخضر يعلم أن ما يقوم به في الظاهر مخالف لرسالة موسى–عليه السلام– لذا قال: له لا تسألني عن شيءٍ حتى أُوضِّح لك وجهة الشرع من هذه الأمور.

لقد تضمنت هذه القصة مجموعة كثيرة من الدروس والآداب، منها آداب الحوار بين المعلم والمتعلم، كما أنها تصور المشهد الواقعي في سلوك الخضر في تعامله وتصرفه مع هذه الأحداث الثلاثة، ولكنه كان يفعل بأمر ربه، وتلك الأمور التي أنكرها موسى –عليه السلام–، لتعارضها وتناقضها مع أحكام الشرع والعقل في الظاهر، انظر للحوار الذي بين الخضر

---

420 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ص484.

421 الكهف 18/ 66 – 70.

422 الجزائري، *أيسر التفاسير*، 3/ 274.

وموسى–عليه السلام– يذكر الله –تعالى– هذا الحوار: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾،[423] قال الخضر: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾،[424] يظهر شخصية وتواضع موسى –عليه السلام– عندما يتكلم مع معلمه بأسلوب رقيق مشوق، ويستأذنه ليتبعه حتى يتعلم منه العلم الخاص الذي أعطاه الله –تعالى– لعبده الصالح وهو الخضر.

فقد تعلمنا وترشدنا قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر آداب الحوار وهو من الصفات المحمودة، للعالم والمتعلم، والعالم الذي أراد أن يصحبه ويتبعه لطلب العلم منه، "بهذا الأدب اللائق بنبي الله موسى –عليه السلام–، يستفهم ولا يجزم، ويطلب العلم الراشد من العبد الصالح العالم، ويعزم موسى على الصبر والطاعة، ويحاور مع الرجل بأسلوب رائع ويتعامل معه بخلق رفيع، ويستعين بالله، ويقدم مشيئته، ﴿قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾،[425] فيزيد الرجل الصالح توكيدا وبيانا، ويذكر له شرط صحبته قبل بدء الرحلة، وهو أن يصبر فلا يسأل ولا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له عن سره،[426] ﴿قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾،[427] ويبدو أن أسلوب الحوار مهم بين العالم والمتعلم للتعلم أن يدور بينهما الحوار يراعي فيه أدابه، بأسلوب تربوي يتأثر على عليهما.

لقد اهتم دين الإسلام بالحوار اهتماماً كبيراً، وذلك لأن الشارع يرى أن الطبيعة الإنسانية وفطرتها تميل إلى الحوار، أو الجدال أو النقاش كما أشار إليه القرآن الكريم في مواضع عديدة في وصفه وتصوره للإنسان، قال تعالى:﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾،[428] "وقد حفل القرآن الكريم بعشرات النصوص حول الحوار تأمر به، وتحض عليه، وتنوه بقيمته، وتقدم نماذج من حوارات الأنبياء والمرسلين، وتقدم نماذج من الحوارات التي ينبغي أن يسلكها الناس وخاصة

423 الكهف 18/ 66.
424 الكهف 18/ 67.
425 الكهف 18/ 69.
426 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2289.
427 الكهف 70/18.
428 الكهف 18/ 54.

العلماء والمتعلمون في سلوكهم"،[429] وإن أدب الحوار يؤخذ من مدرسة النبوة ومدارس الصالحين، الذين أعطاهم الله –تعالى– الحكمة، والعلم، والبيان.

7.2. قصة ذي القرنين

قصة ذي القرنين من أعظم القصص التي ذكرت في سورة الكهف، فيها تبدو شخصيته الذي عرف بأنّهُ ملك عادل، الذي قام بناء السد على يأجوج ومأجوج، ليدفع به الأذى عن الناس، فالقصة تحكي بأنّ الله–تعالى– أعطى لهذا الشخص الحكم والقوّة، فجال وصار بجيشه في الأرض ويدعو إلى الله –تعالى– حتى وصل إلى مشارق الأرض ومغاربها، ونتعرف على القصة، ونذكرها بشكل ما يلي:

2. 7. 1. ذو القرنين

ذكر الله –تعالى– وسرد قبل قصة ذي القرنين، قصة موسى–عليه السلام–مع الخضر، وعقبها بذكر قصة ذي القرنين، لتكونا آية ودليلاً على نبوة الرسول – صلى الله عليه وسلم–، فقصة ذي القرنين،وموسى–عليه السلام–مع الخضر، لا يعلمها سوى أهل الكتاب، ولا سبيل أَنه –صلى الله عليه وسلم– له حين ذلك أن يعلمها إلاَّ بقراءة كتبهم، ولا سبيل له إلى قراءتها، لأنه –صلى الله عليه وسلم– أميٌّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾،[430] "فلا سبيل له إلى تعلمها منهم، لأنهم ليسوا بمكة، ولم يكن له اتصال بهم، ولهذا كانوا يسألونه عن تلك الغيبيات، إما بتحريض قريش على سؤاله، وإما بسؤالهم إياه بأنفسهم"،[431] قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾،[432] "ففي هذا النص السؤال كان عن شخصية ذي القرنين ولا عن زمانه أو مكانه، وهذه هي السمة المطردة في قصص القرآن، فالتسجيل التاريخي ليس هو المقصود، إنما المقصود هو العبرة المستفادة من القصة، والعبرة تتحقق بدون حاجة إلى تحديد الزمان والمكان في أغلب

---

429 نواب، عبد الرب نواب الدين، *وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار*، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، ص21.

430 العنكبوت 29/ 48.

431 مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، *التفسير الوسيط مجمع البحوث*، 6/ 915.

432 الكهف 18/ 83.

الأحيان"،[433] سئل عن النبي –صلى الله عليه وسلم– على وجه الاختبار لأنهم كانوا يشكون في نبوته فلم يبين من هم الذين سألوه ولم يحدد القرآن الكريم، والمعرفة بمعرفة السائلين لا تزيد شيئاً من الموضوع ولا تنقصه، لو كان في معرفتهم فائدة لحدد القرآن الكريم.

وكما هو معلوم كان من عادة القرآن الكريم في سرد القصة لا يذكر التاريخ للقصة، ولا يُعطي لها خصوصيةً ولا تشخيصاً، وإنما يذكر القصة عامة لتكون نموذجاً يُحتذَى، ويتم بها الاعتبار، والاتعاظ، ويؤخذ منها الدروس المستفادة منها، فما يعنينا في قصة ذي القرنين أنه رجل مُكِّن في الأرض...، وما يعنينا من أهل الكهف أنهم فتية آمنوا بربهم، وتمسَّكوا بدينهم وعقيدتهم، وضحّوْا في سبيلها، لذلك أبهم القرآن كل هذه المسائل، فأيّ فتية؟ وفي أيّ زمان؟ وفي أيِّ مكان؟ وبأيِّ أسماء يمكن أن يقفوا هذا الموقف الإيماني؟ ولو شخَّصناهم وعيَّناهم، لقال الناس: إنها أمرا خاصة بهؤلاء، أو أنهم أمثال لا تتكرر، لذلك أبهمهم القرآن، ليكونوا درسا وقدوة تسير في الزمان كله، ولذلك ائتمنه أنْ يكون ميزاناً للخير والحق، وفوَّضه أن يقضي في الخلق بما يراه من الحق والعدل والأمانة،[434] قال تعالى: ﴿حتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشمس وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا ياذا القرنين إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾،[435] فيبين لنا في هذه القصة بأن القرآن الكريم له أوجه ومعان ومقاصد عجيبة ليس كأي كتاب آخر.

ولم يذكر القرآن الكريم اسمه–الحقيقي– وسبب تسميته بذي القرنين، ولكن اختلفوا في شخصيته، بينما وردت بعض الروايات المختلفة حول اسمه وسبب تسميته بذي القرنين.

فقد تكلم العلماء واختلفوا في اسم ذي القرنين، منهم من قال: "هو قورش، ومنهم من قال هو: الأسكندر الأكبر، والقرآن لا يعنيه الشخص وإلاَّ لَذكره باسمه، فالقرآن لا يُؤرِّخ له، لا يقيم له تمثالاً، إنما يريد التركيز على الأوصاف التي تعني الحق وتعني الخَلْق، فيكفي أن نعلم أنه إنسان مكَّنَه الله في الأرض، يعني: أعطاه من أسباب القوة وأسباب المهابة والسيطرة، وأعطاه من كُلِّ مُقوِّمات القوة، وأعطاه المال والعلم والجيوش".[436]

---

433 قطب، *في ظلال القرآن*، 2289/4.

434 الشعراوي، *تفسير الشعراوي*، 16/ 9645.

435 الكهف 18/ 86.

436 الشعراوي، *خواطر حول القرآن*، 16/ 9645.

كما قلنا لم يذكر اسمه في القرآن الكريم ولكن العلماء عن اسمه، "وقيل: هو الأسكندر المقدوني، قال النيسابورى[437]: فهو رأيه أصح الأقوال فيه: أنه هو الأسكندر بن فيلقوس الرومي، الذي ملك الدنيا بأسرها، إذ لو كان غيره لانتشر خبره، ولم يخف مكانه، وذكر أبو الريحان المنجم[438]: في كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" قائلا: أن ذا القرنين: هو أبو كرب ابن عمير بن امرئ القيس ابن أفريقش".[439]

وقال الفخر الدين الرازى: لما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين ملك الدنيا أو ما يقرب منها، وثبت في التاريخ أن من هذا شأنه لم يكن سوى الأسكندر، وجب القطع بأن ذا القرنين هو الإسكندر بن فيلِبوس اليونانِيّ،[440] وأكد الزمخشري بقوله: "ذو القرنين هو الأسكندر الذي ملك الدنيا، قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، وكافران: نمروذ، وبخت نصر".[441]

ويتضح لنا مما ذكرنا من الآراء أن العلماء اختلفوا من تحديد اسم ذي القرنين اختلافاً كثيراً، ولكن إظهار اسمه الدقيق لا يغير في المسألة والقصة شيئا، لأنه كما ذكرنا سابقا ليس عليه نص لا في الكتاب ولا في السنة، وإنما قالوا ذلك حسب آراءهم وظنهم.

2. 7. 2. سبب لقبه بذي القرنين، وهل كان نبيا؟

أ. سبب لقبه بذي القرنين:

إنَّ ذا القرنين ليس اسماً، إنما هو لقب لُقِبَ به، لقد ذكر العلماء في سببه أقوالا منها:

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ...﴾،[442] قال بعض العلماء المراد بـ"ذِي الْقَرْنَيْنِ" هو الأسكندر الذي ملك الدنيا، وسمي به، لأنه طاف قرني الدنيا يعني شرقها وغربها،

---

437 هو: الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوريّ، نظام الدين، ويقال له الأعرج، و(المتوفى: بعد 85 هـ)، بعد(1446 م)، والزركلي، *الأعلام*، 216/2.

438 هو: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني،(المتوفى: 440 هـ). البيهقي، *تاريخ بيهق*، ط: الأولى، دار اقرأ، دمشق، 1425 هـ، ص 644.

439 مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، *التفسير الوسيط مجمع البحوث*، 6/ 916.

440 فخر الدين الرازي، *مفاتيح الغيب*، 21/ 494.

441 الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، 2/ 743.

442 الكهف 18/ 83.

أو لأن له ضفيرتين، أو لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس، وقيل: كانت صفحتا رأسه من نحاس، وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين".[443]

وقيل: معنى "ذِي الْقَرْنَيْنِ" ذو الملك الواسع من المشرق والمغرب، فإن المشرق قرن، والمغرب قرن، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– عن المشرق: "...فَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ فَقَالَ: الْفِتْنَةُ هَاهُنَا، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ"،[444] فيكون هذا كناية عن سعة ملكه، وقيل: "ذو القرنين لقوته، ولذلك يعرف أن الفحل من الضأن الذي له قرون يكون أشد وأقوى"، وقيل: "لأنه كان على رأسه قرنان كتاج الملوك، والحقيقة أن القرآن العظيم لم يبين سبب تسميته بذي القرنين، لكن أقرب ما يكون للقرآن العظيم المالك للمشرق والمغرب، وهو مناسب تماماً"،[445] حيث قال النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الشمس إنها: "لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ"،[446] وقال الزمخشري: ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمي ذا القرنين، وفيكم مثله، قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله –تعالى–" وقيل: كان له قرنان، أي ضفيرتان، وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس، ويجوز أن يلقب بذلك؛ لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا، لأنه ينطح أقرانه.[447]

كما أشارنا اليه من لم يذكر القرآن الكريم اسم ذي القرنين لأن الغرض من ذكر قصته في القرآن الحدث نفسه لو كان في ذكر اسمه فائدة لذكر، ولكن ليس فيه فائدة، فعلى أي حال ليس في أسماء وألقاب القصص التي وردت في القرآن الكريم أهمية وفائدة لما يستوجب للمكلفين، وإنما تراعي أهداف وغايات في مضمونها وما وردت من الصفات الايجابية الموجودة في تلك القصص.

---

443 الكرماني، حمد بن يوسف بن علي بن سعيد، *الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري*، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1356 هـ– 1937 م، 14/ 7.

444 البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث 3279، 4/ 123.

445 العثيمين، *تفسير العثيمين*، ط: الأولى، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، 1423 هـ، ص 125.

446 مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس، رقم الحديث 173، 1/ 427.

447 الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، 2/ 743.

ب. هل كان ذو القرنين نبيا؟:

إنَّ أمرَ ذو القرنين غامض وعميق من جميع النواحي، فلا يكاد يستقر للعلماء رأي في شأن من شؤونه، وهذا أدب كل شخص مضى عليه الزمن لم تذكر أمورها التاريخية بشكل كامل.

ومن الخلاف في ذي القرنين: القول في وظيفته، فقد ذهب مجموعة من العلماء في هذا إلى عدة أقوال: فذهب قوم إلى أنه نبي مبعوث، فتح الله على يده الأرض،[448] وقيل: تمكينه بالنبوة وإجراء المعجزات، وروى القول بنبوته أبو الورقاء، وإلى ذلك ذهب مقاتل ووافقه الضحاك،[449] بنسبة نبوة ذي القرنين ليس عليه نص صحيح نقلي من الكتاب والسنة، وإنما هذه الأقوال والآراء.

كما قلنا بالنسبة هل هو نبي أم لا؟ فيه اختلاف كثير جداً، فقد قيل:إن ذا القرنين كان نبيّا، وقيل: كان رسولا، وأغرب ما قيل: إنه ملكا من الملائكة، وقد حكي هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، إنه سمع رجلا يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال: مه؟ ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتّى تسميتم بأسماء الملائكة،[450] ذكره السهيلِي.[451]

وقال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– "لم يكن نبياً ولا ملَكاً، ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله وأحبه الله، وناصح لله فناصحه الله".[452]

قال الزمخشري: ذو القرنين كان عبدا صالحا ملَّكه الله الأرض ومكّنه ووسع ملكه، وأعطاه العلم والمعرفة والحكمة، وألبسه لباس الهيبة، وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه، وتحوطه الظلمة من ورائه، وسئل عنه من هو ذو القرنين؟ أملك أم نبي؟ فقال:

---

448 الماوردي، *تفسير الماوردي النكت والعيون*، 3/ 337.

449 الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، *روح المعاني*، تح: علي عبد الباري عطية، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، 1415 هـ، 8/ 352.

450 ابن كثير، *البداية والنهاية*، 2/ 122.

451 هو: محدث عبد الرحمن السهيلي، و(المتوفى: 581هـ). السِّجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد، *سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل*، تح: محمد علي قاسم العمري، ط: الأولى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1403 هـ– 1983 م، ص 403.

452 الماوردي، *تفسير الماوردي النكت والعيون*، 3/ 337.

ليس بملك ولا نبي، ولكن كان رجلا وارعا صالحا،[453] وذهب الجمهور إلى أنه ليس بنبي، وتوقف بعضهم،[454] لقول الرسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "مَا أَدْرِي أَتُبَّعٌ كَانَ لَعِينًا أَمْ لاَ؟ وَمَا أَدْرِي أَذُو الْقَرْنَيْنِ كَانَ نَبِيًّا أَمْ لاَ؟ وَمَا أَدْرِي الْحُدُودُ كَفَّارَةٌ لأَهْلِهَا أَمْ لاَ ؟ "،[455] والحقيقة أنه لا يوجد في القرآن الكريم، وحتى في السنة تصريح بتاريخه أو باسمه أو نبوته، ولكن يوجد تصريح بإيمانه بالله–تعالى– واليوم الآخر، وأنه رجل صالح عادل كما يتبين في قصته، ويؤيد الباحث الرأي السديد في الخلاف الوارد حول نبوته فيرى بأنه عبد صالح أو رجل مؤمن وداعية ومجاهد، وذلك لبيان تلك الإشارة الواضحة في النصوص الواردة حول القصة، ولأنه لو كان نبيا لذكر الله تعالى اسمه كباقي أسماء الأنبياء الآخرين والله أعلم.

2. 7. 3. قوة ذي القرنين وسعيه في الأرض

وردت قصة ذي القرنين في القرآن الكريم من سورة الكهف، ووصفه الله –تعالى– بالعدل والتمكين والقوة، وبسط ملكه وحكمه وسلطانه، وذكر أنه جال في الأرض حتى بلغ المشارق والمغارب، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾،[456] مكنا له أمره من التصرف فيها كيف يشاء، بحيث يصل إلى جميع مسالكها، ويظهر على سائر ملوكها، وآتيناه من كل شيء أراده من مهامّ ملكه وبسطة سلطانه طريقا يوصله إليه، فآتيناه العلم والقدرة، والآلات التي توصله إلى ذلك،[457] وهذه القدرة والسلطة التي عند ذي القرنين لم تكن إلا بإرادة الله –تعالى– وقدرته وإلا لم يتملك ولو ذرة خردل.

إذا أراد الله –عز وجل– أن يعطي شخصاً من القوة والتمكين والنصرة والسلطة يعطيه ما يشاء، "لقد أعطى الله–تعالى– ذا القرنين من الأسباب الموصلة له لما وصل إليه، ما به يستعين على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وإن عدما أو أحدهما لم

---

453 الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، 2/ 743.

454 السيوطي، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، دار الفكر، بيروت، 1424هـ– 2003 م 5/ 436.

455 ابن البيع، *المستدرك على الصحيحين للحاكم*، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الدخان، رقم الحديث، 3682، 2/ 488.

456 الكهف 18/ 84–86.

457 المراغي، *تفسير المراغي*، 16/ 16.

يحصل، وهذه الأسباب التي أعطاه الله إياها، لم يخبرنا الله ولا رسوله بها، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم، فلهذا لا يسعنا غير السكوت عنها، وعدم الالتفات لما يذكره النقلة للإسرائيليات ونحوها، ولكننا نعلم بالجملة أنها أسباب قوية كثيرة، داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم، ذو عدد ونظام، وبه تمكن من قهر الأعداء، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، وأنحائها فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس، حتى رأى الشمس في مرأى العين، كأنها تغرب في عين حمئة، سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين أفق الشمس الغربي ماء، رآها تغرب في نفس الماء، وإن كانت في غاية الارتفاع، ووجد عندها، أي: عند مغربها قوما،[458] ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾،[459] أمّا من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الكفر والشرك، فذلك هو المعذب في الدنيا والآخرة، وأما مَنْ آمن وعمل عملا صالحا ما يقتضيه الإيمان فله جزاءً الحسنى، وقيل: خيره بين القتل والأسر، وسماه إحسانا في مقابلة القتل فله جزاءالحسنى، فله أن يجازى المثوبة الحسنى، أو فله جزاء الفعل الحسنى التي هي كلمة الشهادة، وقيل: كان يطبخ من كفر في القدور، وهو العذاب النكر، ومن آمن أعطاه وكساه، ﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾،لا أى لا نأمره بالصعب الشاق، ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك،[460] وعمل ذي القرنين بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي إستعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمع القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود.

وقال البيضاوي[461]: "فاختار الدعوة وقال: أما من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره أو استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه أنا ومن معي في الدنيا بالقتل، ثم يعذبه الله في الآخرة عذاباً منكراً لم يعهد مثله،﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، وهو ما يقتضيه الإيمان، فله في الدارين، جزاء الحسنى على فعلته الحسنى"،[462] فقرر ذو القرنين قراراً فقال: من كفر

---

458 السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ص 485.

459 الكهف 18/ 87- 88.

460 الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، 2/ 744.

461 هو: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين: قاض، مفسر، علامة، ولد في المدينة البيضاء بفارس، و(المتوفى: 461 هـ - 1286 م. الزركلي، *الأعلام* 4/ 110.

462 البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 292.

وأصر على ولم يندم فيعذب في الدنيا بأيدينا، وفي الآخرة يعذب بالنار جهنم، وأمامن آمن وعمل عملاًصالحاً واستقام وثبت على إيمانه فله جزاءً حسناً في الدنيا والآخرة.

وقال ابن عطية:[463] "ظلَم في هذه الآية: بمعنى كفر، ثم توعد الكافرين بتعذيبه إياهم قبل عذاب الله، وعقب لهم بذكر عذاب الله، لأن تعذيب ذي القرنين هو اللاحق عندهم، المحسوس لهم، الأقرب نكاية، فلما جاء إلى وعد المؤمنين، قدم تنعيم الله –تعالى– الذي هو اللاحق عن المؤمنين، والآخر بإزائه حقير، ثم عبر أخيرا بذكر إحسانه في قول اليسرى، وجعله قولا، إذ الأفعال كلها خلق الله –تعالى–، فكأنه سلمها، ولم يراع تكسبه"،[464] فتهديد ذي القرنين للناس بالعذاب حتى يوجه الناس إلى خالقهم ولم يكفروا ولم يخرجوا من دائرة الإيمان لأنهم إذا كانوا مؤمنين يفوزوا في الدارين.

ويأتي سياق الكلام علي سعي ذي القرنين في المشارق والمغارب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾،[465] ثم أتبع سبيلاً يوصله إلى المشرق، ﴿حَتَّى إذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾، يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه أولاً من معمورة الأرض، ﴿وَجَدَها تَطْلُعُ عَلى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً﴾ من اللباس أو البناء، فإن أرضهم لا تمسك الأبنية، أو أنهم اتخذوا الأسراب بدل الأبنية، ﴿كَذلِكَ﴾، أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك، ووسع الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار،﴿وَقَدْ أَحَطْنا بِما لَدَيْهِ..﴾، أي من الجنود والجيش والآلات والعدد والأسباب، ﴿خُبْراً﴾، علماً تعلق بظواهره وخفاياه، والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير.[466]

---

463 هو: ابن عطية، ابو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي،: مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوشال ملثمين، له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، و (المتوفى: 542 هـ – 1148 م). الزركلي، *الأعلام*، 3/ 282.

464 ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،1422 هـ، 3/ 540.

465 الكهف 18/89– 91.

466 البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 292.

وقيل: "أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب، فإذا طلعت الشمس دخلوها، فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم، وقيل: لم نجعل لهم من دونها سترا، مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنة من كل جنس، والثياب من كل صنف، وقيل: بلغ مطلع الشمس مثل ذلك، كما بلغ مغربها، وقيل: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم، يعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر، وإحسانه إلى من آمن منهم،[467] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾،[468] يعني طريقاً ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال، ﴿حَتَّى إذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾، بين الجبلين المبني بينهما سده، وهماً جبلا أرمينية وأذربيجان، وقيل: جبلان منيفان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج،[469] وهذا سد من حديد بين جبلين، بناه ذو القرنين، فصار ردما واحداً يحجز هؤلاء القوم المفسدين في الأرض عن أذية الناس والإفساد في الأرض، فإذا جاء الوقت الذي قُدر انهدام السد فيه، جعله الله مساويا للأرض، وعد لا بد منه، فإذا انهدم، يخرجون على الناس ويموجون وينسلون، أي: يسرعون المشي من كل حدب، ثم يكون النفخ في الصور قريبا من ذلك،[470] إذن إن هؤلاء القوم كانوا قد أخافوا من دونهم قوم قد سمى القرآن بيأجوج ومأجوج، فكانوا إذا خرجوا من بين الناس يفسدون الأرض وحياة الناس، لذلك طلبوا من ذي القرنين القيام ببناء سد لهم ليحجزهم منهم، وذو القرنين قام ببناء السد ليكون حاجزاً بين يأجوج ومأجوج والخلق.

إن خروج يأجوج ومأجوج واندكاك السد وفتحه لا يتم إلا في آخر الزمان، وهذا القول هو الصواب الموافق لأقوال السلف، والمطابق لمفهوم نصوص الكتاب والسنة، فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّى إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ...﴾،[471] هذا تحذير من الله للناس أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكى إليه إفسادهم في

---

467 الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل* ، 745/2.

468 الكهف 92/18-93.

469 البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، 3/ 292.

470 الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد*، ط: الأولى، دار ابن الجوزي، 1420هـ م، ص 235.

471 الأنبياء 21/ 96.

الأرض، وفي آخر الزمان ينفتح السد عنهم، فيخرجوا إلى الناس وفي هذه الحالة والوصف الذي ذكره الله من كل مكان مرتفع، وهو الحدب ينسلون أي يسرعون، وفي هذه الآية دلالة على كثرتهم البالغة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق الله لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقّ﴾، أي يوم القيامة الذي وعد الله بإتيانه، ووعده حق وصدق، وقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾،[472] ذهب متوجهاً من المشرق قاصداً للشمال، فوصل إلى ما بين السدين: وهما سدان كانا معروفين في ذلك الزمان، سدان من سلاسل الجبال المتصلة يمنة ويسرة، حتى تتصل بالبحار بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم واستعجام أذهانهم وقلوبهم،[473] وصاحب القصة أي ذو القرنين قد جاهد بكل قدراته ولم يبين بين ما هو الهدف شرقاً أم غرباً شمالاً أم جنوبا، لأجل أن يصل معرفة الله –تعالى– ودينه إلى أنحاء الدنيا.

قال تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا* قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾،[474] "إن يأجوج ومأجوج ما قدروا أن يصعدوا من فوق السد لارتفاعه وملاسته، ولا استطاعوا نقبه لصلابته وثخانته"،[475] ولو كان ذو القرنين لم يقم ببناء السد، ليخرجوا يأجوج ومأجوج ليفسدوا في الأرض، وانتشرت فتنتهم في الأرض، ولكن أراد الله –تعالى– أن يسخر هذا الرجل حتى يبني سدا بينهما وبين الناس.

علم ذو القرنين كيف يحفظ البشرية من فتنة يأجوج ومأجوج، "فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بني من الردم، ولا يقدرون ولايطقون على نقبه، قال: هذا الذي بنيته وسويته ووضعته حاجزا بين هذه الأمة، ومن دون الردم رحمة وفضلا من ربي رحيم بها من دون الردم من الناس والبشر، فأعانني برحمته وفضله لهم حتى بنيته وسوّيته، ليكفّ ويمنع بذلك غائلة هذه الأمة عنهم، وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، فإذا جاء

472 الكهف 18/92–93.

473 عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، *الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة*، ط: السنة الحادية عشرة، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، العدد الرابع، 1418 هـ– 1998 م، ص 254.

474 الكهف 18/ 97–98.

475 المراغي، *تفسير المراغي*، 16/ 19.

وعد ربي الذي جعله ميقاتا، لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم، جعله دكاء، يقول: سواه بالأرض، فألزقه بها، من قولهم: ناقة دكاء: مستوية الظهر لا سنام لها،[476] حين رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج يحبسون بواسطة هذا السد قام ببنائه بأسلوب لايقدرون أن يتجاوزوا عليه.

وهذا النص –أيضا– لا يحدد زمانا لانفكاك السد، ووعد الله في الآية بمعنى وعده بدك السد، ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار، وانساحوا في الأرض، ودمروا الممالك تدميرا، وفي موضع آخر في سورة الأنبياء، ذكر يأجوج مأجوج، قال تعالى: ﴿حَتَّى إذا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ...﴾،[477] فهذه الآيات تدل على أن الله –تعالى– سخر ذا القرنين –الملك الصالح–، لبناء ووضع السدّ العظيم، ليكون حاجزا بين يأجوج ومأجوج –القوم المفسدين في الأرض– وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم، واقترب وقت الساعة، اندكّ هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا في الناس وعاثوا في الأرض فساداً، وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة،[478] والآية تدل على أن ذا القرنين ينسلون في آخر الزمان، قبيل يوم القيامة.

وهذا النص كذلك لا يحدد زمانا معينا ومحدداً، لخروج يأجوج ومأجوج، فاقتراب الوعد الحق بمعنى اقتراب يوم القيامة، وقد وقع الاقتراب منذ زمن الرسول –صلى الله عليه وسلم– فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[479]، "والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر، فقد تمر بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين أو القرون، يراها البشر طويلة مديدة، وهي عند الله ومدة قصيرة، إذن فمن الجائز أن يكون السد قد فتح في الفترة ما بين: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، ويومنا هذا، وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج"،[480] والزمن البعيد عندنا قريب عند الله –تعالى– لأن الزمن عند الله –

---

476 الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، 18/ 118.

477 الأنبياء 21 / 96.

478 الصلابي، *الإيمان باليوم الآخر*، ص 88.

479 القمر 54/ 1.

480 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2293.

تعالى- يختلف بالنسبة للناس، فالقيامة لو كانت عندنا بعيدة ولكن زمانها عند الله -تعالى- مدة قصيرة، لأنهم يرونها بعيدة والله يراها قريبة.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش قالت: استيقظ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من نومه وهو محمّر وجههُ وهو يقول: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ -وَعَقَدَ تِسْعِينَ- فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ"،[481] وبذلك تنتهي هذه الحلقة من سيرة ذي القرنين، النموذج الطيب للحاكم الصالح، يمكنه الله في الأرض، وييسر له الأسباب، فيجتاح الأرض شرقا وغربا، ولكنه لا يتجبر ولا يتكبر، ولا يطغى ولا يتبطر، ولا يتخذ من الفتوحات وسيلة للمغنم المادي، واستغلال الأفراد والجماعات والأوطان، ولا يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، ولا يسخر أهلها في أغراضه وأطماعه.. إنما ينشر العدل في كل مكان يحل به، ويساعد المتخلفين، ويدرأ عنهم العدوان دون مقابل، ويستخدم القوة التي يسرها الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان وإحقاق الحق، ثم يرجع كل خير يحققه الله على يديه إلى رحمة الله وفضل الله، ولا ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله وجبروته، وأنه راجع إلى الله،[482] والرجل العاقل ولو كان وسع ملكه وقوته وسلطته لا يغتر به بل يشكر على هذه النعمة، مثل ذي القرنين كان في أعلى درجة في كل جوانب في هذه الحياة ولكن لم ينسى خالقه وآخرته، وجد سعادة الدارين.

إن حركة ذو القرنين الدعوية والجهادية، وسخر الله -تعالى- لخدمة هذه الأمة وجعل سعيه وتمكينه وقوته رحمة للخلق، جعلته يحتك بالشعوب والأمم وتكلم القرآن الكريم عن رحلاته كالتالي:

الرحلة الأولى: لم يحدد القرآن الكريم نقطة الانطلاق فيها، وحدد النهاية وهي مغرب الشمس، ووجد عندها قوماً، فدعاهم إلى الله -تعالى-، وسار فيهم بسيرة العدل والإصلاح، قال تعالى﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾،[483] إنها سياسة العدل التي تورث التمكين في

---

481 البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم الحديث 3346، 4/ 138.

482 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2293.

483 الكهف 18/ 87-88.

الحكم والسلطة، وفي قلوب الناس الحب والتكريم للمستقيمين، وإدخال الرعب في قلوب أهل الفاسدين والظالمين، فالمؤمن المستقيم يجد الكرامة والود والقرب من الحاكم، ويكون بطانته وموضع عطفه وثقته ورعاية مصالحه وتيسير أموره، أما المعتدي المتجاوز للحد، المنحرف الذي يريد الفساد في الأرض فسيجد العذاب الرادع من الحاكم في الحياة ثم يرد إلى ربه يوم القيامة؛ ليلقى العقوبة الأنكى بما اقترفت يداه في حياته الأولى،[484] فلو كان الحاكم عادلاً يسترح كل الناس كما رأينا ذا القرنين يعطي جزاء المحسنين جزاء وافراً، ويعذب المفسدين عذاباً يكون سبباً لمنع ظلم الظالمين وفساد المفسدين.

الرحلة الثانية: وهي رحلة المشرق، حيث يصل إلى مكان يبرز لعين الرائي أن الشمس تطلع من خلف الأفق، ولم يحدد السياق أهو بحر أم يابسة، إلا أن القوم الذين كانوا عند مطلع الشمس كانوا في أرض مكشوفة بحيث لا يحجبهم عند شروقها مرتفعات جبلية أو أشجار سامقة، وذهب الشيخ محمد متولي الشعراوي: إلى أن المقصود بقوله تعالى:﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾،[485] هي بلاد القطب الذي تكون فيه الشمس ستة شهور لا تغيب طوال هذه الشهور، ولا يوجد ظلام يستر الشمس في هذه الأماكن،[486] وصل ذو القرنين من جهة في المشرق لم يصل إليها أحد من الملوك، وهذه الرحلة كانت بسبب عدالة ذي القرنين وحكمته وفضل الله –تعالى– عليه.

الرحلة الثالثة: هذه الرحلة تختلف عن الرحلتين السابقتين من حيث طبيعة الأرض والتعامل مع البشر، ومن حيث الأعمال التي قام بها، فلم يقتصر فيها على الأعمال الجهادية، لكبح جماح الأشرار والمفسدين، بل قام بعمل عمراني هائل، أما الأرض فوعرة المسالك، وكأن وعورة الأرض قد أثرت في طبائعهم، وطريقة تخاطبهم مع غيرهم، ففي التفاهم والمخاطبة لا يكاد الإنسان منهم يقدر على التعبير عما في نفسه، ولا أن يفقه ما يحدثه به غيره من غير بني قومه:﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾،[487] ونلاحظ من خلال السياق القرآني أن هؤلاء القوم اتصفوا بصفات منها: هم قوم متخلفون ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، هذا إما معناه أنهم لا يفقهون لغة غيرهم من الأقوام الأخرى، لأنهم لم يطلعوا عليها ولم يتعلموها، فهم منغلقون

484 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص 192.

485 الكهف 18/ 90.

486 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص192.

487 الكهف 18/ 93.

على لغتهم فقط، وإمّا معناه: أن الكلام لا ينفع معهم، لأنهم لا يفقهون، ولا يتفاعلون معه، ولا يتفاهمون مع قائله، ويفعلون هذا لجفاء وغلظة عندهم، أو لغفلة وسذاجة في طبيعتهم، هم قوم ضعفاء، ولذلك عجزوا عن صدّ هجمات يأجوج ومأجوج، والوقوف في وجههم، ومنع إفسادهم، هم قوم عاجزون عن الدفاع عن أرضهم، ومقاومة المعتدين، ولذلك لجأوا إلى قوة أخرى خارجية، قوة ذي القرنين، حيث طلبوا منه حل مشكلاتهم، والدفاع عن أراضيهم، هم قوم اتكاليون كسالى، لا يريدون أن يبذلوا جهداً، ولا أن يقوموا بعمل، ولذلك أحالوا المشكلة على ذي القرنين، وأوكلوا إليه حقها، أما هم فمستعدون لدفع المال له، لقد كان فقه ذي القرنين في التعامل مع الشعوب المستضعفة هو السعي الجاد، لنقلها من الجهل والتخلف والكسل والضعف، إلى العلم والتقدم والنشاط والقوة، فكان يدير العمل بروح الجماعة، ويشترك بنفسه مع إشراك غيره، ويدل على ذلك ضمير المتكلم الذي يتقابل في تسلسل متتابع رفيع مع ضمير المخاطب في النظم القرآني الكريم مما يشير إلى روح الحماسة والحيوية والتعاون المشترك،[488] قال تعالى:﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾،[489] هذه الرحلة كانت مختلفة عن السابقة؛ لأنه قام في هذه الرحلة بأعمال غير الجهاد، قام بعمل كبير هناك التقى قوماً مختلفين عن الناس في ألوانهم، وقوتهم، ولغتهم، وهم عاجزون في الدفاع عن نفسهم مقابل يأجوج ومأجوج، لذا قام ببناء الجدار بينهم، حتى يكون تعاوناً مع الضعفاء والدفاع عنهم.

إن ذا القرنين كان شخصا يحب أن يفعل الخير دائما، فلقد كان حريصاً على مصلحة الناس، ناصحاً لهم فيما يعود عليهم بالنفع، ولهذا طلب منهم المعونة الجسدية، لما في ذلك من تنشيط لهم ورفع لمعنوياتهم.[490] كان ذو القرنين مخلصا بذل من جهده وقوته لخدمة البشر في حياته، مثلاً طلبوا منه بناء سد فقط حتى يكون حاجزاً عن يأجوج ومأجوج، ولكن قام بتكوين الردم وهو أقوى من السد وأحكم منه ففعل أكثر مما يرجون القوم.

---

488 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص194.

489 الكهف 18/ 95 - 96.

490 ابن العربي، أبو بكر القاضي محمد بن عبد الله، *أحكام القرآن*، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ-2003 م، 3/ 243.

لقد عفّ ذوالقرنين عن أموال المستضعفين، وشرع في تعليمهم النشاط والعمل، والكسب، والسعي، فقال لهم:﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾، [491] إنّ في هذا السياق القرآني يظهر فيه تضافر الجهود، والقدرات، وتوحيد الطاقات، فالقائد الحكيم العادل يستطيع أن يسوق المجتمع إلى شكل متكامل، ليحقق المقاصد، والغايات، بهذا الشكل تكون خير أمة وترفعها وتنجح.

نحن المسلمون في أمسّ الحاجة إلى قائدة مثل ذي القرنين للتعاون والتنظيم المجتمع الإسلامي، إنَّ أمتنا الإسلامية ملأ بالمواهب الضائعة، والطاقات المعطلة، والأموال المهدرة، والأوقات المبّددة، والشباب الحيارى ينتظرون من قيادتها في كافة الأقطار والدول والبلاد لكي تأخذ بقاعدة ذي القرنين في الجمع والتنسيق والتعاون، ومحاربة الجهل والكسل والتخلف، [492] فاكتفى ذو القرنين بأن يطلب منهم طلبا قائلا لهم: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، إنَّ ذا القرنين لم يكن موقفه مع المستضعفين حمايتهم، وإنما توريثهم أسباب القوة حتى يستطيعوا أن يقفوا أمام المفسدين بأنفسهم، لقد كان ذو القرنين يستطيع أن يبقى حتى يبدأ يأجوج ومأجوج في الهجوم، ثم يهاجمهم ويهزمهم، ولكن الله –سبحانه وتعالى– يريد أن يلفتنا إلى أنه ليس من وظيفة الحاكم أو الملك أن يظل في انتظار هجوم الظالم، ولكن وظيفته منع وقوع الظلم، ولم يأت ذو القرنين بجيوش لحماية المستضعفين مع قدرته على ذلك، وإنما طلب منهم أن يعينوه، ليساعدهم على حماية أنفسهم، ويتعلموا فنون الحماية، ويكتسبوا خبرات، ويتدربوا على العمل الجاد المثمر الذي يبنون السد بأيديهم، وهذا أدعى للحفاظ عليه، وإصلاحه إن أصابه شيء، إن قصة ذي القرنين من قصص القرآن التي يتمثل بها من الدلالة على القدرة الفائقة لأصحابها، ومدى ما كانوا عليه من قوة وتمكين، ولكن بواسطة ما سنّه الله من أسباب في هذا الكون، ووسائل تؤدي إلى غاياتها المراد منها، لتمثل بذلك أنموذجاً لكل مسلم يريد أن يسلك في هذه الحياة على هدي من الفهم لسنن الله–تعالى– في الخلق، وليتقين كل أحد أن التمكين في الأرض والسعادة في الآخرة، إنما يتحصل بأسباب ووسائط سواء المادي منها والمعنوي، من ما تحقق به ذو القرنين، [493] والحاصل إنَّ العبارة القرآنية السابقة تعلن تضافر الجهود وتوحيد الطاقات بأنواعها المختلفة، وإن القيادة الحكيمة الناجحة هي التي تستطيع تفجير طاقات المجتمع وتوجيهه نحو تكامل جيد، كما

491 الكهف 18/ 95.

492 الخالدي، *مع قصص السابقين في القرآن*، ص 342.

493 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص195–199.

بينت الآيات المذكورة حول القصة لذي القرنين، لأن الإنسان له قدرات غير محددة من النواحي المختلفة من الناحية الفكرية والتخطيط والتنظيم في حياته، ثم تأتي دور القيادة الإلهية وذلك بتوجيه الأمر والخطاب الموجه إلى الإنسان، فيتحقق الغايات والأهداف المرجوة للإنسان، كما تحققت هذه الغايات في قصة المذكورة سابقاً.

2. 8. الدروس المستفادة من قصة ذي القرنين

إنَّ قصة ذي القرنين من القصص القرآنية الجامعة التي تضمنت الكثير من الدروس المستفادة منها، مثل الأخذ بالأسباب، والتمكين والحكم والسلطان في الأرض من نعم الله –تعالى–، وأهمية العلوم في إحياء الشعوب، والخروج لدفع الفساد وإعلاء كلمة الله –تعالى– في الأرض،والشكر على نعمة التمكين في الأرض، فالقصة تجمع شخصية الحاكم المتمكن العادل العامل المخلص، بسبب ورعه وخوفه من الله –تعالى–، وحرصه على بثِّ قيم العدالة في الأرض بين الناس ، ويستخدم قوته وجهده في التعمير والإصلاح، في قصة ذي القرنين دروس وفوائد كثيرة، ونتكلم فيما يلي بإيجاز عن هذه الدروس والفوائد المستفادة من قصة ذي القرنين:

2. 1.8. الأخذ بالأسباب للوصول إلى الأهداف والغايات

إنَّ الإنسان لا يستطيع أن يُحَقِّقَ بُغيته وقصده إن لم يأخذ يده بالأسباب، لأنه بها يصل الإنسان إلى ما يريده ويقصده من الأُمور في حياته، فالأسباب جمع سبب: "وهو ما يتوصل الإنسان به إلى أمر من الأمور، وهو –أي السبب– فى الأصل: الحبل الذي يصل شيئا بشيء، ويقال للباب الذي يدخل منه إلى المكان: سبب، والأسباب هي الوسائل التي يتوصل بها إلى نتائج ومسببات، وما آتاه الله –سبحانه وتعالى– ذا القرنين من أسباب لكل شيء، هي تلك الوسائل السليمة الصحيحة، المؤدّية إلى مسبّبات طيبة كريمة، قائمة على الخير والإحسان، وقد يكون للشيء أكثر من سبب، وأكثر من وسيلة يتوسل بها إليه.. وبعض هذه الأسباب سليم كريم، وبعضها ملتو خبيث فالحصول على المال مثلا، يمكن أن يتوصل إليه بالعمل الجادّ، وبالكسب الحلال، كما يمكن أن يتوصل إليه بأسباب كثيرة فاسدة، كالسّرقة، والغصب والاحتيال، والنصب، والغشّ، والرّبا.. ونحو هذا وفى قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾،[494] إشارة إلى أن الأسباب التي وضعها الله –سبحانه وتعالى– في يد ذي القرنين، وأقام نظره وقوله عليها، هي الأسباب السليمة الصحيحة المعزولة عن الأسباب الفاسدة الظالمة وأما

494 الكهف 18/ 84.

أسباب ذي القرنين فتجرى على مستوى العقل البشرى، حيث يأخذ الأمور بأسبابها الظاهرة التي تبدو لعين العاقل، البصير، العالم ومع هذا، فإن أسباب كلّ منهما تلتقي عند نهايتها بما هو مطلوب ومحمود وهذا يعنى أن مستوى البشرية، يستطيع أن يرتقي بما يكتسب من العلم والمعرفة إلى حيث يسير في طريق مستقيم، تتكشف فيه، لبصيرته مواقع الحق والخير، فلا يخطئ الغاية، ولا يضل السبيل،[495] والأسباب هي الحبل الذي يتوصل به الإنسان إلى كل شيءٍ، فذو القرنين بالأسباب حكم في المشارق والمغارب، وبها استطاع أن ينشر العدل والقسط بين الناس، فالأسباب إذا استعملت في الخير تكون خيراً، وإذا استعملت في الشر تكون شراً.

إن ذا القرنين اهتم في حياته بالأسباب، كما قام ببناء السد بآلات وأجهزة قوية، في تعاونه للضعفاء ونصره على الأعداء، وهذه الأسباب التي أعطاها الله إياه، لم يرد حديث صحيح بتفصيلها، فعلينا أن نؤمن بأن الله – تعالى– قد أعطاه وسائل عظيمة، لتدعيم ملكه، دون أن نلتفت إلى ما ذكره هنا بعض المفسرين من إسرائيليات لا قيمة لها، إن ضرورة الأخذ بالأسباب، فالسبب سنة الله–تعالى– في خلقه، وهي شهادة للعمال وأهل الحرف والصنائع بأن العمل شرف، واتخاذ الحرفة كرامة، والأخذ بأسباب النصر على الأعداء ومحاربة الفساد بإعداد الجيوش مقودة بقيم الإيمان وتعاليم الرحمن، اهتم ذو القرنين بأسباب التي سعى إليها حيث آتاه الله–تعالى– من كل شيء سبباً فأتبع سبباً، فقصة ذي القرنين تدل على وجوب الأخذ بالأسباب، وبيان أن ذلك ضروري للنهوض الحضاري للأمم، وقد قدم القرآن الكريم ذا القرنين أنموذجاً متجسداً، لربط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج، واعتبر ذلك مقدمة لابد منها للنهوض والإنجاز الحضاري، وبذلك لم يكتف القرآن بتأكيد موضوع السنن والأسباب نظرياً، لقد مكن الله له في الأرض فأعطاه سلطاناً وطيد الدعائم، ويسّر له أسباب الحكم والفتح وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع، وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة،[496] ويبدو بأن الأخذ بالأسباب أمر ضروري في حياة الكون للبشر، لا يمكن شيء بدون السبب، وإلا لما استطاع ذو القرنين أن ينجز هذه الأعمال الشاقة التي قام بفعلها مثل الآلات هي الأسباب التي استعملها لبناء السد المحكم الحاجز بين يأجوج ومأجوج وبين القوم.

قصة ذي القرنين من القصص القرآن الذي يصور لنا القدرة الفائقة لأصحابها، ومدى ما كانوا عليه من قوة وتمكين، ولكن بواسطة ما سنّة الله –تعالى– من أسباب في هذا الكون،

---

495 الخطيب، *التفسير القرآني للقرآن*، 8/ 698.

496 طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 8/ 570.

ووسائل تؤدي إلى غاياتها المراد منها، لتمثل بذلك أنموذجاً لكل مسلم يريد أن يسلك في هذه الحياة على هدي من الفهم لسنن الله– تعالى– في الخلق، وليتيقن كل أحد أن التمكين في الأرض والسعادة في الآخرة، إنما يتحصل بأسباب ووسائط، سواء المادي منها والمعنوي، من مثل تحقق لذي القرنين،[497] ويبدو أن كل شيء يتحصل عليه الإنسان من العدل والتمكين في الأرض، يتحصل بالأسباب، فالأسباب التي يستعملها الإنسان لتكوين وشؤون حياته هي ما سنه الله –تعالى– ليقوم بما أوجب الله –تعالى– عليه.

يستفاد في القصة كثير من الدروس ومن هذه الدروس التي نأخذها في قصة ذي القرنين أنه أوتي من كل شيء سببًا، وإيمانه المطلق بالله – تعالى– "نجد أن القيمتين تبرزان في قصة ذي القرنين، فقد أوتي من كل شيء سببًا، وهي الأسباب الظاهرة من الخبرة والعلوم المتعلقة بسياسة الشعوب والأمم وعمارة الأرض، وتخطيط المدن والأقاليم، وتجبيش الجيوش، ومعرفة منازل الأرض، وكل ما من شأنه أن يمكن له في الأرض من أسباب عزة الدولة والحاكم العادل، وترسيخ أقدامه في الحكم، إلى جانب هذه الأسباب الظاهرة ، نجد الإيمان المطلق بالله –سبحانه وتعالى– وتوفيقه له وأنه وفق إلى هذا بمحض الرحمة والفضل من رب العزة والكرم، لقد أعطاه الله –تعالى– من كل شيء سبباً، وينصرف ذهن السامع أو القارئ إلى وجوه التمكين له في الأرض، وأسبابه من العلوم والمعرفة واستقراء سنن الأمم والشعوب صعوداً وهبوطاً، وفي سياسة النفوس أفراداً وجماعات، تهذيباً وتربية وانتظاماً، وأعطاه من أسباب القوة من الأسلحة والجيوش، وأسباب القوة والمنعة والظفر، وأسباب العمران وتخطيط المدن وشق القنوات وإنماء الزراعة "،[498] ويبدو أن ذا القرنين استخدم الأسباب الظاهرة مثل العلوم المتعلقة بحياة البشر وعمارة الأرض، وبعد الأسباب الظاهرة لديه إيمان قوي برب العالمين لذا انتصر من حياته وحكم في الدنيا من المشارق إلى المغارب.

يمكن أن يدخل تحت قوله تعالى:﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾،[499] فإن الله يسّر لذي القرنين الأسباب والوسائل، لفتح المدائن والأقاليم، وأطال عمره، ووسّع ملكه، وكسر أعداءه، وسخر له النور والظلمة، فجعلهما جندًا من جنوده، وكان إذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنًا من ألواح صغار أمثال النعال فنظمها، ثم جعل فيها جميع من

497 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص 199.

498 مصطفى مسلم، *مباحث في التفسير الموضوعي*، ص 301– 304.

499 الكهف 18/ 84.

معه من تلك الأمم والجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كل إنسان لوحًا فلا يكثره حمله، وكان إذا البحر الجامد ألقى عليه ما يذيبه فخاضه، وإذا أراد أن يجمد الماء ألقى عليه ما يجمده فمشي فوقه، وبعث النور والظلمة على ما يريد بحسب حاجته، وذلك مدد من الله –تعالى–،[500] ويشهد لذلك قوله تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾،[501] أخذ ذو القرنين أسباباً لبناء السد، لفتح الأقاليم والأمصار، وكان إيمانه بالله – تعالى– إيماناً كاملا مطلقاً، ووسع الله –تعالى– حكمه، وملكه، وقصر ظهر أعدائه، وطوّل عمره ، ونصره الله –تعالى– في حكمه.

نستطيع أن نقول أن سبب الرئيس لنصرة الملك ذي القرنين هو إيمانه القوي بالله –تعالى–"إن التوازن المدهش والخلاب في شخصية ذي القرنين سببه إيمانه بالله –تعالى واليوم الآخر، ولذلك لم تطغ قوته على عدالته، ولا سلطانه على رحمته، ولا غناه على تواضعه، وأصبح مستحقاً لتأييد الله وعونه، ولذلك أكرمه الله –تعالى– بالأخذ بأسباب التمكين والغلبة، وهو تفضل من الله –تعالى– على عبده الصالح، فجعل له مكنة وقدرة على التصرف في الأرض، من حيث التدبير والرأي، وكثرة الجنود والهيبة والوقار،[502] وكذلك أكرمه الله بكثرة الأعوان والجنود، وقذف الرعب في قلوب الأعداء وتسهيل السير عليه، وتعريفه فجاج الأرض واستيلائه على برها وبحرها، وتمكنه بذلك من تملك المشارق والمغارب من الأرض، فكل هذه الأمور لا تعطي لشخص عادي، ولا يمكن أن يحققها حاكم بحوله وقوته وذكائه مهما بلغ، إلا أن يكون مؤيداً من الله، ذلك التأييد الذي ينصر الله به عباده المؤمنين، ويدل على هذه العناية –أيضاً– ضمير العظمة في قوله:﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾،[503] أمده بكل ما أراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه، فزوده بعلم منازل الأرض وأعلامها، وعرفه ألسنة الأقوام الذين كان يغزوهم، فكان لا يغزو قوماً إلا كلمهم بلسانهم،[504] إذن فليس ما أوتيه ذو القرنين علم ومعرفة لبناء السدود فقط، وإنما كان عنده علوم بالغزوات والفتوحات ومعرفته بكل اللهجات واللغات الأقوام المختلفة، وسيطرته على مشارق الأرض ومغاربها، في برها وبحرها،

---

500 النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك، *توفيق الرحمن في دروس القرآن*، تح: عبد العزيز بن عبد الله الزير آل محمد، ط: الأولى، دار العاصمة، الرياض، 1416 هـ – 1996 م، 3/ 38.

501 الكهف 18/ 84.

502 الآلوسي، *روح المعاني*، 30/16.

503 الكهف 18/ 84

504 الآلوسي، *روح المعاني*، 16/ 31، وأبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، *البحر المحيط في التفسير*، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، 6/ 159.

فقد وازن ذو القرنين بين الأسباب التي أتاحها الله له واتبعها واستقصاها، حتى إن القرآن يلح على ذلك ويبينه ويكرر التزامه في العمل بالأسباب، وذلك في مواضع ثلاثة من الآيات التي أشرنا إليها حيث يقول: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾،[505] وبعدها يكرر:﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾،[506] وقرن ذو القرنين بما انطوى عليه من أسباب معنوية، وما كان عليه من إيمان وتقوى وعمل صالح في قوله:﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾،[507] فاجتمعت له الأسباب الظاهرة والباطنة، فكان له التمكين والغلبة ونفع الناس وإعانتهم،[508] ويبدو أن من استخدم الأسباب الظاهرة والباطنة يكون ناجحاً وموفقاً في ما يريد في حياته، كما نرى هذه الأسباب من قصة ذي القرنين.

إن الإنسان يكون اسمه باقياً بعد موته إذا عاش لله -تعالى- ولخدمة البشر، وذو القرنين علَم قرآني بارز، خلّد الله-تعالى- ذكره في كتابه الخالد، إنه الرجل الطواف في الأرض، الصالح العادل، الخاشع لربه، والمنفذ لأمره، والقائم بين الناس بالإصلاح، والذي ملك أقاصي الدنيا وأطرافها، فلم يغره مال ولا منصب، ولا جاه ولا قوة ولا سلطان، بل إنه بقي ذاكراً لفضل ربه ورحمته، متأهباً لليوم الآخر، ليلقى جزاءه العادل عند ربه، ويكفي أن يبقى ذو القرنين تلك الشخصية العظيمة في التاريخ، وذلك العلم البارز في العدل والإصلاح والقيادة، ومثال الحاكم الصالح على مر التاريخ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بشهادة الكتاب الخالد"،[509] ويبدو أن ذا القرنين لم يغتر بمنصبٍ، ولا بمالٍ، ولا سلطة، قام بإقامة العدل في أطراف الدنيا، لذا خلّد الله -تعالى-ذكره في القرآن الكريم إلى يوم القيامة.

2. 8. 2. التمكين والحكم والسلطان في الأرض من نعم الله -تعالى-

امتن الله- تعالى- على ذي القرنين بفضله ورحمته بالتمكين في الأرض وأعطاه الله- تعالى- من كل شي سببا، وهو إعطاء الله- تعالى- ما يتوصل به ذو القرنين من العلم والحكم والقوة والسلطة وتولي والغلبة على الأعداء وغيرها، ولقد أعلن ذو القرنين من قبل دستوره في

---

505 الكهف 18/ 85.

506 الكهف 18/ 89.

507 الكهف 18/ 98.

508 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص 186.

509 محمد خير، رمضان يوسف، *ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح*، ط: الثانية، دار القلم، بيروت، 1415هـ- 1994م، ص 247- 249.

الحكم، وقد علّم الله–تعالى– كل ما لديه من أفكار واتجاهات،[510] أعطاه الله –تعالى– ذا القرنين كل ما يحتاجه في ملكه من العلم، والقوة، والغلبة على جميع أعدائه، وفقه الله –تعالى– في حياته وحكمه.

إنَّ المنهج الذي مشى عليه ذو القرنين كحاكم عادل مؤمن، كان رجلا عادلاً مطلقاً في كل أحواله وسكناته وحركاته، ولذلك ساق الناس الذين حكمها بسيرة العدل، فلم يعامل مع الشعوب،والأقوام التي تغلب عليها ونصر عليها في حروبه وغزواته بالظلم والجور، وإنما عاملهم بهذا المنهج القيِّم الرباني، قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾،[511] وهذا المنهج الرباني الذي سار عليه يدل على إيمانه وتقواه، وعلى فطنته وذكائه، وعلى عدله ورحمته؛ لأن الناس الذين قهرهم وفتح بلادهم، ليسوا على مستوً واحد، ولا على صفات واحدة، ولذلك لا يجوز أن يعاملوا جميعاً معاملة واحدة، فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم الصالح ومنهم الطالح، فهل يستوون في المعاملة؟ يقول ذو القرنين: أما الظالم الكافر فسوف نعذبه لظلمه وكفره، وهذا التعذيب عقوبة له، فنحن عادلون في تعذيبه في الدنيا، ثم مرده إلى خالقه، لينال عذابه الأخروي، إن الظالم والباغي الكافر في دستور ذي القرنين معذّب مرتين، مرة في الدنيا على يديه، والأخرى يوم القيامة حيث يعذبه الله عذاباً نكراً، أما المؤمن الصالح فإنه مقرب من ذي القرنين، يجزيه الجزاء الحسن، ويكافئه المكافأة الطيبة، ويخاطبه بيسر وسهولة وإشراق وبر ومودَّة،[512] ويتضح لنا من هذا أن ذا القرنين سار على ما أمر الله – تعالى– به، وتعامل مع الناس بشكل ما يستحقهم لأن الناس ليسوا على صفة، وإنما مختلف فيهم مؤمن وكافر فوضع للكافر التعذيب لأنهم مستحق للعذاب، ووضع للمؤمن الجزاء الحسن لأنهم مستحق له.

سار ذو القرنين في الأرض حتى إذا وصل إلى نهاية الأرض من جهة مغرب الشمس رآها كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغرب الشمس قومًا كفارًا، قال الله –تعالى– على سبيل التخيير: يا صاحب القرنين، إما أن تُعَذِّب هؤلاء بالقتل أو بغيره، وإما أن تُحْسِن إليهم، قال ذو القرنين: أما من أشرك بالله، وأصرَّ على ذلك بعد دعوتنا له إلى عبادة الله فسنعاقبه بالقتل في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه يوم القيامة فيعذبه عذابًا شديدا، وأما من آمن

---

510 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2229.

511 الكهف 18/ 87– 88.

512 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص 188– 187، والخالدي، الدكتور صلاح، *مع قصص السابقين في القرآن*، ط: الخامسة، دار القلم، بيروت، 2007م، 2/ 330– 331.

منهم بالله وعمل عملًا صالحًا فله الجنة، جزاءً من ربه على إيمانه وعمله الصالح، وسنقول له من أمرنا ما فيه رفق ولين،[513] ويبدو في ما قلنا أن الله –تعالى– خير عبده الصالح ذا القرنين بين خيارين فاختار العقاب لأعداء الله –تعالى– والجزاء لأحبائه وأوليائه.

وجه اللَّه –تعالى– عبده الصالح العادل ذا القرنين إلى هؤلاء الأقوام والأمم والشعوب، كما وجهه إلى المغرب، لينشر العدل والأمان والاطمئنان فيهم، وإن هذا التوجه، يكون منه ما كان أولا، ويتحمل المتاعب، والمشقة، والجهد، ولذلك قال تعالى:﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾،[514] الإشارة إلى ما كان منه أولا من إقامة العدل، ووضع الموازين العادلة بينهما، والتشبيه هو بين ما قام أولا في المغرب وبين ما يقوم الآن، أو ما يجب أن يقوم به الآن في المشرق، أي أنه بمقتضى ما وهبه اللَّه –تعالى– من مواهب القوة والقدرة على التنفيذ والشعور بالعدالة الواجبة، ووضع موازين قد كلفه مرة ثانية في المشرق أن يصلح ويدفع الفساد في المشرق، كما أصلح في المغرب، وهكذا يهب اللَّه البشرية في بعض الأزمان رجلا صالحا ينشر العدل والإصلاح ويمنع الفساد، وفي بعض الأزمان يختبر اللَّه –تعالى– الناس، ليظهر الخبيث من الطيب ببعض رجال الفساد أو دول الفساد يسيطر، فيضل ويفسد كما نرى في عصرنا –ولا حول ولا قوة إلا باللَّه تعالى–، فأنت ترى أن ذا القرنين قد رد بما يدل على أنه قد اتبع في حكمه الطريق القويم، والأسلوب الحكيم، الذي يدل على قوة الإيمان، وصدق اليقين، وطهارة النفس، إنه بالنسبة للظالمين، يعذب، ويقتص، ويرهب النفوس المنحرفة، حتى تعود إلى رشدها، وتقف عند حدودها، وبالنسبة للمؤمنين الصالحين، يقابل إحسانهم بإحسان، وصلاحهم بصلاح، واستقامتهم بالتكريم والقول الطيب، والجزاء الحسن، وهكذا الحاكم الصالح في كل زمان ومكان: الظالمون والمعتدون يجدون منه كل شدة تردعهم وتزجرهم وتوقفهم عند حدودهم، والمؤمنون والمصلحون يجدون منه كل تكريم وإحسان واحترام وقول طيب،[515] وجه الله– تعالى– ذا القرنين في ذلك الزمان إلى الناس لأنه متصف بصفات أهل الحكم والسلطنة ويضع الموازين بالقسط، ويدفع الفساد ويفرق بين الصالح والطالح، ويفرق بين الخبيث والطيب، ويعلم كيف تستقيم الحياة على ظهر هذه الأرض.

---

513 جماعة من علماء التفسير، *المختصر في تفسير القرآن الكريم*، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط: الثالثة، 1436 هـ، 3/ 303.

514 الكهف 91/18.

515 طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 8/ 572، وأبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 9/ 4583-4588.

إن الله –تعالى– أوجب العقوبة الدنيوية على من ارتكب الفساد في المجتمع، وكلف أهل الإيمان ممن مكن لهم في الأرض أن يحرصوا على تنفيذ العقوبات للمفسدين والمعتدين، لكي تستقيم الحياة الدنيا، إن ذا القرنين يقدم لكل مسئول أو حاكم أو قائد منهجاً أساسياً، وطريقة عملية، لتربية الشعوب على الاستقامة، والسعي بها نحو العمل، لتحقيق العبودية الكاملة لله–تعالى–،[516] وهذا هو دستور الحاكم العادل، الذي يعطي الكرامة والتيسر للمؤمن والجزاء والوافر، وينتقم من الظالم ويصب عليه العقوبة له في الدنيا.

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحوافز المشجعات هدية للمحسن؛ ليزداد في إحسانه، وتفجر طاقة الخير العاملة على زيادة الإحسان، وتشعره بالاحترام والتقدير، وتأخذ على يد المسيء لتضرب على يده، حتى يترك الإساءة وتعمل على توسيع دوائر الخير والإحسان في أوساط المجتمع، وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حد، وفق قانون الثواب والعقاب المستمد من الواحد الديان،[517] فإذا وجد المؤمن المحسن جزاءهُ في الجماعة يجد في نفسه التشجيع ليزداد في إحسانه وعمله، وعندما يرى المسيء العقوبة تنزل على غيره من المسئين يشعر بالضيق والحرج في الجماعة حتى يترك الإساءة والشر.

2. 8. 3. أهمية العلوم في إحياء الشعوب

الحكم والسلطان والتمكين في الأرض ينبغي أن يستعمل ويسخر لتنفيذ وإثبات شرع الله– تعالى– في الأرض، وتيسير الأمور على المؤمنين الصالحين المحسنين، وتضييق الخناق على الظالمين، ومنع فساد الفاسدين وظلم الظالمين، وحماية الضعفاء والفقراء من بطش المفسدين، الرجال الأقوياء لديهم الخبرات الفنية في الجوانب العمرانية والاقتصادية والعسكرية ، الذين كانوا طوع بنان ذي القرنين.

أعطاه الله –تعالى– لعبده الصالح، العلوم والمعرفة المختلفة لإحياء الأمم والشعوب بها، قال تعالى:﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾،[518] إنه شخص مكن له رب السماوات والأرض الخالق المدبر المتصرف في شؤون الكون، رب العزة والجبروت، مكن له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، وينصرف ذهن السامع أو القارئ إلى وجوه التمكين له في

---

516 الصلابي، *تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم*، ط: الأولى، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، 1422 هـ–2001 م، ص 142.

517 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص 189.

518 الكهف 18/ 84.

الأرض، مكن له في العلوم والمعرفة، واستقراء سنن الأمم والشعوب صعوداً وهبوطاً، ومكن له في سياسة النفوس أفراداً وجماعات تهذيباً وتربية وانتظاماً، ومكن له في أسباب القوة من الأسلحة والجيوش وأسباب القوة والمنعة والظفر، ومكن له في أسباب العمران وتخطيط المدن وشق القنوات وإنماء الزراعة،[519] وجد ذو القرنين من قبل خالقه كل ما يحتاجه من حكمه وسلطته من القوة، والعلوم، والمعرفة، والسياسة في تنظيم الشعوب وإحيائها، حتى مكن الله – تعالى– الخبرة في العمران وتخطيط الأمصار وإنماء الزراعة، ونلاحظ من خلال الآيات أن ذا القرنين وظَّف علوماً عدة في دولته القوية ومن أهم هذه العلوم:

1.علم الجغرافيا: حيث نجد أن ذا القرنين كان على علم بتقسيمات الأرض، وفجاجها وسبلها، ووديانها وجبالها، وسهولها، لذلك استطاع أن يوظف هذا العلم في حركته مع جيوشه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ولا يخلو الأمر أن يكون في جيشه متخصص في هذا المجال،[520] وأن ذا القرنين لديه علوم بحسب تقسيمات الأرض، واستخدم هذا العلم لخدمة البشر في أنحاء العالم، وعلم الجغرافيا يعد من أحد أسباب الحكم والسلطة، وله أهميته للحاكم أن يكون لديه هذا العلم، أو يستعين بأهل الخبرة في هذا المجال.

2. علم الهندسة والإنشاء: كان ذو القرنين صاحب خبرة ودراية بمختلف العلوم المتاحة في عصره، يدل على ذلك حسن اختياره للخامات، ومعرفته بخواصها، وإجادته لاستعمالها والاستفادة منها، فقد استعمل المعادن على أحسن ما خلقت له، ووظف الإمكانات على خير ما اتيح له، قال تعالى:﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾،[521] أمرهم ذو القرنين بأن يؤتوه بقطع الحديد الضخمة، فآتوه إياها، فأخذ يبني شيئاً فشيئاً حتى جعل ما بين جانبي الجبلين من البنيان مساوياً لهما في العلو، ثم قال للعمال: انفخوا بالكير في القطع الحديدية الموضوعة بين الصدفين حتي ينصهر وبعدها يصب عليه القطر وهو النحاس المذاب ليزاد صلابة وتماسكا،[522] فلما تم ذلك وصارت النار عظيمة، قال للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة وغيرها: آتوني نحاساً مذاباً أفرغه عليه، فيصير مضاعف القوة والصلابة، وهي طريقة استخدمت حديثاً في تقوية الحديد، فوجد أن

519 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص 189.

520 الصلابي، *الإيمان بالقدر*، ص 190.

521 الكهف 18/ 96.

522 الآلوسي، *روح المعاني*، 16/ 40.

إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعف مقاومته وصلابته،[523] ولو كانت النار قوية، ولكن يرى ذو القرنين أن قوتها تكون أكثر إذا يذاب النحاس عليها، لذا أمر باتيانه ليذاب عليها يكون مقاومته أكثر، فقد أوتي ذو القرنين الخبرة في ما يحتاجه من العلوم في أمور الحكم، والسلطة.

3. كان ذو القرنين واقعياً في قياسه للأمور وتدبيره لها، فقد قدّر حجم الخطر، وقدّر ما يحتاج إليه من علاج، فلم يجعل السور من الحجارة، فضلاً عن الطين واللبن، حتى لا يعود منهاراً لأدنى عارض، أو في أول هجوم، ولهذا باءت محاولات القوم المفسدين بالفشل، عندما حاولوا التغلب على ما قهرهم به ذو القرنين:﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾،[524] لم يتمكنوا من اعتلائه لارتفاعه وملامسته، وما استطاعوا أن يثقبوه لصلابته وثخانته،[525] فالحاكم يجب عليه أن يكون واقعياً عند تدبيره أمور الناس وشؤون حياتهم، كما كان ذو القرنين حاكماً عادلاً واقعياً في شؤون الناس، لذا حكم شرقاً وغرباً، لقد كان ذو القرنين على علم بأخبار الغيب التي جاءت بها الشرائع، ومع ذلك لم يتخذ من الأقدار تكئة لتبرير القعود والهوان، فقد بنى السد، وبذل فيه الجهد، مع علمه بأن له أجلاً سوف ينهدم فيه لا يعلمه إلا الله –تعالى–،[526] وكذلك خضعت الأقاليم له وفتحت الخزائن أمامه وقدمت الشعوب الخراج والضرائب له طواعية رغبة لا رهبة، كل ذلك لم يدخل في نفسه الغرور والبطر والطيش والغواية، بل بقي مثال الرجل المؤمن العفيف المترفع عن زينة الحياة الدنيا.

2. 8. 4. الخروج لدفع الفساد وإعلاء كلمة الله في الأرض

ويستفاد –كذلك– من خروج ذي القرنين من وطنه وبلده وسعيه في الأرض، لنشر العدل والحق، ونفي الكفر، وأتباعه، وأشياعه، أنه يجب على الحكام وأمراء المسلمين أن يذهبوا يخرجوا إلى كل بقعة يمكنهم الوصول إليه لتبليغ الناس وتعليمهم الأحكام السلامية، الحاكم العادل الصالح يسعى إلى دفع الفساد وقمعه، وإعلاء كلمة الله في الأرض، فلا يكتفي بدفعه من بلده فقط مادام يستطيع الخروج إلى خارجه، كما فعله ذو القرنين سعى غربا وشرقا للقضاء على الفساد في الأرض، وإعلاء كلمة الله فيها.

---

523 الشوكاني، *فتح القدير*، 313/3.

524 الكهف 18/ 97.

525 الشوكاني، *فتح القدير*، 313/3.

526 الصلابي، *تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم*، ص 144.

وجه اللَّه –تعالى– ذا القرنين إلى هؤلاء الأقوام، كما وجهه إلى المغرب، لينشر العدل والأمان والاطمئنان فيهم، وإن هذا التوجيه، يكون منه ما كان أولا، ويحمل متاعب، ولذلك قال تعالى:﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾،[527] الإشارة إلى ما كان منه أولا من إقامة العدل، ووضع الموازين العادلة بينهما، والتشبيه هو بين ما قام أولا في المغرب وبين ما يقوم الآن أو ما يجب أن يقوم به الآن في المشرق، أي أنه بمقتضى ما وهبه اللَّه –تعالى– من مواهب القوة والقدرة على التنفيذ والشعور بالعدالة الواجبة، ووضع موازين قد كلفه مرة ثانية في المشرق أن يصلح ويدفع الفساد في المشرق، كما أصلح في المغرب، وهكذا يهب اللَّه–تعالى– البشرية في بعض الأزمان رجلاً صالحاً ينشر العدل والإصلاح ويمنع الفساد، وفي بعض الأزمان يختبر اللَّه –تعالى– الناس، ليظهر الخبيث من الطيب ببعض رجال الفساد أو دول الفساد يسيطر، فيضل ويفسد كما نرى في عصرنا– ولا حول ولا قوة إلا باللَّه تعالى–، ولكن في ذاك العصر ذا القرنين العادل وجد أن من قوانين الحكم العادل أن يقوم بالإصلاح ودفع الفساد من غير أجر يدفع، بل إن عمل الخير ضريبة الحكم الصالح،[528] ولذا قال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾،[529] ومتى كان الحاكم عادلاً يستريح كل الناس الذين تحت حكمه، كما كان ذو القرنين كان عادلاً استراح كل الناس في المشارق والمغارب.

ومن هنا كانت الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بالله–تعالى– تغلب في النهاية وتنتصر، ذلك أنها تمثل إرادة الله–تعالى– العليا في دفع الفساد عن الأرض، وتمكين الصلاح في الحياة، إنها تنتصر، لأنها تمثل غاية عليا تستحق الانتصار،[530] والمؤمنون الأقوياء ليس شرطاً أن يكونوا كثيراً من جهة العدد إذا كانوا ثبتوا على إيمانهم وتوكلوا على الله–تعالى– ينتصرون على الأعداء مثلما حدث للمسلمين في غزوة بدر فقد كانوا قليلاً في العدد ولكن إيمانهم عظيماً فنصرهم الله على الكفار.

إن الله –تعالى– جعل رحمته للناس جميعاً في الدنيا حتى إنها تشمل أعدائه من الكفار ،فإن النعمة التي أنعم الله–تعالى– بها على خلقه من دفع الفساد ينْعم بها المؤمنون والمشركون، والأشرار والأبرار، لأن الفساد إذا عم لا يسلم منه أحد، والخير إذا تحقق عمّ الجميع، ولقد

---

527 الكهف 18/ 91.

528 أبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 9/ 4583–4588.

529 الكهف 18/ 95.

530 قطب، *في ظلال القرآن*، 1/ 271، وأبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 2/ 913.

استنبط من هذا القصص عن ذي القرنين أنه لا يجوز للملك ما دام في قدرة وسعة أن يفرض ضرائب ترهق، إن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم، وسد فرجتهم، وإصلاح ثغورهم من أموالهم التي تفيء عليهم، وحقوقهم التي يجمعها في خزائنهم حتى لو أكلتها وأنفذتها المؤن، فكان عليهم جبر ذلك من أموالهم، وعليه حسن النظر وذلك بشروط ثلاثة:

الشرط الأول: ألا يستأثر عليهم بشيء.

والشرط الثاني: أن يبدأ بأهل الحاجة.

والشرط الثالث: أن يسوي في العطاء بين الرعية فلا يفضل أحدا على أحد.[531]

قال تعالى: ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، ولولا دفع الله-تعالى- بأهل الإيمان والأبرار والأتقياء عن الكفار والفجار، لفسدت الأرضُ، لهلكت بمن فيها، ولكن الله-تعالى- يدفع بالمؤمن والمسلمين عن الكافر والمشركين، وبالصالح عن الفاجر، قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم-: "إِنَّ اللَّهَ لَيَدْفَعُ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِائَةِ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْبَلَاءَ"،[532] ثم قرأ ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾، يعني إن دفع الفجار والفساد بهذا الطريق إنعام وأفضال عم الناس كلهم،[533] فلولا دفع الله-تعالى- بجيشه وعباده المخلصين المسلمين، الأشرار والأشقياء والكفار والمشركين، لغلب المشركون والكفار على الأرض، فيقتلوا المسلمين، ويخرِّبوا معابدهم وبلادهم.

وقد كان ذو القرنين صورة للحاكم المجاهد الذي يعمل لمصلحة من يحكمهم، يجلب الخير لهم، ويعمل ما يصلحهم، ويدفع الفساد والمفسدين، وقد دفعه، وترك يأجوج ومأجوج يفسدون فيما بينهم، ولقد قال تعالى بعد أن ذكر بناء الحاكم الصالح للسد، وإحكام بنيانه: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾،[534] الضمير في

531 القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، 11/ 55، وأبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 2/ 913.

532 الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، *المعجم الأوسط*، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، باب من اسمه علي، رقم الحديث 4080، 4/ 239.

533 الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، 1/ 186.

534 الكهف 18/ 99.

﴿بَعْضَهُمْ﴾، يعود إلى يأجوج ومأجوج، فانحصر شرهم، ولم يتعد فسادهم إلى غيرهم، فالجماعة الشريرة إذا لم يمكن إصلاحها يكون علاج الناس بالوقاية منها وإبعادهم عنها،[535] ولذا فإن الحاكم العادل المسلم إذا أوتي قوة كافية فعليه الخروج إلى الدول الغير المسلمة وإخضاعها إلى حكمه، إن هي رفضت الإسلام، فما ينبغي للكفار أن يحكموا ويتحكموا في رقاب الناس، لأن حكم الطواغيت في الأرض منكر عظيم، ومن واجب على الحاكم المسلم ودولته المسلمة دفع هذا المنكر.

2. 8. 5. الشكر على نعمة التمكين في الأرض

إن التمكين في الأرض نعمة يهبها الله-تعالى- لمن يشاء من عباده، وما أجمل وأحكم أن تختتم قصة ذي القرنين بقوله تعالى: ﴿قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي، فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.[536]

ويستفاد من قصة ذي القرنين شكره وحمده على ما أكرمه الله عليه من التمكين والقوة والمال والسلطان والقدرة، حيث نظر ذو القرنين إلى العمل الضخم الذي قام به، فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره نشوة القوة والعلم، ولكنه ذكر الله-تعالى- فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه، وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وفوض إليه الأمر، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحا أجرد مستويا،[537] ﴿قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي، فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ. وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾،[538] بعد أن فرغ ذو القرنين من بناء السد وإحكامه بحيث يمنع يأجوج ومأجوج من الخروج من ورائه، ليفسدوا في الأرض، قال مشيرا إلى السد: هذا أَثر رحمة عظيمة من ربي بعباده، حيث أقدرني على بنائه وإحكامه، وحمى به الناس من غزوات أولئك المفسدين المخربين، وما أنا إلا منفذ لمشيئة ربي ورحمته بعباده، ولولا ذلك لما استطعت بناءه، وقال ذو القرنين بعد إقامة السد المنيع الحصين، قال: ﴿هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي، فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ، وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾، قال ذو القرنين لأهل تلك الديار: هذا السد نعمة وأثر من آثار رحمة ربي بهؤلاء القوم أو بالناس، لحيلولته بين يأجوج ومأجوج وبين الفساد في الأرض، فإذا حل أجل ربي بخروجهم من وراء السد، جعله ربي

---

535 أبو زهرة، *زهرة التفاسير*، 9/ 4591.

536 طنطاوي، *التفسير الوسيط*، 8/ 575.

537 قطب، *في ظلال القرآن*، 4/ 2293.

538 الكهف 98/18.

مدكوكا منهدما، مستويا ملصقا بالأرض، وكان وعد ربي بخرابه وخروج يأجوج ومأجوج وبكل ما وعد به حقا ثابتا لا يتخلف، كائنا لا محالة، [539] وأن السير والدور في الأرض لإحقاق الحق وتبليغه، وإبطال الباطل وقمعه ونفيه، ويجب على ولاة أمر المسلمين تبليغ الحق ردع الظالمين عن ظلمهم، والإحسان مع المستقيمين، والعمل على ما يفعلهم يزدادون استقامةً وفضلاً، وأن من صفاتالإنسان الكريم، أن يعين الإنسان المحتاج إلى عونه، وأن يقدم له ما يبعدون عن الوقوع تحت وطأة الظالمين المفسدين وبغيهم وظلمهم.

وبعد أن وفق الله –تعالى–عبده الصالح ذا القرنين ذلك التوفيق: ﴿قالَ هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي، فَإِذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ. وَكانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾، [540] بعد أن عمل ذلك العمل الذي لا مثيل له في تاريخ البشر إلى عصر من عمله لم ينسبه إلى نفسه، بل جعله من ربه، والإشارة في ﴿هَذَا﴾، إلى أن البناء وتدبيره، ومادته، ليس من قدرة الإنسان، إنما هو من توفيق الديان، إنه من رحمة اللَّه–تعالى– بعباده، لأن من رحمته تعالت قدرته أن الفساد وأهله يُدفع بأهل الخير والصلاح ﴿... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [541]، ولم ينس اليوم الآخر، والبعث فجعل الحد لزمانه هو يوم البعث، فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، يَتَدكْدَك ويجعله أرضا مستوية، لَا علو فيها، ولو كان من حديد ونحاس، ثم أكد البعث فقال: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ لَا يرتاب فيه عاقل،[542]

ويستفاد في خاتمة قصة ذي القرنين أنه يجب أن يُعلمَ أن التمكين في الأرض والحكم والسلطة وغيرها أن يحتسب رحمة من عند الله –تعالى–، لأن من أبرز صفات المؤمنين أنهم ينسبون كل فضل ونعم إلى الله –تعالى– وإلى قدرته النافذة، وأنهم يزدادون شكرا وحمدا له –تعالى– كلما زادهم من فضله، واللَّه –تعالى–أعلا وأعلم.

---

539 مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، *التفسير الوسيط مجمع البحوث*، 6/ 926، *والزحيلي، التفسير المنير*، 16/ 28.

540 الكهف 98/18.

541 البقرة 2/ 251.

542 أبو زهرة، *زهرة التفاسير*،9/ 4590.

3.الخــاتـمـة

بعد هذه التطوافة في بستان القرآن الماتع، والتفيؤ تحت ظلاله، والبحث في أعماق أسراره، من خلال الرسالة المسماة بـ"الدروس المستفادة من قصص سورة الكهف دراسة موضوعية" والبحث العلمي في جوانبها ومباحثها المختلفة؛ لقد توصل الباحث إلى أهم النتائج والمقترحات وهي كما يأتي:

1. إن سورة الكهف لها اسمان، سورة الكهف، وسورة أصحاب الكهف، وهي إحدى السور الخمس المفتحة بالحمد للَّهِ، وقد وردت في فضائل هذه السورة الكريمة أحاديث وآثار كثيرة، وإن السّورة مكيّة بالاتِّفاق، وعدد آياتها مائة وعشر عند الكوفيين، وست عند الشَّاميّين، وخمس عند الحجازيّين، وإحدى عشرة عند البصريّين.

2. القصص الوارد في سورة الكهف أربع قصص: قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى –عليه السلام– مع الخضر، وقصة أصحاب الجنتين، وقصة ذي القرنين، وكل قصة من القصص الواردة في هذه السورة لها أهداف، وأسباب، مع دروس وعبر من القصص.

3. إن الزمان الذي عاش فيه أصحاب الكهف زمن قد ضعف فيه الإيمان فأنكر أكثر الناس البعث والمعاد، واختفت من أذهان بعض المسلمين، وفشت الوثنية، وتعددت الآلهة ولكن أصحاب الكهف ضحوا بأنفسهم، وهم فتية في مرحلة الشباب، قد فروا من عبادة الأوثان إلى التوحيد الله والعقيدة الصحيحة، وأن هؤلاء الشباب –أصحاب الكهف– كانوا تحت رعاية الله –تعالى– وقدرته، وأعانهم وحفظهم بفضله، فلولا رعايته؛ لهلكوا وقتلوا جميعاً، فهذا يدل على أهمية الشباب ودوره في نصر الإسلام.

4. قد جعل الله قصة أصحاب الكهف عبرةً لمن عاشوا في زمنهم والزمن الذي بعثهم الله –تعالى– بعد نوم طويل، وجعلها –أيضاً– عبرةً، لبيان قدرة الله –تعالى– وعظمته للخلق إلى يوم القيامة، ونبههم على المعاد والبعث والنشر، كما جعل الله هذه القصة عبرة لمن بعدهم.

5. عدم بيان عدد أصحاب الكهف في القصة، لأن المقصود منها ليس تعيين عدد الحاملين لهذه الدعوة العظيمة، وإنما المقصود بقيامهم لعظيم شعائر الله، وإن كانوا فئة قليلة،لأن العبرة بالمضمون وليس بالعدد، لأن أصحاب الكهف قد فروا من الوطن، وهجروا الظلم، وضحوا بحياتهم في سبيل نشر وتبليغ دين الله– تعالى–.

6. إن قصة صاحب الجنتين: تقص حياة رجلين من بني إسرائيل، أحدهما: قد ابتلاه الله –تعالى– بالفقر، لكنه كان رجلاً مؤمناً بالله–تعالى–، أما الآخر:أعطاه الله –تعالى– مالا كثيرا فصار من أشهر الأغنياء، ولكنه كفر بالله ولم يرضى بنعم الله ولم ينجح في اختبار الله له، بينما نجح أخوه الفقير الشاكر؛ إذ العبرة ليست بكثرة المال والعرض، إنما بقوة الإيمان وكثرة الصالح من العمل .

7. وإن قصة أصحاب الجنتين لها من الأهمية الكبيرة، والعبرة البليغة، بأن النعم والملذات ابتلاء من الله –تعالى– لعباده، فلا بد أن ينسب المؤمن كل النعم إلى ذات الله –تعالى–، كما يذّكرنا الله ويحذّرنا بقصة صاحب الجنتين حيث إنه كفر بأنعم الله –تعالى– حيث أسند النعمة إلى نفسه، وفيها تهديد لمن كفر بالنعم، وعبرة وعظة لمن لم يعتبر بها.

8. قصة موسى –عليه السلام– مع الخضر، من القصص التي وضحت منهج الأنبياء، ومسلكهم في طرق طلب العلم، ورحلتهم إليه، فطلبهم للعلم، رحلة طويلة مليئة بالعناء والمشقة، والعزيمة والإصرار، وإن القصة من روائع القصص القرآنية، بما احتوتها من غرائب الأخبار، وعجائب الأمور، وبرز فيها جليا علم الله المسبق لكل الحوادث.

9. إن الأفعال الثلاثة التي رآها موسى –عليه السلام– من الخضر متباينة وخارقة للعادة، من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبنيان هذا الجدار بعد خرابها.

10. يجب على العلماء البعد عن العُجب بعلمهم وأنفسهم، وأن يرحلوا لزيادة وطلب العلم، واغتنام لقاء الفضلاء والعلماء، وإن صارت مشقة عليهم، كما رأينا في قصة النبي موسى –عليه السلام– والخضر.

11. بيّن الباحث بأنّ هناك نوعين من العلم: العلم اللدنّي الذي وكّله الله –تعالى– للخضر وسخره له، حيث لا تعطي ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها، والعلم المكتسب الظاهري على أقوال وأفعال الناس، أو العلم الظاهري والخفي.

12. قصة ذي القرنين من القصص القرآنية الجامعة بين العلم والعمل، والحكم والعدالة، والقول والفعل، وكثير من الأمور الدنيوية الأخرى، ولقد امتن الله على ذي القرنين بالتمكين في الأرض وأعطاه الله من كل شي سببا، وعلمه الله –تعالى– من علم الجغرافيا، واستعمال المعادن على أحسن ما خلقت له، كما تكلم القرآن الكريم عن رحلاته، من النهاية إلى مغرب الشمس، ورحلة المشرق.

13. إن نشر العدالة واكتسابها من الدّيانة السماوية هو أهم شيء في حياة الإنسان، حيث هو الوسيلة الوحيدة للرخاء والسعادة للبشر، كما قام بهذه المهمة ذو القرنين مع الناس على مختلف الأجناس والأوطان.

14.على الإنسان الأخذ بالأسباب في كل أموره على مستوى العقل وقوته، بما يكتسبه من العلم والمعرفة حتى يتوصل بها إلى نتائج إيجابية، مثل قيام أصحاب ذي القرنين بالسدّ على يأجوج ومأجوج في زمنهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



4. المراجع

القرآن الكريم

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، (ت: 327هـ-)، *تفسير القرآن العظيم لإبن أبي حاتم*، تح: أسعد محمد الطيب، ط: الثالثة، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، 1419 هـ.

ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري، المالكي، (ت: 399هـ)، *تفسير القرآن العزيز*، تح: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ط: الأولى، الفاروق الحديثة، القاهرة، 1423هـ- 2002م.

ابن الدبيثي، أبو عبد الله محمد بن سعيد، (ت: 637هـ)، *ذيل تاريخ مدينة السلام*، تح: الدكتور بشار عواد معروف، ط: الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1427 هـ - 2006 م.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي، (ت: 543هـ-)، *أحكام القرآن*، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ-2003 م.

ابن المستوفي الإربلي، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي، (ت:637هـ- 1239 م)، *تاريخ أربيل*، المحقق: سامي بن سيد خماس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام النشر 1980م.

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (ت: 1420هـ-1999م)، حكم *الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض*، ط: السابعة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد الأول، رجب، 1394هـ.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، (ت: 230هـ)، *الطبقات الكبرى*، تح:عبد العزيز عبد الله السلومي، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، 1416 هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، (ت: 1393 م)، *التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984مـ.

ابن عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، (ت: 1206هـ)، مجموعة *رسائل في التوحيد والإيمان*، تح: إسماعيل بن محمد الأنصاري، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي، (ت: 1224هـ–1809م)، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، ت: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الدينوري،(ت: 276هـ– 889م)، *غريب القرآن لابن قتيبة*، تح: سعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، *مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة*، دار الكتب العلمية، بيروت.

--------، *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*، ط: الأولى، دار المعرفة، بيروت،1398هـ، 1978م.

---------، *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ– 1992 م.

---------، *زاد المسير في علم التفسير*، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي – بيروت– 1422 هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، *البداية والنهاية*، تح: علي شيري، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408، هـ– 1988 م.

---------، *تفسير القرآن العظيم*، تح: سامي بن محمد سلامة، ط : الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1420هـ – 1999 م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: 273هـ)، *سنن ابن ماجه*، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت: 804 هـ) *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، ط: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقى،(ت: 711هـ)، *لسان العرب*، ط: الثالثة، دار صادر، بيروت، 1414 هـ.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، (ت: 745هـ–1344م)، *المحيط في التفسير*، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 142 هـ.

أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، (ت: 275هـ)، *سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل*، تح: محمد علي قاسم العمري، ط: الأولى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1403هـ- 1983م.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (ت: 1394هـ)، *زهرة التفاسير*، دار الفكر العربي، بيروت.

--------، *المعجزة الكبرى القرآن*، دار الفكر العربي، بيروت.

أحمد ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت: 241هـ)، *مسند الإمام أحمد*، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، ط: الأولى، دار مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ- 2001م.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي،(ت: 370هـ)، *تهذيب اللغة*، تح: محمد عوض مرعب، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (ت: 1270هـ- 1854م)، *روح المعاني*، تح: علي عبد الباري عطية، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ.

البجاوي وزملاؤه، علي محمد البجاوي، ومحمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، *قصص العرب*، ط: الرابعة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1382 هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل إبراهيم بن المغيرة، أبو عبدالله الجعفي، (ت: 256هـ- 870م)، *الجامع الصحيح البخاري*، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: الأولى، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ.

--------، *التاريخ الكبير*، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم، (ت: 1420)، *شرح العقيدة الطحاوية*، ط: الثانية، دار التدمرية، الرياض، 1429 هـ- 2008 م.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب، (ت: 463هـ- 1072م)، *تاريخ بغداد*، تح: بشار عواد معروف، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ- 2002 م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت:510هـ)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تح: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، ط: الرابعة دار طيبة، الرياض، 1417 هـ- 1997م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر،(ت: 885هـ)، *مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور*، ط: الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، 1408 هـ-1987 م.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (ت: 685هـ)، *تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418 هـ.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت: 458هـ)، *شعب الإيمان*، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، 1423 هـ-2003 م.

---------، *السنن الصغرى*، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: الأولى، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، 1410هـ - 1989م.

التركي، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن، (ت: 1359 هـ)، *مجمل اعتقاد أئمة السلف*، ط: الثانية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1417هـ.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (ت: 279هـ)، *سنن الترمذي*، تح: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط: الثانية، دار: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1395 هـ - 1975م.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (ت: 875هـ)، *تفسير الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: الأولى، دار إحياء التراث، بيروت، 1418 هـ.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق، (ت: 427هـ)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تح: الإمام أبو محمد بن عاشور، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1422 هـ- 2002 م.

جبريل، حياة بنت محمد، *الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة*، ط: الأولى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1423هـ-2002م.

الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، *الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله*، ط: الأولى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1424هـ-2003م.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر، *أيسر التفاسير*، ط: الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1424هـ-2003م.

جماعة من علماء التفسير، *المختصر في تفسير القرآن الكريم*، ط: الثالثة، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية،، 1436 هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، (ت: 393هـ)، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1407 هـ - 1987 م.

الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، (ت: 405هـ)، *المستدرك على الصحيحين للحاكم*، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ-1990م.

حبيب، حورية، *أساليب الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم سورة الكهف نموذجا*، ط: الأولى، دار قرطبة، الجزائر، 1428هـ-2008م.

الحميرى، نشوان بن سعيد اليمني، (ت: 573هـ)، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تح: حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، ط: الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1420 هـ- 1999 م.

حوّى، سعيد بن محمد ديب بن محمود حوَّى النعيمي:(ت: 1409هـ)، *الأساس في التفسير*، ط: السادسة، دار السلام، القاهرة، 1424 هـ.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (ت: 741هـ)، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تح: محمد علي شاهين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ.

الخالدي، صلاح، *مع قصص السابقين في القرآن*، ط: الخامسة، دار القلم، دمشق، 2007م.

الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت:1390هـ)، *التفسير القرآني للقرآن*، ط: الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة.

--------، *القصص القُرْآني في منطوقه ومفهومه – دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف*، دار المعرفة، بيروت، 1395هـ، 1975م، ص 40.
--------، *القصص القرآني من الواقع المنظور وغير المنظور*، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، المولى أبو الفداء، (ت: 1127هـ)، *روح البيان*، دار الفكر، بيروت.
الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري الفراهيدي، (ت: 170هـ)، *العين*، تح: مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة .
الدُّبيان، أبو عمر دبيان بن محمد، *موسوعة أحكام الطهارة*، ط: الثانية، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، 1426 هـ، 2005 م.
الدسوقى، رمضان مصطفى،(ت: 1433هـ)، *جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"*، الناشر: رسالة دكتوراة محفوظة بمكتبة كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، فرع المنصورة.
الدوسري، منيرة محمد ناصر، *أسماء سور القرآن وفضائلها*، ط: الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، 1426هـ.
الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، *شرح تفسير ابن كثير*، مصدر الكتاب: قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، www.islamweb.ne.
الراغب، عبد السلام أحمد، *وظيفة الصورة الفنية في القرآن*، ط: الأولى، دار: *فصلت للدراسات*، والترجمة والنشر، حلب، 1422 هـ – 2001.
الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله، (ت: 236هـ)، *نسب قريش*، تح: ليفي بروفنسال، ط: الثالثة، الناشر: دار المعارف، القاهرة.
الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، (ت: 311هـ)، *معاني القرآن وإعرابه*، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: الأولى، الناشر: عالم الكتب، بيروت، 1408 هـ، 1988 م.
الزحيلي، وهبة بن مصطفى، *التفسير المنير*، ط: الثانية، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418 هـ.
--------، *التفسير الوسيط*، ط: الأولى، دار الفكر، دمشق، 1422 هـ.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر،(ت: 794هـ)، *البرهان في علوم القرآن،* تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1376 هـ- 1957 م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي، (ت: 1396هـ)، *الأعلام*، ط: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، 2002 م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، (ت: 538هـ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط: الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ.

--------، *أساس البلاغة*، تح: عَبْد الرحيم محمود، مطبعة أورفاند بالقاهرة. ط: 1، 1953 م.

زيدان، عبد الكريم، *المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة*، ط: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت،: 1419هـ- 1998م.

سعاد، معروف، *القيم التربوية في قصص سورة الكهف -دراسة تحليلية مقاصدية*، رسالة ماجستير، السنة الجامعية 1434-1435هـ، 2013-2014م.

السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصربن حمد،(ت: 1376هـ)، *تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن*، ط: الأولى، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1422هـ.

--------، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،* تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ-2000 م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، (ت: 373هـ)، *بحر العلوم،* تح: محمود مطرجي، الناشر: دار الفكر، بيروت.

السويدان، فهد بن عبد الرحمن، *الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف،* رسالة ماجستير، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة إمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1403 هـ.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (ت: 911هـ)، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور،* دار الفكر، بيروت.

--------، *لباب النقول في أسباب النزول*، تح: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (ت: 204هـ)، *تفسير الإمام الشافعي*، تح: أحمد بن مصطفى الفرَّان، ط:الأولى، دار التدمرية، الرياض، 1427- 2006 م.

الشبل، علي بن عبد العزيز بن علي، *الإثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب*، ط:الأولى، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1423هـ-2002م.

الشحود، علي بن نايف، *أركان الإيمان*، ط: الرابعة، مزيدة ومنقحة، بدون مكان ط، 1431هـ - 2010 م.

الشعراوي، محمد متولي، (ت: 1418هـ)، *خواطر حول القرآن*، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1999م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، (ت: 1250هـ)، *فتح القدير*، ط:الأولى، دار ابن كثير، بيروت،1414 هـ.

الصابوني، محمد علي، *صفوة التفاسير*، ط:الأولى، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1417 هـ- 1997 م.

--------، مختصر *تفسير ابن كثير*، ط:السابعة، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402 هـ- 1981 م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت: 764هـ)، *الوافي بالوفيات*، تح: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، بدون ط، 1420هـ-2000م.

الصلابي، علي محمد محمد، *الإيمان باليوم الآخر*، ط:الأولى، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

----------، *تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم*، ط:الأولى، الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، 1422 هـ- 2001 م.

الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس، (ت: 1359هـ)، *العقائد الإسلامية*، رواية: محمد الصالح رمضان، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط: الثانية.

ضليمي، أحمد بن عبد الفتاح، *السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم*، ط السنة الثالث والثلاثون، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد ط: 111، 1421هـ -2001م.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت: 360هـ)، *المعجم الأوسط*، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: الأولى، دار الحرمين، القاهرة.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت: 310هـ)، *جامع البيان*، تح: أحمد محمد شاكر ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت 1420 هـ - 2000 م.

طنطاوي، محمد سيد،(ت: 1431هـ)، *التفسير الوسيط*، ط: الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، *الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة*، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، ط: السنة 11، العدد 4، 1418هـ-1998م.

عبد الرزاق بن، *تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي*، ط: الأولى، الناشر: غراس للنشر والتوزيع، الرياض، 1424هـ-2003م.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421 هـ) شرح العقيدة الواسطية، تح: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: السادسة، 1421 هـ.

----------، *الضياء اللامع من الخطب الجوامع*، ط: الأولى، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، 1408هـ - 1988م.

----------، *تفسير العثيمين: الكهف*، ط: الأولى، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، 1423 هـ.

----------، *شرح الثلاثة الأصول*، ط: الرابعة عشر، دار الثريا للنشر، الرياض، 1424هـ، 2004م.

----------، *فتح رب البرية بتلخيص الحموية*، دار الوطن للنشر، الرياض.

----------، *رسالة في القضاء والقدر*، دار الوطن، الرياض، 1423هـ.

العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، (ت: 660هـ)، *قواعد الأحكام*، تح: طه عبد الرؤوف سعد، ط: الأولى، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1414 هـ- 1991 م.

العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمني الشافعي، (ت: 558هـ)، *الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار*،تح: سعود بن عبد العزيز الخلف، ط: الثالثة، الناشر: أضواء السلف، الرياض، 1419هـ-1999م.

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، خطيب الري،(ت: 606هـ)، *مفاتيح الغيب*، ط: الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ.

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، *الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك و الإلحاد*، ط:الرابعة، دار ابن الجوزي، الرياض، 1420هـ- 1999م.

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت:817هـ)، *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، تح: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1/ 297.

الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط: الثامنة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426 هـ- 2005 م.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، (ت: 1332هـ- 1914 م)، *محاسن التأويل*، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ.

القاضي، محمد أحمد كنعان، *أزمات الشباب أسباب وحلول*، دار البشائر، بيروت، لبنان، 1990 م.

القحطاني، الشيخ سعيد عامر بن وهب، *شرح الدعاء من الكتاب والسنة*، شرحه: ماهر بن عبد الحميد بن مقدم، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، (ت: 671هـ)، *الجامع لأحكام القرآن*، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ- 1964 م.

القرني، عائض بن عبد الله، *المسك والعنبر في خطب المنبر*، الناشر، ط: الثالثة، العبيكان، الرياض، 1425هـ.

القسطلاني، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، (ت: 923هـ)، *شرح القسطلاني إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، 1323 هـ.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت: 465هـ)، *لطائف الإشارات*، تح: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428- 2007.

القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المصري، (ت: 454هـ)، *مسند الشهاب*، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: الثانية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407- 1986.

قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، *في ظلال القرآن*، ط: السابعة عشر، دار الشروق، القاهرة، 1412 هـ.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، (ت: 1307هـ)، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المَكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، بيروت: 1412 هـ- 1992 م.

الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين، (ت: 786هـ- 1384 م)، *الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري*، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1401هـ- 1981م.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، (ت: 333هـ)، *تأويلات أهل السنة*، تح: مجدي باسلوم، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426 هـ- 2005م.

المازني، محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله التميمي الحموي، جمال الدين، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تح: الدكتور جمال الدين الشيال، الدكتور حسنين محمد ربيع - الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية - المطبعة الأميرية، القاهرة - جمهورية مصر العربية، عام النشر: 1377 هـ - 1957 م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت:0 45هـ) *أدب الدنيا والدين*، دار مكتبة الحياة، القاهرة، 1986م.

---------، *تفسير الماوردي النكت والعيون*، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

المحاربي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، (ت: 542هـ- 1148 م)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422 هـ.

محمد خير، رمضان بن إسماعيل يوسف، *تكملة معجم المؤلفين*، ط: الأولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1418 هـ- 1997 م.

----------، *ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح*، ط: الأولى، دار القلم، بيروت، 1415هـ- 1994م.

المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 13هـ)، *تفسيرالمراغي*، ط: الأولى، مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، 1365 هـ - 1946 م.

المروزي، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، أبو سعد، (ت: 562هـ- 1167 م)، *التحبير في المعجم الكبير*،تح: منيرة ناجي سالم، ط: الأولى، الناشر: رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، 1395هـ- 1975م.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري، النيسابوري، (ت: 261هـ)، *الجامع الصحيح للإمام مسلم*، تح: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، ط الأولى، دار طيبة، القاهرة 1421هـ.

المشوخي، زياد بن عابد، *الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي*، ط: الأولى، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض،1434 هـ - 2013م.

مصطفى مسلم، *مباحث في التفسير الموضوعي*، ط: الأولى، دار القلم، بيروت، 1426هـ-2005م.

ملكاوي، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، *عقيدة التوحيد في القرآن الكريم*، مكتبة دار الزمان، الرياض، 1405هـ - 1985م.

مناهج جامعة المدينة العالمية، *التفسير الموضوعي*، الناشر: جامعة المدينة العالمية، بدون تاريخ النشر، وبدون ط.

الناصري، محمد المكي، (ت: 1414هـ)، *التيسير في أحاديث التفسير*، ط: الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405 هـ- 1985 م.

النجدي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي، (ت: 1376هـ- 1957 م)، *توفيق الرحمن في دروس القرآن*، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، ط: الأولى، دار العاصمة، الرياض، 1416 هـ -1996 م.

النخجواني، نعمة الله بن محمود، ويعرف بالشيخ علوان، (ت: 920هـ- 1514 م)، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، ط: الأولى، دار ركابي للنشر، القاهرة، 1419 هـ- 1999 م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: 303هـ- 915م)، *سنن الصغرى النسائي*، ط: الثانية، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406 هـ- 1986م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، (ت: 710هـ)، *تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، تح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط: الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ - 1998 م.

نواب الدين، عبد الرب نواب الدين، *وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار*، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، (ت: 850هـ)، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تح: الشيخ زكريا عميرات، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416 هـ.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي،(ت: 468هـ)، *أسباب النزول*، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: الثانية، الناشر: دار الإصلاح، الدمام، 1412 هـ - 1992 م.

----------، *التفسير الوسيط*، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى، 1415 هـ- 1994 م.

ياسين، حكمت بنت بشير، (ت: 1375هـ)، *الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور*، ط: الأولى، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة، المدينة النبوية، 1420 هـ- 1999 م.

5.الملـخص بالعربية

(رسالة ماجستير)

بازار غفور إبراهيم

جامعة يوزنجو ييل

معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية ـ فرع التفسير

2017 – أبريل

تناولت هذه الرسالة المسماة بـ"الدروس المستفادة من قصص سورة الكهف" موضوع الدروس التي نحن بصدده أي المستفادة من تلك القصص الواردة في سورة الكهف، وقد تحدث تطوراً كبيراً في جوانب مختلفة في حياة الإنسان إذا اعتصم الإنسان بتلك العبر والدروس التي وردت في هذه السورة، بحيث إذا طبق الناس هذه الدروس من السورة في حياتهم بنزاهة وإخلاص؛ لنالهم النصر والتمكين.

فكان الهدف الأسمى من هذه الرسالة أهمية الدعوة في سبيل الله، وقيام الإنسان بنشر الرسالة الإلهية من بين الناس.

تطرق الباحث في رسالته أولا: سبب اختيار الموضوع وأسبابه، وأهداف البحث ومنهجه، والتعريف بسورة الكهف، مع بيان أهم المسائل المتعلقة بها من تسمية سورة الكهف ووجه تسميتها، مع ذكر تمييز هذه السورة مع غيرها من السور القرآنية، وذلك من جهة أنها إحدى السور التي بدأت الحمد لله وتمجيده، والاعتراف بعظمة الله –تعالى– وغيرها من المميزات، وبيان فضائل السورة الكريمة استدلالاً بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة صلى الله عليه وسلم، مع ذكر أسباب النزول الواردة في السورة، وبيان عدد آيات السورة عند القراء، وذلك على القول المشهور من بين العلماء، واشتمل –أيضاً– هذا الفصل على تلك المواضع والمقاصد التي وردت في السورة التي ترتبط بالمحور الأساسي للبحث والعنصر الغالب في السورة، والقصص الواردة في سورة الكهف والدروس المستفادة منها، حيث بينت في الفصل نبذة تاريخية لقصة أصحاب الكهف من بداية أمرهم إلى ما بعد بعثهم من الكهف بقدرة الله –تعالى–، وذكر في

الفصل -أيضاً- أهم الدروس المستفادة من هذه القصة الغريبة والعجيبة، وبين الباحث في هذا الفصل -أيضاً حقيقة- قصة صاحب الجنتين حيث تدور هذه القصة حول رجلين: لأحدهما جنتين إلى آخره...، مع عدم ذكر زمن القصة ومكانها، مع بيان أهم الدروس المستفادة من هذه القصة، وذلك من أهمية القرآن إتيانه بالأمثال وفتنة المال والغرور بالدنيا وغيرها، وأيضاً قصة للنبي موسى -عليه السلام- مع الخضر، حيث توضح منهج الأنبياء، ومسلكهم في طلب العلم، حيث كونت القصة من أسباب اللقاء بين موسى عليه السلام والخضر، مع بيان الحوار الذي ورد من بينهما عن طريق العلم الظاهري والعلم اللدني، وتأديب الصحبة من بينهما، مع ذكر الحوادث التي أتى بها الخضر لنبي موسى عليه السلام حيث تنافت هذه الحوادث مع الحق في الظاهر، وبين الباحث -أيضاً- في هذا الفصل أهم الدروس المستفادة من هذه القصة العجيبة التي هي خارقة عن طبع الإنسان، وعن العادة التي جرت في الحوار بين نبي موسى -عليه السلام- والخضر، وذلك من رحلة العلم، لزيادة وطلب العلم، والإيمان بالعلم اللدنّي الذي يسخره الله سبحانه وتعالى لبعض عباده إذا شاء، ومن كيفية الحوار بين أهل العلم وغيرها من العبر والإفادة، وقصة ذي القرنين من القصص القرآنية الجامعة بين العلم والعمل، والحكم والعدالة، والقول والفعل، وكثير من الأمور الدنيوية الأخرى، ولقد امتن الله على ذي القرنين بالتمكين في الأرض وأعطاه الله من كل شي سببا، وعلمه الله -تعالى- من علم الجغرافيا، واستعمال المعادن على أحسن ما خلقت له، كما تكلم القرآن الكريم عن رحلاته، من النهاية إلى مغرب الشمس، ورحلة المشرق،وعلى الإنسان الأخذ بالأسباب في كل أموره على مستوى العقل وقوته، بما يكتسبه من العلم والمعرفة حتى يتوصل بها إلى نتائج إيجابية، مثل قيام أصحاب ذي القرنين بالسدّ على يأجوج ومأجوج في زمنهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. والله أعلم.

الكلمات المفتاحية:	**الكهف، القصة، أصحاب الكهف ، صاحب الجنتين، موسى- الخضر، ذوالقرنين.**
عدد الصفحات	**148+10**
المشرف	**أ.د.عبد الباقي كونش**

6. الملـخص بالتركية

Bazar Ghafor İBRAHİM

YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
Nisan 2017

KEHF SÛRESİNDEKİ KISSALARDAN ALINACAK DERSLER
(Yüksek Lisans)

ÖZET

"Kehf Sûresindeki Kıssalardan Alınacak Dersler" başlıklı bu çalışma, yaşam süresince çok ciddi ve samimi bir şekilde pratize edildiği zaman insan hayatının çeşitli yönleriyle en üst seviyeye ulaşmasını sağlayacak bir takım ilkeleri kapsamaktadır. Aynı şekilde bu kıssada geçen konulara samimi bir şekilde uyulması halinde Allah tarafından yardım ve emniyete nail olunacağı da vurgulanmıştır.

Çalışmanın esas olarak amaçladığı şey ise insanın ilahi mesajı bireyler arasında yayarak Allah yoluna davetin ne denli önemli olduğuyla beraber hakkın ortaya çıkartılıp batılın yok olması uğrunda can ve mal ile mücadelenin de o denli önem arz ettiğidir.

Çalışmamızın giriş kısmında, konunun hangi sebeplerden ötürü seçildiği, yapılan araştırmanın amacı ve yönteminin neler olduğu ve eksiksiz bir şekilde çalışma planına dair açıklamalar ele alınmıştır.

İkinci bölümde Kehf sûresinin tanımı; ismi ve neden bu isimle adlandırıldığı incelenmiş daha sonra sûrenin Allah'a hamd, övgü ve yüceliğini açıklayan sûrelerden biri olduğuna işaret edilerek onun diğer sûrelerden ayrılan yönleri irdelenmiştir. Keza bu bölümde Kur'an ve hadislerden doğrultusunda sûrenin faziletine, nüzûl sebebine ve Kurralara göre ayet sayısı ele alınmıştır. Ayrıca bu bölümde yapılan araştırmanın asıl amacı ve sûrenin temel öğeleriyle bağlantılı diğer konular da incelemeye tabi tutulmuştur.

Üçüncü bölümde ise Kehf suresinde geçen kıssalar ve onlardan çıkartılan hikmetler ele alınmıştır. İlk olarak Ashab-ı Kehfin mağarada –Allah'ın kudretiyle- yeniden uykudan uyandırılmasına kadar geçen tarihi sürece özetle değinilmiştir. Ayrıca bu bölümde bahçe sahibi olan iki adamın kıssası kıssanın zamanı ve yeri; bu kıssadan elde edilen hikmetlere yer verilmiştir. Bununla da Kur'an'ın kıssalarla örnek vermesini, mal ve mülkün imtihan aracı olmasını ve insanın dünya ve diğer şeylere aldanmamasının gerektiği vurgulanmıştır.

Aynı şekilde üçüncü bölümde Musa ile Hızır'ın kıssası işlenmiştir. Peygamberlerin ilim öğrenme yolunda takip ettiği yol ve yöntem açıklanmıştır. Kıssa, Hz. Musa ile Hz. Hızır'ın buluşma gayesini, zahiri ve batini ilimle ilgili olarak ikisi arasında geçen diyalogu ve aralarındaki arkadaşlık esasını konu edinmektedir. Ayrıca Hızır'ın Hz. Musa ile beraberken yaptığı olağan dışı hadiseler de zikredilmiştir.

Öte yandan bu bölümde Hz. Musa ile Hızır arasında geçen ve zahirî itibariyle anlaşılamayan hadiselerin açıklanması ve kıssadan çıkartılan önemli ders ve ibretler yer alır. İlim elde etmek için bir âlimin yaptığı seyahat, Allah'ın dilediği kişiye vermiş olduğu ledunnî ilme inanma ve ilim ehli arasında cereyan eden hadiselerin keyfiyeti ve ondan elde edilecek fayda ve ibretler de bu bölümde yer alan konular arasındadır.

Anahtar Kelimeler	Kehf Kıssası, Kehf Sûresi, Ashâbü'l-Kehf, Bahçe sahibi, Hızır, Musa, Zü'l-Karneyn,
Sayfa Adedi	148 +10
Tez Danışmanı	Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ

7. الملخص بالإنجليزية

ABSTRACT

(M.Sc.)

Bazar Ghafoor Ibrahim
Yuzuncu Yil University
Social Sciences Institute of Graduate Studies
Department of Islamic science, interpretation Branch
2017 - April

This research consists of what so-called "lessons learned from the Surah of the Cave" The lessons of the subjects that we are dealing with the stories that came in Cave stories, has been a major development occur in different aspects of human life if a person sits with those conclusions and lessons contained in this Surah, so that if people applied the lessons of the Sura in their lives with integrity and sincerity then would get victory and empowerment.

The ultimate goal of this message was the importance of advocacy for the sake of God, and men also spread the divine message among the people, and this Surah shows the importance of sacrificing ourselves and material to state clearly the truth and falsehood.

The first chapter deals with an introduction of the research and shows the reasons for choosing and its causes, and research objectives and approaches, together with the research plan complete in this chapter.

The second chapter deals with the definition of Surah cave, with the most important issues related to the statement of naming Cave and its ways and together with the distinction of the Surah with other Quranic verses and so on one hand it has a chapter that began Praise and Glory be to God, and to confess the greatness of God Almighty and other features, and the statement of the virtues of Surah by precious inference Qur'anic verses and mild hadiths of the prophet (peace be upon him) with the statement of decending reasons of the Sura, and indicates the number of verses of Sura from the readers of Quran, so it was a famous saying among scholars, and this chapter also included the topics and objectives that is contained in this Sura which are connected to the basic research and the dominant component in the Sura.

The third quarter included the stories contained in this Sura and the beneficial lessons learned from them, as indicated in the chapter a small portion of the owners of the cave from the beginning ordered them beyond resurrected from the cave by the power of God Almighty, stated in this Chapter, the most important lessons learned from this amazing and wonderful story, and the researcher in this chapter clarifies the story of the owner of two gardens, where there is a story about two men: one of them has two gardens by not-mentioning time of the story and its place, with the most important lessons learned from the story, and the importance of the Koran that cares with such an example over the temptation of money and worldly vanity and others.

The third quarter included the story of the Prophet Moses and Al-khidr, with the describtion of the prophets approach, and their conduct in the application of science, the story consists of the reasons for the meeting between Moses (pbuh) and Al-khidr, with a statement of the dialogue that was received from them through the virtual and the science approaches, discipline and companionship of both sides, mentioning incidents brought about by Khidr to the prophet Moses (pbuh) with the right to manifest.

And in this chapter the researcher clarifies the most important lessons learned from this amazing and wonderful story that is miraculous and incomprehensible to mankind's behaviour. and it mentions how the dialogue took place between the Prophet Moses (pbuh) and Khidr, and mentions the scholars trip to increase the application of science that God Almighty has given to some of his slaves if he wants, and how the scientific dialogue between the scholars and other lessons and benefits, and God knows the best.

Key words	The companıons of the care, the owns of two gardens, Mosa, Khıdr, Zu'l-Karneyn.
Number of pages	**148 +10**
Supervisor	Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ

8. المحتويات بالتركية

İÇİNDEKİLER

İÇİNDEKİLER

ÖNSÖZ

KISALTMALAR

GİRİŞ

1. KEHF SÛRESİ İLE İLGİLİ GENEL BİLGİLER

1.1. SÛRENİN İSİMLENDİRİLMESİ

1.2. SÛRENİN FAZİLETİ

1.3. SÛRENİN NUZÛL SEBEBİ HAKKINDAKİ HADİSLER, SÛRENİN AYET SAYISI VE MEKKÎ SÛRE OLARAK DEĞERLENDİRİLMESİ

1.4. SÛRENİN KONULARI VE AMAÇLADIĞI ŞEYLER

1.5. SÛREDE DERS ÇIKARTILMASI GEREKEN OLAYLAR

2. ASHAB-I KEHF HİKÂYESİ VE GENEL BİLGİLER

2.1. SAYILARI VE İNANDIKLARI DİN

2.2. ASHAB-I KEHFİN ALLAH DIŞINDAKİ VARLIKLARA İBADETİ REDDETMESİ VE FİTNEDEN KAÇIŞLARI

2.3. MAĞARADA NE KADAR SÜRE KALDIKLARI

2.4. KENDİLERİNE YÖNELİK İLÂHÎ BİR İLGİ VE UZUN BİR UYKUDAN SONRA UYANMALARI

2.5. BU OLAYDAN ÇIKARTILMASI GEREKEN DERSLER

2.5.1. GENÇLERİN DİN KONUSUNDAKİ ROLÜ VE ALLAH'IN MERHAMETİNE SAIĞINMA TALEPLERİ

2.5.2. ALLAH'A İMANIN ÖNEMİ

2.5.3. TEVHİD ÇERÇEVESİNDE DOĞRU VE BATIL İNANÇ

2.5.4. FİTNEDEN KAÇIŞ

2.5.5. HAKKIN BATILA OLAN GALİBİYETİ VE KALPLARİN SEBAT BULUŞU

2.5.6. SAMİMİ BİR YÖNELİŞİN AKABİNDE YARATICININ KULUNU KORUMA ALTINA ALMASI

2.5.7. YENİDEN DİRİLİŞE İMAN VE GELECEĞİ ALLAH'A HAVALE ETME

3. KUR'ÂN'DA GEÇEN BAZI OLAYLAR, BAHÇE SAHİPLERİ VE HİKÂYELERİ

3.1. BU KISSANIN KEHF SÛRESİNDE YER ALMA HİKMETİ

3.2. KISSANIN GEÇTİĞİ ZAMAN VE MEKÂN

3.3. KISSADAN ALINMASI GEREKEN DERSLER

3.3.1. KUR'ÂN'IN DARB-I MESELLERE VERDİĞİ ÖNEM

3.3.2. MAL-MÜLK FİTNESİ VE DÜNYAYA ALDANMA

3.3.4. MÜ'MİNİN ALLAH'A İMAN ETMESİYLE KAZANDIĞI İZZET

3.3.5. NİMETİN DEVAMINA VESİLE OLAN ŞÜKÜR İLE KESİNTİYE UĞRAMASINI SAĞLAYAN NANKÖRLÜK

3.3.6. İŞLERİN ALLAH'A HAVALE EDİLMESİ

3.4. HZ. MUSA'NIN HIZIR İLE OLAN HİKÂYESİ

3.4.1. HIZIR'I ARAMAK ÜZERE MUSA'NIN YAPTIĞI YOLCULUK

3.4.2. İKİSİ ARASINDA CEREYAN EDEN KONUŞMA

3.4.3. HIZIR'IN YAAPTIĞI BAZI EYLEMLER VE BU EYLEMLERİN PERDE ARKASI

3.4.4. BU OLAYDAN ÇIKARTILMASI GEREKEN DERSLER

2.4.4.1. İLİM YOLCULUĞUNUN FAZİLETİ

2.4.4.2. İLMİN FAZİLETİ, ÇEŞİTLERİ VE ADABI

2.4.4.3. ÖN YARGININ KIRILMASI
2.4.4.4. İKİ ZARARLI EYLEMDEN DAHA HAFİFİNE GİRİŞME
2.4.4.5. BU OLAYDAN ÇIKARTILMASI GEREKEN KONUŞMA ADABI
3.5. ZÜ'L-KARNEYN HİKÂYESİ VE GENEL BİLGİLER
3.5.1. ZÜ'L-KARNEYN KİMDİR?
3.5.2. NİÇİN KENDİSİNE BU LAKAP VERİLMİŞTİR?
3.5.3. PEYGAMBER MİDİR?
3.5.4. ZÜ'L-KARNEYN'İN GÜCÜ VE YERYÜZÜNDEKİ NÜFÛZU
3.5.5. BU OLAYDAN ÇIKARTILMASI GEREKEN DERSLER
3.5.5.1. AMAÇ VE GAYELERE ULAŞMAK İÇİN TEDBİRLERİN ALINMASI
3.5.5.2. YERYÜZÜNDEKİ HÂKİMİYET VE HÜKÜMRANLIK ASLINDA ALLAH'IN BİR NİMETİDİR
3.5.5.3. TOPLUMLARI İHYA ETMEDE İLMİN OYNADIĞI ROL
3.5.5.4. ANARŞİYİ ENGELLEME VE ALLAH'IN DİNİNİ YÜCELTME ADINA GERÇEKLEŞTİRİLEN SEFERLER
3.5.5.5. YERYÜZÜNDEKİ GÜÇ VE KUVVETİN ŞÜKRÜNÜ EDA ETME
3. SONUÇ VE ÖNERİLER
4. KAYNAKLAR
5. EKLER
6. Türkçe özet
7. ÖZGEÇMİŞ
8. ÖZET: TÜRKÇE VE İNGİLİZCE



